الإمام الحسين عليه السلام و الفكر السياسي



تأليف

نعمة هادي الساعدي

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر




بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الإمام الحسين (ع)

و

الفكر السياسي

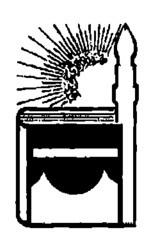
الإمام الحسين (ع)

و

الفكر السياسي

تأليف

نعمة هادي الساعدي



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: .... الإمام الحسين(ع) والفكر السياسي

تأليف: .... نعمة هادي الساعدي

الناشر: .... مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: .... ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

لبنان / بيروت / الغبيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

قال رسول الله ﷺ : «**حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ**»

حديث نبوي

«**أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً**»

حديث نبوي

لقد كان الحسين عليه السلام أمّة ، الحسين عليه السلام كان مدرسةً فكرية ، وهو الكلمة التي كان رسول الله ﷺ يردّدها .

عرفت الحسين عليه السلام إماماً ، وآمنت به ولم ينفصل عن النبوّة ، عن الخطّ الذي سار عليه جدّه المصطفى ، وجاء الحسين عليه السلام يحمل رسالة جدّه ليقرأها على الأجيال ، ووقف وأثبت وجوده ، وهو يحمل أفكار النبوّة في الأرض ، ويدعو إليها من جديد .

هذا هو الحسين عليه السلام الذي نحاول قراءة ملفّه من جديد قراءةً فكريّة بعقليّة متفتّحة وموضوعيّة لا تعرف التعصّب والتحيّز .

الحسين عليه السلام الإمام الشجاع الذي تجسّد فيه الإسلام حيث هدّدته التيّارات السوداء التي هبّت من دمشق ، واشتدّت في البلاد الإسلاميّة ، ووقف الحسين عليه السلام ولم يتراجع ، هذا هو الحسين عليه السلام .

بين يدي الحسين عليه السلام

وهل نستطيع أن ندرس الحسين دراسة جديدة سياسية ؟

ونعي خطواتِهِ ، وما دعا إليه ، وماذا كان يهدف إليه الحسين في موقفه الخالد ؟

وماذا قصده ، وماذا حقّقه ، وماذا قالوا عنه وفيه ؟

وما هو موقف الأُمّة من الحسين ؟

وكيف نقرأ الحسين قراءة سياسيّة لنأخذ منه العظة والعبرة ؟

وكيف تفهم الدنيا تلك الأهداف المقصودة للحسين ؟

ونحن وما نملك من مقوّمات وإمكانيّات فكرية بين يدي الحسين عليه السلام في محاولة جديدة منّا .

ونحاول أن ندرس الحسين عليه السلام برؤية سياسيّة تحليلية جديدة ، ودراسة تختلف عن غيرها كثيراً ، وبمنظار سياسي جديد ، دراسة حركات الحسين ، وخطواته ، وثورته ونتائجها وانعكاسات تلك الثورة على الأُمّة آجلاً وعاجلاً ومستقبلاً ، وما حقّقه الحسين له وللآخرين من حيث البداية ، ومن حيث الدوام والاستمرارية زمنيّاً ، ومن حيث العطاء ، ومن حيث الأفكار الحديثة وتعمّقها في مسيرة الحسين عليه السلام ومقتله ، وعظم الحدث في دنيا الإسلام والإنسانيّة ، وما تحمله تلك الثورة من عطاءات شمولية ، وما فيها من استغراق واسع ، وخطوط مختلفة ،

وروايات مضطربة.

ونحاول قراءة ملفّ هذه الثورة قراءة سياسيّة موضوعيّة، وبلغة جديدة للثورة وللحسين وللأُمّة، وكلّ ثورة لها هدف عامّ، وهدف خاصّ، وهدف شخصي معيّن ومقصود، وهدف سياسي أو طابع شخصي ذاتي -إن صحّ القول-.

وهل في تلك الخطوات انعكاسات على ذاته هو؟ أي هي ثورة لها هدف وقصد، وتنعكس على ذات الحسين فقط.

وحيث قتل مات الهدف وذاب القصد، من حيث هو هو، وذهب الحسين، وذهب القاتل، وكان ذلك في زمن وفي أيّام، وانتهى كلّ ذلك، أو هي ثورة لا تزال، وهي هي من حيث هي همزة وصل بين الحسين عليه السلام والأُمّة في الأمس وفي اليوم وفي غد؟

وفي تلك الثورة أفكار سياسية، وتصرّفات مقبولة؛ لأنّ الحسين عليه السلام له صلة بالنبوّة وصلة أُخرى بالأُمّة.

فهو من حيث هو زعيم وقائد، وبينه وبين النبوّة ألف صلة وقرابة واتّصال، ومسيرته هي مسيرة جدّه وأبيه، حيث هو إمام شرعي، ومسؤول عن الأُمّة وبقائها، وعليه أن يدرأ عنها الشرّ والسوء وما يهدّدها، وقام الحسين بمسؤوليّته، وأدّى وظيفته الشرعيّة، وقد قام الحسين بهذه المسؤولية خير قيام؛ لأنّه يمثّل سلطة ومنصباً مقدّساً، وهذا جزء من واجبه الشرعي؛ لأنّه خلف بعد النبوّة؛ ولأنّه بعد جدّه وأبيه، وهو لا ينفصل عن هذه الأُمّة.

وما قام به الحسين عليه السلام يمثّل تخطيطاً منظّماً، وتخطيطاً مقبولاً لغير عمل، وهندسة فكريّة وبظرف سياسي ساخن بقضايا متشابكة.

وقام الحسين بخطوة شجاعة، وبإقدام بطولي، وخطوات مستقيمة، وهي تمثّل حركة ذات أهداف لا تقف عند حدّ، ومهّد الطريق أمام هذه الأُمّة بخطىً رساليّة،

وأعاد للدنيا مواقف المؤمنين في الأرض، فكيف ندرس الحسين ؟

وهل نستطيع ؟

وقلت : لا أستطيع أن أدرس هذه التصرّفات التي قام بها هذا الإمام.

وكيف الطريق ؟

وهل استطاع مَن كانوا قبلي من الدارسين والمحلّلين أن يقولوا كلمتهم في الحسين ؟

وهل فرغ الكتّاب من دراسة الحسين ؟

ومن قال ذلك ؟!

إنّ الحسين لا يزال موضوعاً فكريّاً، وقضيّة سياسيّة من أهمّ القضايا الصعبة والشديدة، من حيث البداية، وحيث لم تنتهِ، ولم تقف، ولم تزل، وهي للأجيال ولما تفرغ الأجيال من قراءتها ودراستها.

ومتى تفرغ الدنيا من قراءة كربلاء، ودراسة الحسين عليه السلام وعلاقته بالأُمّة وما بذله من أجل عزّتها وهويّتها الإسلاميّة.

ودراستنا للحسين ـ وعسى أن نكون موفّقين في هذه الدراسة ـ دراسة نفسيّة هذا الإمام الثائر من سلالة الأشدّاء على الكفّار، وابن مَن فرّق أحزاب الكفر والضلال، إنّه الحسين بن عليّ عليهما السلام، ودراسة تلك الفترة السياسية وما عقده من لقاءات مع أهل الرأي، تلك الاجتماعات السياسيّة، وما دار فيها، وما تمخّضت عليه تلك الاجتماعات في المدينة ومكّة، وما لاقاه في مسيرته وفي طريقه، تلك الاجتماعات الجريئة، وما سمعه الحسين من النّاس والقضايا السلبية والإيجابيّة وردود من تلك الأُمّة، نحو الحسين ومن استجاب له، وأدرك الخطر الذي يهدّد الأُمّة من تيّارات قويّة هبّت على البلاد، ولو سكت لكان شأنه شأن الذين سكتوا.

هذا هو الحسين عليه السلام، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ

حُسَينٍ ؛ أحبَّ اللهُ مَن أحَبَّ حسيناً ؛ حسينٌ سبطٌ مِنَ الْأَسباطِ »[1] ، وللحديث معانٍ كثيرة ، **وفيه دلالات** ، فهو لم ينفصل عن النبوّة ، ومتى انفصل الحسين عليه السلام عن النبوّة ؟ !

فهو جزء من النبوّة لا ينفصل عنها في كلّ تصرّفاته ، وكلّ شؤونه وأحكامه وحركاته وأفكاره؛ لأنّه من النبوّة في أوّل يوم من أيّامه ، فهو ابن النبوّة نشأة وتربية ، وهو عضو من الرسول ، والحديث وراءه معانٍ كثيرة ، أمّا أنّه من محمّد صلى الله عليه وآله من حيث هو ، أو هو من النبوّة من حيث هي ، أو هو في نفس محمّد حبّاً وعاطفة « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَينٍ » مَن أحبّه فقد أحبّ محمّداً ، وفي ذلك الحديث الوارد : « مَن أَحَبَّ حُسَيناً فَقَدْ أَحَبَّني » ، وتكون محبّة الحسين هي محبّة للرسول؛ لأنّ الحسين من الرسول ، ولأنّ حرب الحسين حرب للرسول ، والانفصال عن الحسين والخروج عليه إنّما هو خروج على النبوّة؛ لأنّه جزء منها لا ينفصل عنها في كلّ أدوار حياته .

ومن عاداه أو شكّ فيه فقد عادى الرسول ، ومن لم يؤمن بأفكاره ودعوته لم يؤمن بالنبوّة ، ومن آمن بالحسين وصدّقه فهو تصديق وإيمان بالنبوّة؛ لأنّ الرسول قال : « حُسَينٌ مِنّي . . . » . فهو منك يا رسول الله ، ومن قاتل الحسين فقد قاتل النبوّة ؛ لأنّه منها ، وكثرت معانٍ وتعدّدت صياغة وتركيب ورواية وطرق وأسانيد هذا الحديث ، فلو قال النبيّ صلى الله عليه وآله : حسين فيَّ وأنا في حسين لكان للحديث معنىً آخر وقصد

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤: ١٧٢ ، وابن ماجة في سننه ٢: ٥١ ، الحديث ١٤٤ ، والترمذي في سننه ٥: ٦٥٨ ، الرقم ٣٧٧٥ ، والحاكم في مستدركه ٣: ١٧٧ ، والذهبي في تلخيصه له ، وابن قولويه في كامل الزيارات: ٥٢ و ٥٣ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق - ترجمة الإمام الحسين عليه السلام : ٧٩ ، الرقم ١١٢ ، وابن الأثير في أُسد الغابة ٢: ١٩ ، والحمويني في فرائد السمطين ٢: ١٣٠ ، الحديث ٤٢٩ ، والمزّي في تهذيب الكمال ١٠: ٤٢٦ ، ونقله العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٣: ٢٧١ .

جديد. ولو قال صلى الله عليه وآله: حسين عليه السلام عنّي وأنا عن حسين عليه السلام لكان للحديث معنىً يختلف عن السابق، ولو قال: محمّد صلى الله عليه وآله من حسين، وحسين من محمّد، لكان له معنى، وقد علّل هذا الحديث وشرح وكثر فيه الكلام.

فقيل: إنّ الحسين وجوده ليس لذاته، وإنّما وجود ذاته في وجود غيره، أو من أجل غيره، أي وجود الحسين عليه السلام بوجود النبيّ، وكذلك وجود النبيّ ليس وجوداً محدوداً زمنيّاً، أو بعمره الزمني وإنّما له وجودان:

الأوّل: وجوده بوجود ذاته، وهو العمر الزمني، وهو بولادته وحتّى رحيله لعالم الملكوت الأعلى.

والثاني: وجوده وبقاؤه بوجود غيره، وهو بالحسين عليه السلام.

وكذلك الحسين عليه السلام له وجودان:

الأوّل: وجوده بوجوده وولادته وحياته، والثاني: وجود من أجل غيره، ويفنى ويقتل من أجل غيره؛ لأنّه إمام، والإمام يضيء للآخرين، ويدعو الآخرين، ومن أجل الآخرين، والإمام لم ينفصل عن النبوّة، ومتى انفصل عنها؟! فالإمامة والنبوّة في مسار واحد، وما عند الإمام عند النبوّة وعن النبوّة، ومن أجل النبوّة، فالحسين عن النبوّة، وهو مع النبوّة في كلّ تصرفاته.

وبعبارة أُخرى ما عند هذا موجود عند هذا، ومنزلة هذا من منزلة هذا. فمن أخذ بهذا فقد أخذ بهذا، والجرأة على هذا جرأة على هذا، وإذ فسّرنا كلمة «منّي» يكون معناها النبوّة هي الأصل، فلا يكون الفرع إلّا من الأصل، ولا يكون الأصل من الفرع؛ لأنّ هذا متوقّف على هذا. وهذا زمانه أسبق من زمان هذا. وهذا يؤخذ منه، وهذا مأخوذ من غيره، وعندنا الإمامة والنبوّة في فلك واحد، وعموم المنزلة ودرجة النبوّة هي العليا، والإمامة بمنزلة النبوّة بعد رحيلها عن الأرض، وهذه برتبة هذه.

وهذا وعاء لما عند هذا ، ومن أحبَّ هذا فقد أحبَّ هذا . ومن أحبَّ حسيناً عليه السلام فقد أحبّ الرسول صلى الله عليه وآله ، ومن أخذ بنهج الحسين عليه السلام فقد أخذ بنهج جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ، وهما في نهج واحد ، ومن هذا الحديث النبوي ندرك صلة الإمامة بالنبوّة ، وأنّ الإمامة من النبوّة ، وأنّ الإمامة بقاء واستمرار للنبوّة في الأرض ، وأنّ النبوّة ارتحلت عن الأرض وتركت الأُمور بيد الإمامة ، فالمستجدّات والطوارئ والتجديد والحوادث ورعاية الشريعة والتطوّر الفكري كلّه للإمامة بعد النبوّة .

آل النبيّ هم النبيّ وإنّما　　　بالوحي فُرِّقَ بينهم فتفرّقوا

أبت الإمامة أن تليق بغيرهم　　　إنّ الرسالة بالإمامة أليق(1)

الرسول صلى الله عليه وآله قد قال ذلك في مناسبة وخفيت علينا ، ورُوي الحديث ولم تذكر المناسبة ، أو قال ذلك الرسول صلى الله عليه وآله في جمع من المسلمين ، وهتف الرسول صلى الله عليه وآله معلناً : « أيّها النّاس ، حسين منّي وأنا من حسينٍ » ، وكأنّه صلى الله عليه وآله أشار إليه ، وقال : هذا حسين المشار إليه ، وهو المقصود ، وهو المعروف ، وهو العلم الفرد ، وهو المرفوع ، إنّه حسين ، وله فعل النبيّ ذلك مراراً .

وفي الحديث النبوي « من » الجّارة ، وقد وردت مرّتين : في صدر الحديث ، وفي عجزه : « حسين منّي وأنا من حسينٍ » ، وفي الحديث أيضاً الضمير قد ورد للمتكلّم متّصلاً ومنفصلاً ، وهذا الحرف الوارد « منّي » فيه دلالته وإضافته وعلاقة إليه صلى الله عليه وآله ، وهذا الحرف لا يختلف عن الحرف الوارد في قوله صلى الله عليه وآله : « فاطمة بضعة منّي ... » ، فالمتكلّم في الحديث الأوّل هو المتكلّم في الحديث الثاني ، والمقصود واحد ، وقد استعمل هو « منّي » مع الضمير المتّصل ، وقد ذكر لهذا الحرف « من » عدّة معانٍ وعدّة استعمالات ، كما جاء في الكتب النحويّة ، وورد في القرآن والحديث

---

(١) القائل عبدالمحسن الصوري .

النبوي ، وقد يكون في معناه الحقيقي ، وقد يستعمل في غيره من الحروف الأُخرى ، وقد ذكرت كلّها في الدراسات اللغويّة ، فإذا كان حرف الجر « من » بدل « على » بمعناه الحقيقي الموضوع له والدالّ عليه بالوضع وهو التبعيض . هذا من هذا ، فيكون معناه الحسين عليه السلام بعض من النبوّة ، أو جزء من الرسول منه وإليه ، وعنه وفيه ، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله في الحسين ، ومع الحسين عليه السلام ، أو هو هو أو هو كالحسين صورة وهدياً ، وكأنّه في الحسين عليه السلام معنى رفيع مقصود للرسول ، وهو موضوع الإعجاز النبوي ، وكأنّه صلى الله عليه وآله يخبر ويشير للمستقبل القريب الذي يقوم به الحسين ، وثبت للدنيا أنّه فرع من النبوّة المهدّدة بالهدم والسقوط والزوال بالجاهلية ، وعودتها إلى طغيانها وتيّاراتها ، وإذا كان الحسين من جدّه ، وجدّه وبقاؤه من الحسين عليه السلام ، وصدق الرسول حيث يقول : « حسين منّي » ، ونقول للرسول : حسين منك ، وأنت من الحسين عليه السلام بما قام به الحسين عليه السلام .

وحتّى لو قرأنا الحديث : « حسين عنّي وأنا عن حسين » ، « حسين فيَّ وأنا في حسين » ، وأنا والحسين في جسد وروح ومسيرة واحدة ، أو يكون معناه : حسين منّي حاضراً في نشأته وتربيته وغذائه ، وأنا من الحسين في المستقبل إذا قام ثائراً داعياً إلى شريعتي ، ومحامياً عن وجودي وعمّا بنيته وخطّطته ورسمته ، وهذا الحديث النبوي يحمل عدّة معانٍ ، وما أكثرها ، كلّما قرأناه توصّلنا إلى معنى جديد ، وقصد جديد ، قصده الرسول صلى الله عليه وآله .

ما قاله الرسول في الحسين عليه السلام من تصريحات ومؤشّرات قرأنا الكثير ما ورد في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وهذا ما جاءت به كتب الأحاديث ، ولكن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام أكثر وأعظم وأوضح دلالة عمّا قاله في أبيه وأُمّه وأخيه ، وإن كان ما قاله في عليّ عليه السلام كان كثيراً ، وفيه معانٍ قويّة ، وما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام له أبعاده وحجمه ، وله دلالة معيّنة ، وإن كان ليس كثيراً

فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يعزّ الحسين عليه السلام، ويحبّه، ويسكب عليه عطفه وحنانه، وينظر إليه، ويراه ويتأمّله، وكلّ نظرة كانت معجزة من معاجز النبوّة، ورؤية الرسول صلى الله عليه وآله تختلف عن رؤية غيره.

وقد نسأل: لماذا هذا الميل الشديد، والحنان اللّامحدود للحسين عليه السلام؟

والجواب: لأنّه قريب إليه، وقرابة الإمامة للنبوّة مسألة لا ريب فيها؛ ولأنّه ابن فاطمة عليها السلام، وفاطمة ابنة الرسالة؛ ولأنّه يجدّد ما بناه الرسول صلى الله عليه وآله، ويعيد البناء من جديد، وتحقّق ذلك، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعظّم الحسين ويجلّه ويحترمه على أنّه إمام، وخلف له من بعد أبيه وأخيه؛ ولأنّه كان يحمل مزاج الرسول ونفسيّته؛ ولأنّه كان إماماً مفكّراً، واحترامه جاء من هذا الباب، بماذا كان يفكّر الحسين عليه السلام؟ واكتشف الرسول صلى الله عليه وآله تفكير الحسين عليه السلام وأفكاره، وحلّل نفسيّته، فوجد فيه ثورة في طريقها للنضوج والتكامل إذا جاء وقت أدائها، ووقت القيام بها، ووجد فيه فكراً متوهّجاً؛ ولأنّ الحسين عليه السلام كان يفكّر بما يفكّر به جدّه، من حرب الباطل، والقيام ضدّ الظلم، ونصره للإنسانيّة في الأرض، فهو امتداد لفكر جدّه وتفكيره، وهو فيه، وعنه، ويحمل في فكره ما كان يحمله جدّه الرسول صلى الله عليه وآله؛ وذلك قال فيه: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ»، وفي هذا الحديث إشارة، بل ألف إشارة.

في هذا الحديث النبوي «من» حرف الجرّ، وقد وردت مرّتين في الحديث: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ»، فلو سألنا المحلّلين للجملة العربيّة والدارسين للكلام العربي لأعطونا معنى ذا قيمة فكريّة، وقد ذكر لحرف الجرّ «من» عدّة معانٍ، فأيّ معنى يريده الرسول صلى الله عليه وآله في قوله: «منّي»، و«من حسين»؟ فإذا كان حرف الجرّاستعمل في معناه الحقيقي، وهو التبعيض، والمقصود هو الحقيقة، إذن إنّ حسيناً بعض أو جزء من جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله بعض من الحسين عليه السلام، أو بينهما اتّصال وترابط، هذا لا ينفكّ عن هذا، وكأنّ في الحديث

معنى وقصداً رفيعاً قصده الرسول صلى الله عليه وآله ، وهو موضع الإعجاز الخفي ، ولايزال الفكر في حركة مستمرّة في فهم هذا الحديث ، أمّا إذا فسّرنا وقلنا : إنّ حرف الجرّ « من » ليس معناه الابتداء ومعناه المجاوزة ، فيكون المعنى : حسين عنّي وأنا عن حسين ، أو بمعنى « إلى » ، فيكون المعنى : حسين إليّ وأنا إلى حسين ، فما هو المعنى الذي قصده الرسول صلى الله عليه وآله أوّلاً وبالذات ، وما هو الإعجاز النبوي الذي اكتشفته الأفكار فيما بعد ؟

وقد وجّه السؤال إلى عدّة من المفكّرين بالأمس واليوم ، وطُلِب منهم تحليل هذا الحديث النبوي ، وقد سئل الفقيه المفكّر المرحوم **محمّدحسين كاشف الغطاء** ، فأجاب بالجواب الآتي والسؤال الموجّه إليه هو :

إلى مولانا حجّة الإسلام والمجاهد الأكبر في إحياء المذهب الشيخ محمّدحسين آل كاشف الغطاء المحترم :

بعد فروض التحيّات مع واجب الاحترام أُحيّيكم بتحيّة الإسلام ، وأتمنّى لكم السعادة والإقبال... أسمع من كثير من الخطباء ، وعلى منبر الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديث جمّة يذكرونها عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن جملتها هذا الحديث : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، وكلّما أمعنت النظر ، وأكثرت من التفكير فيه لم أصل إلى حدّ يوقفني عنده... فاعلم في قوله صلى الله عليه وآله : « حسين منّي » ، هو أنّ الحسين عليه السلام ولد من فاطمة عليها السلام ، وفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله ، ولكن كيف يقف حدّي وأتحرج في تفكيري ويختلف عقلي في تفسير الجملة الثانية ، أي « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، لا أقدر أن أحتمل في عقلي تفسيرها ، وعلمت أنّك أنت الملاذ الوحيد في صدور هذه المسائل ، ولذا أكتب لشخصكم الفذّ هذا الكتاب راجياً منكم تفسيرها لي على الوجه الأكمل ؟

هذا ولا عدمنا وجدكم، ودمت نبراساً وعَلماً للأمّة والمذهب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجواب :

بِسْمِ اللهِ الرَّحِمنِ الرَّحِيمِ

وردني كتابك بخصوص الحديث النبوي الحسيني المشهور الذي أصبحت شهرته تغني عن البحث عن صحّة سنده وعدم صحّته ، وهو قوله صلى الله عليه وآله : « حُسَيْنٌ مِنّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، وأنّ عقلك قد اختلف عليك في تفسير الجملة الثانية ، ولم تستطع أن تحمله على تفسيرها ، وتطلب منّا بيان معناها وتفسيرها على الوجه الأكمل ، وقد طرق باب هذا السؤال كثيرون قبلك ، منّا ومن غيرنا ، ونحن لا ندري كيف فسّره غيرنا ، والذي نحتمله فيه عدّة وجوه ، نذكرها ونشير في كلّ وجه إلى ما يؤيّده وإلى ما يبعده :

الأوّل: من المحتمل أنّ المراد به ما هو الدارج المتعارف ، حيث يقول الرجل لولده أو أخيه أو أحد أقربائه : « أنا منك ، وأنت منّي » ، ويستعمل في مورد الكناية عن شدّة الاتّصال والقرب المقتضي للمودّة والمحبّة؛ لأنّهما من شجرة واحدة ، ومتفرّعان من أصل واحد[1] ، فيكون المراد ـ والله العالم ـ إنّي أنا والحسين من نور

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أنا الشجرة ، وفاطمة أصلها ـ أو فرعها ـ وعليّ لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، وشيعتنا ورقها ، فالشجرة أصلها في جنّة عَدْن ، والأصل والفرع واللقاح والثمر والورق في الجنّة** » . مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧/٣ ـ ١٢٤ .

وفي رواية أُخرى : « **أنا شجرة ، وفاطمة فرعها ، وعليّ لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، ومحبّوهم من أُمّتي ورقها [رضوان الله عليهم أجمعين]** » .

ولقد أجاد الشاعر في قوله:

واحد، وشجرة واحدة، أُحبّه ويحبّني، وأتّصل به ويتّصل بي.

ويؤيّد هذا المعنى: شيوع هذا الاستعمال وكثرته، والمشكوك يلحق بالأعمّ الأغلب.

والذي يبعّده أنّ معنى «أنا منه» لا منحة فيه للحسين، بل يشاركه أبوه وأخوه، بل سائر بني هاشم، وسياق الكلام يقتضي أن يكون المراد ببيان مزيّة تختصّ بالحسين من النبيّ دون غيره.

الثاني: أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ معنى ما يقصد بقولهم النخلة من النواة، والنواة من النخلة، وفي الشجرة بذرة منها توجد الشجرة، فيكون كناية عن كون الحسين عليه السلام قد انطوى فيه جميع كمالات الشجرة، أي كمالات النبيّ صلى الله عليه وآله، ففيه كمالات النبوّة المعنويّة دون النبوّة الظاهريّة الرسميّة.

وهذا المعنى يؤيّده مساعدة الاعتبار ومطابقة الحقيقة والوجدان، ويبعّده أنّ لازمه اختلاف سياق الجملتين، كما لا يخفى على المتأمّل.

الثالث: من المحتمل أن يكون المراد الإشارة إلى ما هو المعلوم والمقطوع به من أنّه لولا شهادة الحسين عليه السلام لما بقي للإسلام اسم ولا رسم، فإنّ أبا سفيان ونغليه معاوية ويزيد حاربوا النبيّ في الجاهليّة وحاربوه في الإسلام لمحو الإسلام، وطمس آثاره وأنواره، وقد تسنّى لهم ذلك بعد شهادة أمير المؤمنين، واستقامة الأمر لمعاوية بعد صلح الحسن عليه السلام، ولو تمّ الأمر ليزيد كما تمّ لأبيه لمحا الإسلام بالتمام،

⬅ **يا حبّذا دوحة في الخلد نابتة ... ما مثلها نبتت في الخلد من شجر**
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثمّ اللقاح عليّ سيّد البشر
والهاشميان سبطان لها ثمر ... والشيعة الورق الملتفّ بالثمر
إنّي بحبّهم أرجو النجاة غداً ... والفوز في زمرة من أفضل الزمر
هذا مقال رسول الله جاء به ... أهل الرواية في العالي من الخبر

وأعاد الجاهليّة على بكرة أبيها، وبتمام معانيها، ولكن جزى الله الحسين عليه السلام عن الإسلام أحسن الجزاء، فلقد حفظه بشهادته، وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه، الذين ما خلق الله مثيلاً لهم على وجه الأرض، لا في عصرهم فقط، بل منذ خلقت الدنيا إلى وقتك هذا، فبقاء شريعة الإسلام ونبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام.

وهذا المعنى عالٍ شريف، وهو عين الحقيقة والواقع، وهي مزيّة اختصّ بها بدون أبيه وأخيه، فضلاً عن غيرهم، ولكن يبعده استلزامه اختلاف سياق الجملتين أيضاً؛ إذ يكون الحاصل حسين منّي ولادة وشريعتي من الحسين بقاءً واستدامة.

الرابع: وهو أعلى المعاني، ولعلّه أصحّها وأجمعها، وربّما تندرج تلك الوجوه في طيّه، وهو يحتاج إلى بيان مقدّمة تمهيديّة تشتمل على أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ الولادة التي هي عبارة عن تكوّن شيء من شيء، وانبثاق كائن من كائن آخر تقع في الخارج على ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: تولد روح من جسم كتولّد أرواح الحيوان من جسمه، وتولّد أرواح البشر من أجسامها على ما حقّق في محلّه، من أنّ النفس جسمانيّة الحدوث، روحانيّة البقاء، وأنّ الروح تتكوّن من جسم الإنسان أو الحيوان كما تتكوّن الثمرة من الشجرة.

النوع الثاني: تولّد جسم من جسم، ومادي من مادي، كتولّد حيوان من حيوان، ونبات من نبات، ومعدن من معدن، ومنه تولّد إنسان من آخر، فيتحقّق انتزاع النبوّة والأبوّة والأُمومة، وهذا هو التوالد الجسماني المحض.

وأمّا أحاديث خلق الأرواح قبل الإسلام بألفي عام فهي محمولة على معانٍ أُخرى من الحكمة العالية، والمعارف المتعالية، ممّا لا مجال لذكرهما هنا، وهذه الولادة برزخ بين الولادة الجسمانيّة المحضة، والروحانيّة المحضة، التي يأتي ذكرها

لأنها روحانيّة جسمانيّة.

النوع الثالث: تولّد مجرّد من مجرّد، وروح من روح، كتولّد النفوس الكلّيّة من العقول الكلّيّة في قوس النزول، وتولّد العقول الجزئيّة من النفوس الجزئيّة، وتولّد النفوس الجزئيّة من الأجسام الشخصيّة في قوس الصعود، وقد قدّر العرفاء الشامخون والحكماء الإلهيّون أنّه لا تنافي بين أن يتولّد شخص من آخر بالولادة الجسمانيّة، ويكون الوالد متولّداً من ولده بالولادة الروحانيّة، فآدم أبو البشر وأبو الأنبياء وكذلك هو أب لخاتم الأنبياء بالولادة الجسمانيّة، ولكنّه متولّد من محمّد صلى الله عليه وآله بالولادة الروحانيّة، ولعلّه إليه يشير شاعر العرفاء أو عارف الشعراء ابن الفارض:

وانّي وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد أبوين

وشاعر أهل البيت العمري في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

أنت ثاني الآباء في مبدأ الدور ... وآباؤه تُعدُّ بنوه

خلق الله آدماً من تراب ... فهو ابن له وأنت أبوه

فآباء النبيّ صلى الله عليه وآله بالولادة الجسديّة كلّهم أبناؤه، وهي ولادة حقيقية، بل أحقّ من الولادة الجسميّة.

الأمر الثاني: أنّ الولاية أوسع دائرة، وأعلى اُفقاً، وأكبر أثراً من النبوّة، هناك الولاية لله، أو أوّل ولاية ولاية الله جلّ شأنه، الله وليّ الذين آمنوا، بل وليّ كلّ شيء، ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[1]، فولاية الله هي الولاية التي هي الوسطى، وولاية أوليائه هي سدرة المنتهى وجنّة المأوى.

ومن هنا قالوا: إنّ الولاية أعمّ من النبوّة، وكلّ نبيّ وليّ، ولا عكس، والنبوّة

---

(١) المائدة: ٥٥.

تحتاج إلى الولاية لا تحتاج إلى النبوّة.

إذا تمهّدت هذه المقدّمة وما تنطوي عليه من الأمرين النيّرين ظهر لك معنى الحديث الشريف بالوجه الأكمل، وهو: «حُسَيْنٌ مِنِّي» بالولادة الجسمانيّة، «وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ» بالولادة الروحانيّة، فإنّ الحسين بوجوده السعي الكلّي الخارجي العيني لا الذهني المفهومي هو الحائز بشهادته الخاصّة، وإمامته العامّة لمقام الولاية العظيمين، والفائز بالقدح الأعلى من سدرة المنتهى.

وهذه هي مجمع الولايات وغاية الغايات، ومنها تنبثق وتتولّد جميع النبوّات، فلا جرم أنّ حسيناً من محمّد، ومحمّد من الحسين، محمّد النبيّ من الحسين الوليّ ونور النبوّة ينبثق من نور الولاية، ثمّ يعد النور واحداً، وهنا تزول الحيثيّات، وتسقط الاعتبارات، وليس إلّا اللهُ جلّ جلاله وأنواره وتجلّياته، فأطفأ السراج فقد ظهر الصباح لذي عينين، وزال كلّ فرق وفارق من البين، ووصل الكلام إلى مقام لا تحتمله عقول الأنام، وهنا أسرار لا يجوز نشرها، وكيف كان فهذا الحديث من جوامع كلمه صلوات الله عليه، والحمد لله وليّ الإلهام في البدء والختام.

محمّدحسين كاشف الغطاء

مجلّة العدل: العدد ٥ ـ السنّة الخامسة ـ ١٩٧١م

الحسين عليه السلام وجدّه الرسول صلى الله عليه وآله

بين الحسين وجدّه ألف صلة وأكثر، وألف وجه شبه وأكثر، وألف علاقة ورابطة وأكثر، وبين الحسين وجدّه صلة وإيصال، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله فيه: « حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ »[1]، وليس القضيّة قضيّة حبّ وعاطفة عند الرسول المسدّد المأمور بأوامر قرآنيّة: الاستقامة، وعدم اتّباع الهوى، والعاطفة، والإسراف، وعدم اتّباع آراء ورغبات النّاس، فرأي الرسول فوق الآراء، وكلّ ما يصدر منه هو بعين الله وبأمره، فلا يحبّ هذا ويكره هذا إلّا بما يُرضي الله، ولا تصل العاطفة عند الرسول أنّه يندفع عاطفيّاً للحسين؛ لأنّه صغير؛ ولأنّه ابن فاطمة، أو ابن عليّ، أو أنّه حُرم من الولد الصُلبيّين، أو أنّه إمام صغير لا يفارقه، ملازم له، وترعرع على صدره وفي حجره، ويكثر من تقبيله.

ليس الأمر كذلك، فلا يندفع الرسول عاطفيّاً وتحكم به العاطفة والعواطف، ولا ينساق وراء الرغبات أو الميول والحبّ، بحيث ينزّل الحسين منه بمنزلة الجزء من كيانه ووجوده وفكره وذاته، وإنّما قصد الرسول صلى الله عليه وآله أُموراً كثيرة ذات وقع،

---

(١) هذا الحديث رواه الفريقان، وشهرته أقوى من سنده ومصدره، وقد رُوي بصيغ كثيرة:

الصيغة الأُولى: « **أَنا مِنْ حُسَيْنٍ، وَحُسَيْنٌ مِنِّي** ».

الصيغة الثانية: « **الْحُسَيْنُ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ** ».

وذات أثر، أدركها العقل المسلم أو لم يدركها...

قصده بـ « حسين منّي » ، أي تربيته منّي ، فهو المربّي له ، وطباعه منّي ورثها ، كرمه وسخاؤه منّي ، وأخلاقه منّي ؛ لأنّي جدّه ووليّ أمره ، والذي تولّى تربيته. فالأخذ منّي ، والمستوى العقائدي الذي غرسه منه ، والاتّصال بعالم الملكوت كلّه من مدرسة جدّه ، وتربيته المستقيمة وثورته من الحقّ ، وغضبه من أجل الله ، كلّ ذلك من جدّه؛ لأنّه لم يبرح حجر جدّه ، وحضن أُمّه ، وهو في بيت النبوّة ، ومن أهل البيت ، ربّاه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وملأ أُذنه من الآيات ومن أصوات السماء الحارّة ، وامتلأ بالحقّ ، وامتلأ الحسين غَيرة ومروءة وثورة ولهيباً ساخناً متدفّقاً ، وحماساً وجرأة ، كلّ ذلك من مدرسة المصطفى الذي وصفه القرآن : ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[1] ، وغير ذلك من الصفات التي رواها لنا القرآن.

والحسين عليه السلام تلميذ مدرسة النبوّة ، ومدرسة النبوّة تخرّج منها عليّ والحسين عليهما السلام ، وعلّمهما رسول الله خالص علمه ، وانطلقا يفخران ويتحدّثان ويرويان للدنيا : « سمعت جدّي - أو أخي - رسول الله ».

فالحسين من جدّه ، وتكوين شخصيّته وما في ذلك الشخصيّة من مُثل وكمالات وأبعاد فقد اكتسبها من جدّه.

وحسين امتلأ من معدن النبوّة ، وتغذّى من فيض جدّه ومن ينبوعه المتدفّق بالعلم والعطاءات السماوية ، فحسين ربّاه الرسول صلى الله عليه وآله ، وغذّاه ، وحسين نما على الآي القرآني وعلى الوحي[2]..

وإذا أُنزل الوحي على الرسول بخبر من أخبار السماء فلا يغيب عن الحسين ،

---

(١) التوبة : ١٢٨.

(٢) قال صلى الله عليه وآله : « **الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا** » - مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧ : ١١٨.

فنما عقله بين وحي السماء، فهو من جدّه، وجدّه له البقاء والاستمراريّة في العطاء، محمّد صلى الله عليه وآله باقٍ بالحسين، وما دام الحسين موجوداً.

روى ابنُ لَهِيْعَةَ، عن أبي عوانةَ، رفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الحسن والحسين شَنَفَا[1] العرشِ، وإنّ الجنّة قالتْ: يا ربّ، أسكنتني الضُّعَفاءَ والمساكين؟ فقال اللهُ لها: ألا تَرْضَيْنَ أنّي زَيَّنْتُ أركانَكِ بالحسنِ والحسينِ؛ قالَ: فماسَتْ[2] كما تَمِيْسُ العروسُ فَرَحاً»[3].

والحسين عليه السلام بحقّ هو استمرار لشخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله، فحسين بقاء وإبقاء للنبوّة، وكان النّاس ينظرون للحسين عليه السلام في عصره ـ هو وجدّه في شكل واحد وفكر واحد ـ هو هو هدياً ودعوة وصولة[4]، فالحسين عليه السلام هو محمّد صلى الله عليه وآله شكلاً وجسداً وصورة، وأصلُ حسينٍ من معدنِ محمّد صلى الله عليه وآله، ومعدن محمّد الطاهر المقدّس. وحسين هو محمّد صلى الله عليه وآله نَفساً وطبيعة، وقد تسأل: ماذا أخذ الحسين من جدّه؟

الجواب: أخذ الكثير، أخذ التحدّي، ومحاربة الظلم والظالمين، والثورة في وجه المستبدّين بشدة وقوّة، إنّ محمّداً هو الحسين عليه السلام، وحسين هو محمّد في الغاية والقصد والمقصود والخطى والخطوات.

---

(١) الشنف: قرط يلبس في أعلى الأُذن. انظر الصحاح ٤: ١٣٨٣، مادة «شنف».

(٢) الميس: التبختر. الصحاح ٣: ٩٨٠، مادة «ميس».

(٣) ذكر قطعة منه الخطيب في تاريخ بغداد ٢: ٢٣٨، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ١٢: ١٢١، ونقل الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٤ قطعة منه بسند آخر، ورواه ابن شهرآشوب في مناقبه ٣: ٣٩٥، ونقله العلاّمة المجلسي في بحاره ٤٣: ٢٧٥، الحديث ٤٤.

(٤) كان مقتل الحسين عليه السلام خسارة كبيرة، ولذا هتفت شقيقته: «**اليوم مات جدّي رسول الله!**».

فالحسين عليه السلام هو الرسول صلى الله عليه وآله عنواناً ومعنوناً، ولولاه لذابت الشريعة في أفواه ومخالب بني أُميّة، وهو الذي انتشل هذا الدين من مخالب بني أُميّة، الذين يشبهون الذئاب الجائعة، وعندما هبّ الحسين عليه السلام عندها صدق حديث جدّه فيه، حيث قال: « حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا »، وكلمة أنا تحتها عناوين ومعانٍ وأشكال ودروس، وكلمة « أنا من حسين » قالها الرسول صلى الله عليه وآله في عصره، وبقيت سرّاً وظهرت آثاره وأفعاله في عصر الحسين عليه السلام، حيث قال: « حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ »، فالحديث النبوي ذو مقطعين: صدر وعجز، بداية ونهاية، فقوله: « حُسَيْنٌ مِنِّي » هذا واضح: لحم الحسين عليه السلام من لحم النبيّ صلى الله عليه وآله، ودم الحسين عليه السلام من دم النبيّ صلى الله عليه وآله، وعظم الحسين من عظم النبيّ صلى الله عليه وآله، ما في الحسين عليه السلام من طباع وصفات شجاعة واندفاع كلّها من وحي الرسول صلى الله عليه وآله ومن معدن الرسالة، وما حواه الحسين عليه السلام هو من النبوّة، فهو حسين فرع عن كلّ. وجزء من هيكل قائم، حسين عطف من كيان النبوّة، صورة ووعاء ومحتوىً وشكلاً ومضموناً، حسين من محمّد فهو السبط وهو الحفيد، وملكاته النفسيّة هي من جدّه، هذا المقطع الأوّل.

وأمّا المقطع الثاني: « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » كأنّ الرسول صلى الله عليه وآله يقول: أنا محمّد من حسين، أنا راحلٌ عن هذه الحياة وتارك ثقلي، وأديولوجيّتي وفلسفتي عند هذا الأمين وهو الحسين، ورسالتي والوجود الذي أُريده هو سيبقى كريماً وعزيزاً ومباركاً، وهذا الكيان الضخم الكبير الذي أشاده هذا الرسول العظيم رسالة تسع الحياة مهما تطوّرت وتحوّلت، ومن هو أوْلى بحمايتها وبقائها غير الحسين..

فالحسين هو فكر محمّد، وهو حامل النبوّة في عزّتها وصولتها ووجودها، وهو محمّد صلى الله عليه وآله في طلعته وابتسامته، إلّا أنّه ليس نبيّاً ولا ينزل عليه الوحي.

فالحسين وجوداً كان يشبه النبيّ، ويرث جميع محاسنه، ومحاسن النبيّ صلى الله عليه وآله كثيرة، وكلّها من الحسين، وقد أعلن الإمام عليّ عليه السلام عن هذا الشبه، حيث يقول:

« مَن سرّه أن ينظر إلى أشبه النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه وثغره، فلينظر إلى الحسن ، ومَن سرّه أن ينظر إلى أشبه النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عنقه إلى كعبه خَلقاً ولوناً فلينظر إلى الحسين بن عليّ » .

والإمام الحسين عليه السلام بهيبته ووقاره وخطاه يجسّد خطّ النبوّة ، يد الحسين عليه السلام هي يد النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن تجرّأ عليه قولاً وفعلاً تجرّأ على النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن حاربه فقد حارب النبيّ صلى الله عليه وآله .

وعين الحسين عليه السلام هي عين النبيّ صلى الله عليه وآله ، وصدر الحسين وما فيه وما احتواه هو صدر النبيّ صلى الله عليه وآله ، خزانة أفكار النبوّات ، وقامة الحسين عليه السلام واستقامته ومنطقه ولغته هي لغة جدّه ، وحديثه حديث جدّه ، وصدّق الرسول صلى الله عليه وآله حين قال : « حُسَيْنٌ مِنِّي » .

ونقول للرسول صلى الله عليه وآله : صدّقت يا رسول الله ، ونشهد أنّه منك ، وعنك ، وإليك ، وموقف الحسين هو موقف محمّد صلى الله عليه وآله ، ويوم قام الحسين عليه السلام كان ذلك الكيان المحمّدي الذي أسّسه الرسول صلى الله عليه وآله ،كان مهدّداً من أعداء محمّد صلى الله عليه وآله ، من الجاهلين الأشدّاء الذين ملأت العصبيّة صدورهم وأحرقتهم بنارها وتخلّفها وركودها وجمودها ، وهم بنو أُميّة ، بنو أُميّة امتلأوا جاهليّة وروّجوا لها كثيراً ، وتغنّوا بها .

بنو أُمّية أفكار جاهلية ،كلّ واحد منهم ، وكانوا يحنّون إلى الجاهلية وما فيها ، ولكنّهم بلباس إسلامي وصورة عربيّة ، مقنّعون بقناعين ، عربي وإسلامي ، وجاء الحسين عليه السلام ورفع ذلك القناع عن تلك الوجوه القبيحة السوداء ، وعن تلك النفوس الخبيثة المليئة حقداً وعداوة لله ولرسوله ، وعن تلك العقول الضالّة ، وهي تحمل السموم الفتّاكة في جسم الأُمّة وعن تلك الأخطار التي تهدّد الكيان القائم بالإطاحة بالبناء الذي أشاده رسول الله ، والحسين عليه السلام هو الذي عرّاهم وكشف عنهم ، وعملية الكشف ليست بسيطة وسهلة؛ إذ هي عملية لا تتمّ بين عشيّة وضحاها .

بنو أُميّة كانوا يظهرون ويجهرون بشيء للأُمّة، ويعاشرون الأُمّة بوجه، ويعاشرون خواصّهم في مجالسهم بوجه آخر، كانوا يخفون أشياء كثيرة ونوايا خطرة، إذا سمعوا الأذان وذكر النبيّ صلى الله عليه وآله في الأذان اهتزّوا رعباً وأبدوا اشمئزازهم وامتعاظهم، وقد سنّوا سبّ ابن عمّه الإمام عليّ عليه السلام من على منابر المسلمين، ولذلك فقد حذّر النبيّ صلى الله عليه وآله الأُمّة منهم تحذيراً شديداً قويّاً متكرّراً، وطلب من الأُمّة أن تكون على حذر ويقظة، وقد جاء عن سهل بن سعيد أنّه قال عن الرؤيا في الآية الكريمة: **﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾**(١): إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى (بني أُميّة) ينزون على منبره نزو القردة، فاغتمّ لذلك، وما استجمع ضاحكاً حتّى مات صلى الله عليه وآله؛ فنزلت الآية مخبرة أنّ ذلك من تملّكهم وصعودهم، يجعلها الله فتنة للنّاس وامتحاناً(٢).

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن يعلىٰ بن مرّة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **أُريت بني أُميّة على منابر الأرض، وسيتملّكونكم فتجدونهم أرباب سوء** »، واهتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك، فأنزل الله: **﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾**(٣)

وقال عليّ عليه السلام شارحاً حال بني أُميّة في إحدى خطبه:

« **وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ** »(٤).

ولأمير المؤمنين عليه السلام أقوال كثيرة في الأُمويّين وانحرافاتهم وخطورتهم، منها:

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٠: ١٨٣ و ١٨٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن / محمّد حسين الطباطبائي ٣: ١٤٨ و ١٤٩.

(٤) راجع خطبة عليّ عليه السلام التي يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار من قبل معاوية.

« أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ الْبَلاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا » .

« وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي ، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ : تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ،... تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً ، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى » .

« فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَموا وَلكِنِ اسْتَسْلَمُوا ، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ » .

« وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ » .

ويرون أنّ عثمان أفضل من عليّ عليه السلام . قال شاعرهم :

وتستم بعثمان عليّاً سفاهةً ... وعثمان خير من عليّ وأطيبُ

ويرون أنّ الرسول صلى الله عليه وآله ما جاء بحقيقة وصدق وواقع ، إنّما هي خرافة وأسطورة وأُلعوبة ، وقد صدرت منهم هفوات وشطحات تدلُّ على ما في نفوسهم من خفايا خطيرة ، وقد قال ابن زياد مخاطباً الحوراء زينب : « وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ »[1] .

هؤلاء هم بنو أُميّة ، عرفتهم الدنيا ، وتحدّث عنهم التاريخ الحيادي ، وعرفهم الصحابة المؤمنون ، وعرفهم التابعون الصالحون الذين لم يستجيبوا لبني أُميّة ، وكان هؤلاء يشكّلون طبقة المعارضة في الأُمّة .

وحكم بنو أُميّة البلاد وسادوا ، ولا تسألني كيف تسلّق بنو أُميّة إلى الحكم ، لعن الله الممهّدين لهم ، والذين عبّدوا الطريق لهم ، وتسلّطوا على رقاب النّاس وحكموا

---

(١) وكلمة أُحدوثة معناها قضيّة غير واقعيّة وضربٌ من الخيال والأساطير ـ راجع القاموس في معنى أُحدوثة .

الأُمّة ، وانتشروا في البلاد طولاً وعرضاً وشرقاً وغرباً ، وبنو أُمّية هم هم في الحجاز أو في العراق أو في الشام ، لم يتحضّروا ، ولم يتطوّروا ، ولم يتغيّروا أخلاقيّاً وأدبيّاً .

لا يفكّرون إلّا بإزالة ما بناه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وتغييره ، وإرجاع الأُمّة إلى الوراء ، وإعادة الجاهليّة الميّتة المقيتة البائدة ، وخطّطوا لذلك الخطط ، وسعوا لبناء جديد ، وإشادة مجدهم الأُموي ، وأقدموا على بناء وجود وتفكير جديد باختلاق الفضائل وتسخير ذوي النفوس الضعيفة ، على أنّ بني أُميّة هم السادة الشرعيّون ، وهم ولاة الأمر الذين تجب طاعتهم ، ولا يجوز الخروج عليهم ، أو الثورة ضدّهم ، وهم لا غيرهم تجب طاعتهم ، وطاعتهم فرض من الله ؛ لأنّهم أولياء الأمر ، وهم امتداد لمحمّد صلى الله عليه وآله وللخلفاء من بعده ، وهم أسرة مباركة ، فهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وخلف له .

هكذا غرسوا ذلك في أذهان الأُمّة ، ونشروا الأكاذيب والأباطيل بتصريحاتهم وعبر رواتهم الذين اختلقوا ووضعوا الروايات والأحاديث في فضلهم .

والعجب أنّهم تجاهروا بالفسق وشرب الخمر وارتكاب المحارم والنّاس في سكوت وخوف ورهبة ورعب ورقاد ، لولا أنّ الله هيّأ لهذا الدين الحسين عليه السلام معلناً : « **وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدِّي** » .

والحسين عليه السلام لم يسكت ، ولم يخضع ، ولم يتواكل ، ولم يساوم ، ولم يترك معارضة بني أُميّة والوقوف في وجه السلطة الجائرة والردّ عليهم ، ومنذ طفولته ومنذ شبابه كان يعارض بني أُميّة ويتابع الأحداث ، وكان عنيداً شديداً جريئاً صريحاً غير هيّاب .

حتّى إنّ معاوية كان يخشاه أيّام خلافته ، وطلب البيعة من الحسين عليه السلام ، فرفض الحسين عليه السلام ، فقال الحسن لمعاوية : « لا تطلب من الحسين البيعة ، فإنّه لا يبايع ، وإذا بايع يُقتل ، وإذا قُتِلَ يَقْتل معه أهل بيته » ، وعندها اقتنع معاوية وكفّ

عن الحسين ، وكم من مرّة اعترض الحسين عليه السلام معاوية .

وحتّى ولاة بني أُميّة كانوا يخشون الحسين عليه السلام ، ولا يكلّمونه في شيء أو قول ، أو فعل ، ولا يطلبون منه شيئاً من شؤونهم مطلقاً ، ولا يعارضونه رغم قوّتهم ونشاطهم واستقطابهم النّاس ، ونفوذهم الذي ساد في البلاد ، الصحابة هاجروا إليهم وجالسوهم ، وأبناء المهاجرين استقبلوهم ورحّبوا بهم عند قدومهم إلى الحرمين ، وشدّوا الرحال إليهم ، إلّا الحسن والحسين عليهما السلام .

وقد افتعل الاستفرايني في مقتله أنّ الحسين عليه السلام شدّ الرحال لمعاوية من أجل مال ، وآخر من المؤرّخين قال : أمر معاوية للحسن بن عليّ عليه السلام بمبلغ وقَبِله منه ، هؤلاء هم بنو أُميّة ، وهذا هو ديدنهم ؟ !

كلّ هذا وكأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لم يُبعث ، ولم ينشر رسالته ، ودراسة الحياة السياسية أيّام بني أُميّة مسألة تحتاج إلى دراسة خاصّة ومسهبة ، أوَتدري لقد سُلبت كرامة الإنسان المسلم وعزّته ، وهُدّد وجوده إذا أدار ظهره إليهم أو اعتزلهم .

هذا كلّه كان أيّام بني أُميّة الشجرة المعلونة في القرآن(١) .

وقد أشار الأسدي الطريحي المحدّث الورع قائلاً : « وقد أصبح أهل البيت كأنّهم أولاد اليهود والكفّار »(٢) .

ألَم تصرّح فاطمة الصغرى عليها السلام بذلك في خطبتها بعد أن وردت من كربلاء :

« فَكَذَّبْتُمُونا ، وَكَفَّرْتُمُونا ، وَرَأَيْتُمْ قِتالنا حَلالاً ، وَأَمْوالَنا نَهْباً ، كَأَنَّنا أَوْلادُ تُرْكٍ

---

(١) في الدرّ المنثور : أخرج ابن مردويه ، عن عائشة أنّها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبيك وجدّك : « **إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن** » ـ الميزان في تفسير القرآن / محمّد حسين الطباطبائي ٣ : ١٤٨ و ١٤٩ .

(٢) المنتخب / الطريحي : ٢٨٠ ، ط . النجف الأشرف .

أَوْ كابُلَ ».

وهبَّ الحسين عليه السلام يحمل روح محمّد صلى الله عليه وآله وأفكاره، وكأنّه هو بُعث من جديد، أو هو هو، كلمة التوحيد على شفتيه، داعياً أُمّة جدّه التي كادت أو أوشكت أن تذوب وتتلاشى، واستجاب إلى الحسين عليه السلام مَن كان يملك حميّة وغيرةً وديناً وإسلاماً، وصار الحسين فيما بعد ـ وحتّى اليوم ـ مدرسة وقدوة ورمزاً، وهو الباب مَن دخله دخل إلى الكرامة والشرف والعزّة والإباء، وهو النافذة التي أطلّ منها رجال يريدون حرب الاستبداد والتحكّم بالآخرين، ومن أراد أن يعيش عزيزاً كريماً فليدخل من باب الحسين ويسلك مسلك الحسين عليه السلام، وإلّا فليمت، فالموت خير له من الحياة، وحياته موت وذلّة، واندحار، ويعيش في الزوايا، يعيش بسلامة وأمن إذا ساير وداهن الطغاة وحكّام السوء، الذين يسومون النّاس الذلّ والهوان ـ كما رأينا قسماً منهم أيّام معاوية ويزيد ومن جاء بعدهم ـ وحتّى في عصرنا سايروهم وهم أشرار وذئاب يريدون استعباد الطبقات الضعيفة المعذّبة في هذه الحياة. وأعلنها الحسين عليه السلام بصراحة وبصوتٍ عال: « **مَنْ كانَ باذِلاً فِينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا، فَإِنَّني راحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى** »[(١)].

وهكذا صار الحسين عليه السلام من محمّد صلى الله عليه وآله، ومحمّد صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام؛ لأنّ الحسين عليه السلام نهج منهاج محمّد صلى الله عليه وآله، خطوة خطوة، وحرفاً حرفاً، ولم يشذّ، ولم يهادن، ولم يسكت، ولم يفرّط، ولم يخالف، ولم يسرف، ولم يطلب الدنيا، ولم يساير، ولم يركن إلى الجبابرة أبداً، إنّه الحسين عليه السلام، وهو مصداق قول الرسول صلى الله عليه وآله: « حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ »، فحسين ومحمّد في خطّ واحد، ونهج واحد لم يفترق هذا عن ذاك، وحسين وأبوه عليهما السلام في الحرب والسلم، والقول والفعل، والفكر والنضج، والدعوة والحضور، هكذا كانت مدرسة النبوّة، صقلهم وربّاهم محمّد

---

(١) مقطع من خطبته عليه السلام في مكّة، نقلها المؤرّخ ابن أعثم الكوفي، وغيره.

جدّهم[١]، ولا عجب لو قال الرسول صلى الله عليه وآله : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، وكذلك قال في عليّ أكثر من مرّة وليس مرّة واحدة[٢]، لقد صرّح بذلك تارة في مكّة ، وتارة أُخرى في المدينة ، ولم تنفرد كتب الشيعة بذكر ذلك ، بل إنّها مسألة روتها جميع كتب المسلمين ، وزاد النبيّ صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام : « حربه حربي ، وسلمه سلمي » ، وقال في الحسن والحسين عليهما السلام : « اللّهمّ إنّي أُحبّهما ، وأُحبّ من أحبّهما » .

ونعود لصلب البحث وكيف نستطيع فهم مصداق وتفسير الحديث بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام ، أو هو الحسين عليه السلام ، فذلك ما فسّرته الحوادث والسياسات المتباعدة والتي حكمت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولفهم المقطع الثاني من الحديث : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » نقول : إنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله شخصيّة ووجودين : شخصيّة محمّد الوالد ، أو الجدّ ، أو السابق ، أو المربّي ، وهو الذي ربّى ا لحسين عليه السلام وغذّاه ، وهذه الشخصيّة النبويّة ، وكان استمرارها وبقاؤها وجوداً وفكراً وشريعة وحماية ورعاية إنّما هو بسبب الحسين عند كلّ من تدبّر وأنصف وتأمّل ، والشخصية الثانية هي شخصيّة الحسين عليه السلام الابن ، الحفيد ، الثورة ، الشهيد ، ولولا هذه الشخصيّة لما بقي ذلك الشرع وذلك المجد وذلك الوجود والنّاس في ركود ويأس ، وفي حالة الموت والاحتضار الواقعي السياسي؛ إذ انبعثت شخصيّة محمّد صلى الله عليه وآله فوقفت ضدّ الأُمويّين الأغبياء سياسيّاً ، البدو الأجلاف ، وهم يحملون الأفكار الجاهليّة القديمة

---

(١) أحد علماء النجف أتعب نفسه بجمع الأحاديث الواردة على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله ، والتي صرّح بها الرسول صلى الله عليه وآله : « عليّ منّي ، وأنا من عليّ » ، فقد قالها النبيّ أكثر من مرّة ، راجع كتاب الفضائل الخمسة من الصحاح الستّة .

(٢) والسؤال هو : هل قال الرسول صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام : « عليّ منّي ، وأنا من عليّ » ، وقال في فاطمة : « فاطمة منّي ، وأنا من فاطمة » وكذلك في الحسن عليه السلام كما قال ذلك في الحسين عليه السلام ؟

التي نشأت في الصحراء منذ آلاف من السنين، واندثرت، وقد جاء الأُمويّون ساعين لإعادتها ظنّاً منهم أنّ ليس في الأُمّة من يقوم ويقاوم ويدافع ويقول لهم: تراجعوا، اندحروا، فإنّكم لا تدرون أنّ محمّداً أقوى منكم ومن خططكم، أنا الحسين وجدّي محمّد صلى الله عليه وآله، هذه هي شخصيّة الحسين التي جابهت الأُمويّين، الذين حاولوا إعادة الجاهليّة، وبعث العصبيّة، وكان الحسين عليه السلام صوت محمّد صلى الله عليه وآله وفكره، وعزم محمّد صلى الله عليه وآله وشجاعته، وبقاء محمّد صلى الله عليه وآله واستمراريّته، وقد تجلّت وفسّرت كلمته صلى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام من قبل عشرات السنين: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ»، ولم تتّضح كلّ الوضوح وتُعرف على واقعها وصدقها إلّا بعد أن شدّ الحسين عليه السلام رحاله نحو ساحة التضحية.

ما أعظم الحسين، ما أعظمك يا أبا عبدالله، ما أعظمك وأنت تعانق السيوف، وتسخر من الزحوف الزاحفة إليك تريد قتلك، وأنت تقاتل من أجل أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وتمنّى صحوتهم من نومهم، وهو الحسين بن عليّ عليهما السلام، هذا هو الحسين عليه السلام الذي كان يضعه النبيّ بين يديه ويناغيه ويقبّله[1]، ويضع خدّه على خدّه، ويتحدّث معه، ويسارّه، ويقول فيه أحسن القول، ويوحي إليه من أفكاره الثورية، ويعدّه إعداداً سياسيّاً، إعداداً يتناسب والمواجهة والملاقاة، وما يدرينا ماذا أسرّ إليه، وماذا أوحى إليه، وماذا أخبره وأطلعه من خفايا المستقبل، وهو يخاطبه: ولدي حسين، وأعدّه إعداد الأبطال للقتال، وملأه حماساً ولهيباً وثورة، لا يعرف المهادنة والمساومة، والذلّ والهوان، والخوف والرهبة.

وهذا هو المؤمن الصادق يثور من أجل الله، ويغضب من أجل الله، وينفعل من

---

(١) «فوضع الرسول إحدى يديه تحت قفاه، والأُخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه، فقبّله، وقال: «حُسَيْنٌ منّي، وأنا من حُسينٌ، أَحَبَّ الله من أحبَّ حُسيناً، حُسينٌ سِبْط من الأسباط» ـ مختصر تاريخ دمشق / ابن منظور ٧: ١٢٠.

أجل الحقّ، ثار في نفسه، وهاجس في داخله يدفعه ليقول للظالم كلمة الحقّ، وهذا أفضل أنواع العبادة، «كلمة حقّ عند سلطان جائر»، ومَن الذي قال ذلك غير الحسين عليه السلام؟ فهو ينطلق بإيمان ووعي وإحساس، والفضل كلّ الفضل للرسول صلى الله عليه وآله الذي أطلعه وقال له: «إنّ لك درجة لن تنالها إلّا بالشهادة، ولدي حسين، اخرج للعراق»[١].

اعلم أنّه تعبَّد قوْم بقتل أنفسهم. قال تعالى: ﴿ **فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[٢].

ونعود للحديث النبوي الذي كثر السؤال عنه، والصعوبة في فهمه وإدراكه وتحليله، وكيف نتصوّر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والحسين هذا من هذا والرتبة مختلفة، والوجود سابق ولاحق، ومتقدّم ومتأخّر؟ وهذه هي الصعوبة في فهم الحديث وتفسيره.

فالنبيّ عليه السلام أعظم وأرفع منزلة، والحسين مهما بلغ وارتقى فهو دون النبيّ صلى الله عليه وآله فضلاً وعلماً ومنزلة ودرجة، النبيّ صلى الله عليه وآله متقدّم والحسين عليه السلام متأخّر ولادة ونشأة، فكيف يكون المتقدّم من المتأخّر، وهذا فضل، فكيف يكون ذو الفضل من الذي اكتسب الفضل منه، وعنه فقد أخذ، وهذا مأخوذ منه، وهذا مصدر، وهذا الاتّصال بالعالم البعيد والعوالم اللّامحدودة، والعوالم البعيدة عن الوحي، ومهما بلغ الحسين من الفضل فلا نقول: إنّ الوحي نزل عليه، وليس هذا من معتقدنا أبداً، وماذا أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام؟ والحسين أخذ من النبيّ صلى الله عليه وآله الكثير، محمّد صلى الله عليه وآله نبيّ مبعوث، صاحب رسالة وتراث روحي، واتّصال بالله يسمع ما

---

(١) هذه هي الكلمة التي يردّدها الحسين عليه السلام: «إنّ جدّي أمرني».

(٢) البقرة: ٥٤.

لا يسمعه الحسين عليه السلام ، أمّا الحسين إمام منصوص عليه من جدّه[١].

وإذا فسّرنا الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسين معناه الحسين عليه السلام أمدّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعطاء وبفكر وبموهبة ومكرمة ، فالآخذ غير المأخوذ منه ، وهذه هي الصعوبة ، وهذه هي القضيّة التي حيّرت العقول.

والنبيّ صلى الله عليه وآله أسبق وجوداً ، والنبيّ صلى الله عليه وآله لم يأخذ من الحسين عليه السلام ، والقضيّة بالعكس. إذن لماذا النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام ؟

وكلّ هذا لم يحدث ، وكلّ هذا ما صار وما وقع ، فزمان النبيّ صلى الله عليه وآله غير زمان الحسين عليه السلام ، حياة هذا متأخّرة ، ونشأة هذا متأخّرة ، إلّا أنّ نقول : القضية مجرّد مجاز ومدح ، وليست مسألة واقعيّة ولها نصيب من الحقيقة.

نافذة نطلّ منها على الحديث:

وهنا علينا أن نعرف النبيّ صلى الله عليه وآله أوّلاً ، ما هو ، وكيف هو ، ومن أين هو ، ومن أجل ماذا ، ومذا يريده للآخرين ، ثمّ نعرف الحسين عليه السلام : زمانه وحياته وخدماته حركاته ، وماذا قام به ، وماذا صدر عنه من نشاطات سياسيّة ، ولقاء بين السابق واللّاحق ، وبين الحسين الحفيد وبين النبيّ الجدّ ، وهل لهما نقطة انطلاق ومسيرة طريق ، وهدف في الحركة والاندفاع والصبر والوقوف والإرادة في وجه الضلال والباطل ، والانحراف والابتعاد عن الله تعالى. أليس محمّد صلى الله عليه وآله كان كذلك ؟ أليس الحسين كان كذلك ؟ فبين هذا وذاك لقاء في المسار وفي السيرة وفي الهدف الخاصّ والعامّ ، وصدّق الرسول إذ قال : « حُسَيْنٌ مِنِّي » ، وهذا واضح بسيط معلوم ، حسين عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله ، فهو المربّي ، وهو الذي ربّاه في حجره وغذّاه من علومه وآدابه وفضائله ، وهذا فرع من النبوّة ، وما عند الحسين هو من عند رسول الله.

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ابناي هذان إمامان ، قاما أو قعدا ».

فالحسين من النبيّ صلى الله عليه وآله ، هو الذي ظلّل عليه وملأه حبّاً ، وليس أحد غير النبيّ تولّى ذلك أبداً ، وهذه مسألة مفروغ منها ، وقضيّة واضحة ، ولا ينكر أحد ذلك إلّا من في قلبه مرض ، وفي قلبه النصب والعناد والضلال والتخلّف والعمى والصمم ، وما أكثر هؤلاء في دنيا الجهل ودنيا المادة ، ولو قال أحد للرسول صلى الله عليه وآله : أنت سيّد البلغاء ، وكلامك هو الإعجاز ، وقولك « حُسَيْنٌ منّي » واضح ومعلوم ، وليس فيه أي إبهام ، وليس فيه أي تكلّف ، وكلّنا يعلم أنّه منك ، فقال : وأنا مِنْه ، وهنا وقف العقل ، وهنا تقف عند الشقّ الثاني من الحديث : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، وبقي هذا الحديث زمناً والنّاس تتردّد فيه .

حسين من الباري اجتباه فخصّه ظهيراً إلى الدين الحنيف يقوّمُ

ولا تستكثر على الحسين عليه السلام ، أو تستعظم ، أو تقف في شكّ إزاء قول الرسول صلى الله عليه وآله فيه : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، النبيّ صلى الله عليه وآله أدرك أمر الحسين عليه السلام ومستقبله ، وما يؤول إليه أمره ، وماذا سيواجه في الأيّام القادمة .

فقد جاء خبر مقتله على لسان جبرائيل ، عن الله سبحانه وتعالى :

عن أُمّ سلمة رضي الله عنها ، قالت : كان جبرائيل عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، والحسين بن عليّ عليه السلام معي ، فغفلت عنه ، فذهب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وجعله على فخذه ، فقال له جبرائيل : أتحبّه يا محمّد ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « نعم » ، فقال : أما إنّ أُمّتك ستقتله ، وإن شئت أريتك تربة الأرض التي يقتل فيها ، فبسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضاً يقال لها : كربلاء ، تربتها حمراء بطفّ العراق(١) .

وجاء خبره على لسان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله منذ ولادة الحسين عليه السلام :

ما روي عن أُمّ الفضل زوجة العبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، قالت : يا رسول الله ، إنّي

---

(١) الفصول المهمّة : ١٧٢ ، طبقات ابن سعد ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام : ٤٤.

رأيت حلماً منكراً الليلة ، قال : وما هو ؟ قالت : رأيت كأنّ قطعة من جسدك المبارك قُطعت ووضعت في حجري ، فقال صلى الله عليه وآله : « رأيت خيراً ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً ، فيكون في حجرك » ، قالت : فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام ، فكان في حجري ،كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخلت يوماً على النبيّ صلى الله عليه وآله فوضعته في حجره ، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهرقان الدموع ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمّي ، ما لك تبكي ؟ قال : أتاني جبرائيل عليه السلام ، فأخبرني أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا ، فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراء »[١].

وجاء خبره أيضاً على لسان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

روى الطبراني بسنده أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قال :

« لَيُقْتَلَنَّ الْحُسَيْنُ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيها بَيْنَ النَّهْرَيْنِ »[٢] .

وليس غريباً من نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله إذا حدّق بوجه الحسين وقال كلمته الخالدة الصادقة : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، ووراء هذا الضمير « أنا » ألف إشارة ، وألف معنى ، وألف قصد؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو المربّي له ، وهو أعلم به ، وأعرف من غيره بهذا المولود ، وأعرف بمنزلة هذا الحفيد ، فأعطاه الرسول صلى الله عليه وآله هذه الدرجة : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ »؛ لأنّ المربّي ، والمعلّم أعرف من غيره بتلميذه ، والحسين عليه السلام هو كذلك من محمّد صلى الله عليه وآله ، ومحمّد صلى الله عليه وآله هو المربّي للحسين ، وهو الذي حمله على كتفه وعلى صدره وفي حجره ، وفي مجلسه ، وماذا تقول بمّن ربّته مدرسة النبوّة ؟ وماذا تقول بوليد تغذّى غذاء الأنبياء فكراً وروحاً وربّاه خاتم الأنبياء . .

وهذه التربية المثالية معجونة بالودّ والحنان والعطاء الصافي ، هذه تربية الأنبياء ،

---

(١) الفصول المهمّة : ١٧٢ ، وينابيع المودّة ٢ : ٣٨٢ .

(٢) مجمع الزوائد ٩ : ١٩٠ . المعجم الكبير / الطبراني ٣ : ١١٧ ، الرقم ٢٨٢٤ .

وهذه التربية جعلته يختلف عن غيره من كلّ المسلمين ، ويختلف عن بني هاشم ، وعن قريش ، وعن كلّ الدنيا ، إنّه حسين النبوّة ، حسين محمّد ، حسين الفكر ، حسين الدنيا ، وحسين الإنسانيّة ، ويختلف الحسين عليه السلام عن كلّ أبناء الدنيا في أمسه ويومه وغده؛ لأنّ جدّه تولّى صقله ونشأته وتغذيته ، وهذه التغذية انعكست وأثّرت على تربيته وقوامه وعزمه ، وعلى حركاته وسكونه ، وعلى سلوكه ومقاومته وشجاعته السياسية التي تحلّى بها الحسين عليه السلام دون غيره ، وهذه التربية هي التي خلقت من هذا السبط ثائراً ، وكان لها مفعولها وفاعليّتها في صيرورة هذا الوليد قائداً ، ثمّ شهيداً في سبيل الحقّ والدين ، ومن أجل جدّه وشرعه ، وصدق جدّه فيه عندما نظر إليه وإلى مستقبل هذا الوليد في المستقبل القريب ، في زمن خالٍ من جدّه ومن أبيه ومن اُمّه وأخيه .

وقد أخبر صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة أنّه قتيل حقّ في زمن قادم ، وبأنّه يأتى عليه يوم يرفع راية الثورة من جديد ، فهو منّي ، ولا فرق بيني وبينه ، إلّا النبوّة والوحي .

ويأتي عليه يوم يخوض معركة حاسمة ، ويقف في الساحة فرداً أمام الجموع الزاحفة ، وهو يصوّت للاُمّة النائمة :

« **لَا واللهِ، لَا أُعْطِيْهِمْ بَيَدِي إعْطاءَ الذَّلِيلِ** » ، « والله لا يحكم فينا ابن الدعي » ، « إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء »[1] ، لم يبق منها إلّا البقيّة الباقيّة التي سمعت صوته والتحقت به ، وفازت بجواره في الدنيا وفي الآخرة ، في الدنيا بقبورهم ومراقدهم ، وفي الآخرة بقصورهم ، وهذا هو الفوز العظيم ، فأين الرجال المدافعون عن شريعة محمّد صلى الله عليه وآله وهم يردّدون : « **يا لَيْتَني كُنْتُ مَعَكُمْ** » ، أهمّ صادقون فيما يدّعون ؟ أم هم يقولون بما

---

(١) وهي البقيّة من الدين ، هذا في زمن الحسين عليه السلام ، أمّا اليوم فكلّها مهدّدة الاُصول والفروع والأحكامِ والوجود .

لا يعتقدون ؟ نحن بحاجة لتجديد ثورة الحسين عليه السلام ورجال غيارى على غرار أصحاب الحسين عليه السلام يدافعون عن الدين .

ولا أعتقد أنّ الدنيا تلد حسيناً آخر بحماسه واندفاعه وثورته ، ووقوفه أمام الباطل ، وإذا بالحسين عليه السلام بركبه يسير نحو المنيّة وهو يرحّب بالسيوف والرماح والرجال والرايات .

وإذا بالحسين يرفع رأسه وصوته ، ويجرّد سيفه كالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في دعوته ، وهو يسير في درب الأنبياء الشائك ، فهو وجدّه في طريق واحدة ، وقصد واحد ، وفي انطلاقة واحدة ، ومدرسة واحدة وأخلاقيّة وهدفٍ واحد ، وصرخة واحدة . هذا محمّد صلى الله عليه وآله ، وهذا الحسين عليه السلام ، حسين من محمّد ، ومحمّد من حسين ، ما الفرق بينهما ؟

بحوث وتفسيرات وتوضيحات :

وكثرت التوضيحات والدراسات لهذا الحديث النبوي ، فهو ذو جانبين : « حُسَيْنٌ مِنِّي » ، فرع من أصل ، أي فرع منّي ، فهو منّي ويتفرّع من ولده ذرّيّة مباركة صالحة ، وكلّهم إليّ وعنّي ، وكلّهم أئمّة حقّ من ولد الحسين عليه السلام ، وكلّهم هداة ، فالحسين عليه السلام أبو الأئمّة ، والإمامة في ولده ، فهو من الرسول صلى الله عليه وآله ، وكأنّ الرسول صلى الله عليه وآله يقول : يا حسين ، من ولدك تتفرّع ، الأئمّة التسعة من أبنائك وكلّها فرع من النبوّة وامتداد للنبوّة بعد رحيل محمّد ، فالحسين عليه السلام والأئمّة من محمّد ، والأئمّة إليك تنتسب ، ولهذا فهم عليهم السلام عن الحسين عليه السلام ، وكلّهم انطلقوا في ميادين المعرفة وميادين التبليغ والتوعية ، ولم يميلوا نحو السلاطين ، وهم الأئمّة عليهم السلام ، وهذا ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله مراراً ، كنايةً وتفصيلاً ، وكأنّه يقول أُولئك منّي وأنا منهم ، والإمامة فيهم ، وهم من ولد الحسين ، فيكون معناه أنّ هؤلاء متفرّعون من الحسين ، والحسين عليه السلام متفرّع عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وذلك الحسين بن فاطمة ، وفاطمة بنت أبيها ،

فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله ، وانحصرت ذرّيّة الرسول في فاطمة ، فهم أبناء رسول الله .

وهنا أكثر من دليل على هذه المسألة أنّ ذرّيّة فاطمة هي ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقوله تعالى : ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾[1] ، وهو صلى الله عليه وآله لم يخرج معه أحد من أبناء المسلمين إلّا الحسن والحسين عليهما السلام ، وقد لعبت هذه المسألة دورها في عصور متأخّرة في العصر الأُموي ، حيث وجدت معارضين وخصوماً ، كيف أنّ أبناء فاطمة هم أبناء رسول الله .

وفي العصر العبّاسي غصّت مجالسهم العامّة والخاصّة لنقاش هذه المسألة والتحرّي عنها ، وتساءل خصوم آل محمّد صلى الله عليه وآله كثيراً ، واعترضوا ، وكان الأئمّة على مرّ التاريخ مورد سؤال .

فالحسين عليه السلام أب للأئمّة ، والحسين عليه السلام من محمّد فصدق الرسول ، حيث قال : « حُسَيْنٌ مِنِّي » ، أي الحسين عليه السلام ، وما تفرّع عن الحسين من ذرّيّة وأولاد وأحفاد . هذا صدر الحديث .

وقوله صلى الله عليه وآله في آخر الحديث : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » وكيف يعقل أنّ الأب متفرّع من الوالد ، وكيف الجدّ يتفرّع من الحفيد ؟ وكيف يكون وجود النبيّ صلى الله عليه وآله من وجود الحسين عليه السلام ؟ وممّا لا شكّ فيه أنّ وجود النبيّ صلى الله عليه وآله أسبق من وجود الحسين عليه السلام ، هذا في الدنيا وفي عالم المادّيات والنشوء والولادة ، فإنّ وجود هذا قبل وجود ذاك ، وكان وجود الحسين عليه السلام متأخّراً عن وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا صلة سببيّة بين وجود النبيّ ووجود الحسين ، هنا المسألة الدقيقة والصعوبة .

إذن ماذا يقصد النبيّ من هذا الإطلاق والرمز : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، وكيف نستوضح المعنى محمّد صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام ، وهذا ما حيّر المفكّرين والمفسّرين ،

---

(١) آل عمران : ٦١.

وقيل هذا القول بعيد .

إنّ الله طلب من خليله إبراهيم أن يذبح ولده أُضحية للبيت ، ولمّا علم الله صدق عزم خليله وأنّه عازم على التطبيق والامتثال فداه بذبح عظيم ، والله لا يستعظم شيئاً إلّا أن يكون شيئاً عظيماً ، وحقيقة هو عظيم ، فإنّ الله استعظم هذا الذبح أو الإقدام عليه ، وما هو هذا الذبح ؟ قيل : المقصود هو الحسين عليه السلام ، فالحسين عظيم عند الله ، ويكون معناه ذبح الحسين بقاء ، وإبقاء لإسماعيل ، ومن ذرّيّة إسماعيل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولأنّ في ذرّيّته نسل وصلب إسماعيل رسول الله صلى الله عليه وآله وبقاء إسماعيل بقاء لرسول الله صلى الله عليه وآله !!

وصار بقاء إسماعيل على قيد الحياة بقاءً ووجوداً للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو من ذرّيّة إسماعيل ، فعندما يقول النبيّ صلى الله عليه وآله : « وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » أي أنا من ذرّيّة إسماعيل ، وهو جدّي الذي فُدي بذبح عظيم ، وهو الحسين عليه السلام ، فصار الحسين عليه السلام فداء لإسماعيل ، وإسماعيل جدّي والحسين عليه السلام ولدي ، وهذا قول بعيد ، وتأويل متكلّف ويحتاج إلى قرائن وتأويلات ، وكلّها يصعب تصديقها ، ويصعب الإيمان بها .

والصحيح أن النبيّ صلى الله عليه وآله قصد غير هذا ، وهو أنّ الدين سوف تهدّده أخطار قويّة من الطغمة الحاكمة ، والحاكم المستبدّ والزمرة التي حكمت باسم الإسلام ، وهي عدوّ للإسلام وتتظاهر بالدين ، وهي معول يهدّم الدين ، ولبست ثوباً عربيّاً ، وهي أعدى أعداء العرب ، فإنّ بني أُميّة شوّهت وجه العروبة الناصع ، ومكارمها الفاضلة ، فإنّ العرب عندهم غيرة وحميّة وإثارة واستثارة ، وانفعال من أجل أعراضها ، أمّا بنوأُميّة ، فلا يعرفون ذلك ، فعلت ما فعلت بنساء همدان ، ونساء زجّوها في السجون وشهّروا بهنّ لأنّ الأزواج يوالون عليّاً عليه السلام ، والفعل الشنيع التطبّع بآل رسول الله صلى الله عليه وآله . أمّا معاوية وأفعاله ورغباته ففعل ما فعل ، سفك دماء التابعين : دم حِجر

وعمر بن الحمق الخزاعي، وغيره وغيره، وحوّل الخلافة إلى ميراث وملك، ومثل هذا لم يصدر من الخلفاء، مع أنّ في أولادهم شيئاً من الصلاح لو قيسوا بيزيد، ومعاوية أعرف بولده من غيره، وولاة معاوية أدرى بأفعاله، ومن أفعاله شقّ المسلمين الكوفيّين غير الحجازيّين، حارب عليّاً عليه السلام وأصحاب عليّ، أتعب أهل العراق وأهل الشام، وأبناء المهاجرين والأنصار، قرّب هذا وأبعد ذاك، كان يستقبل الوفود القادمة فيفضّل هؤلاء على غيرهم، وغير ذلك من الأفعال.

أوّل من جلس على سدّة الحكم، وأوّل من وضع الحجّاب والحرّاس، وأوّل من تأثّر بجيرانه الروم، قرّب النصارى إليه، واتّخذهم أعواناً ومستشارين له، تأثر بانحطاطهم وأوضاعهم، وما يفعلونه في قصورهم وأولادهم وخدمهم واستقبالاتهم.

هذا عن معاوية.

وأمّا ولده يزيد فماذا فعل في الكوفة؟ وماذا فعل بالمدينة، فقد ذكر المحدّثون والرواة، بعد قتل الحسين عليه السلام ثارت المدينة على يزيد بن معاوية، فبعث إليهم القائد السفّاك مسلم بن عقبة، ففعل ما فعل في المدينة، قتل رجالهم الأخيار، والصحابة الأجلّاء، والتابعين الفضلاء، والعلماء والقرّاء، وانتهك الحرمات، وذبح الأطفال والنساء، ومن أبى البيعة قُتل[1]، وطلب بنو أُمّية من أهل المدينة أن يبايعوا يزيد على أنّهم عبيد مملوكون، ومن اعترض قُتل، ومن جملة المعترضين هو جابر الصحابي الجليل، وأراد بنو أُميّة من النّاس أن يكونوا مملوكين لهم لا أمر ولا نهي ولا اعتراض عليهم، وقد ذكروا أنّ جند يزيد قتلوا الأطفال من أهل المدينة والنساء، وهتكوا الأعراض، هذه أفعال بني أُميّة.

---

(١) راجع: مروج الذهب / المسعودي، وغيره الذين تحدّثوا عن هذه المذبحة الفظيعة.

ونتساءل وبصراحة :

ولماذا أفرده الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الحديث : « حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ » ، ولم يقل في أخيه الحسن عليه السلام : حسن منّي وأنا من حسن ، لم نقرأ ذلك ولم يرد ؟

وكأنّ الرسول صلى الله عليه وآله أكّد على المستقبل القريب ، وصرّح قائلاً : « حُسَيْنٌ مِنِّي » أنا محمّد ، وهو حسين ، أنا الرسول ، أنا الإسلام ، أنا وجود له وبناء واستمرارية ، هذا الإسلام بحسين ، وفيه قال جدّه المصطفى ـ وهو الصادق ـ « حُسَيْنٌ مِنِّي » ، ولماذا قال فيه دون غيره ؟ ولماذا لم يقل في أخيه الحسن السبط ؟ ولم يرد عن الرسول أنّه تحدّث في الحسين دون أخيه عليهما السلام ، إنّه حسين من رسول الله ، أليس حسن هو ابن فاطمة وابن عليّ وكلاهما غرس واحد ؟ ولكن ليس كالحسين .

مقدّمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن نحاول ـ ومن الله التوفيق ـ أنا وأنت والعقليات الأُخرى محاولة جديدة ، وبفهمٍ جديد أن ندرس هذا الإمام بعقليّة تختلف عن العقليّات القديمة ، ودراسة تختلف عن الدراسات التي قرأتها العقليات القديمة ، ولعلّي أكون صادقاً إذا قلت : إنّني أقف بين يدي إمام عظيم في كلّ تصرفاته وخطواته ، فقد تعبت وأعترف بذلك أنني قرأت كثيراً ، وسألت كثيراً ، وغيّرت من أفكاري التي أخذتها من ثقافة المحيط ، الثقافة الشائعة ، فكلّما قرأت للحسين عليه السلام وجدت نفسي جاهلاً ، وأعترف بأنّ كتابة البحث حول الحسين عليه السلام وشخصيّته أتعبت غيري ، فقد اُلّفت الكثير من الكتب ، وهم في أوّل الطريق .

الحسين عليه السلام أتعب الكتّاب العرب وغير العرب في العالم الإسلامي وغيره ، فقد ظهرت عدّة كتب منذ أقدم العصور في هذا الإمام ، ودرس هؤلاء الكتّاب جوانب هذا الإمام ، فصاحب كتاب الخصائص الحسينيّة درس جانباً واحداً ، وأسهب ، وأطال ، ووضع المعادلات والمقارنات والشواهد الكثيرة ، وأخيراً اعترف بأنّه لم يتوصّل إلى تلك الحقيقة ولم يفهم الحسين عليه السلام بما هو عليه ، الحسين عليه السلام أكبر من ذلك . درس الحسين عليه السلام من حيث الجانب الإلهي عليه السلام بما هو عليه ، الحسين عليه السلام

أكبر من **ذلك**. درس الحسين عليه السلام من حيث الجانب الإلهي (صلته بالله واتّصاله بخالقه)، ومعرفته بخالقه وبالعكس، ونِعم ما كتب، وخير ما أُلّف، وغيره وغيره، فقد قرأناكتباً كثيرة في هذا الإمام وبعدّة تصانيف، منها ما طرح شخصيّة الحسين عليه السلام وتطرّق لبطولته وشجاعته، ومنها ما تطرّق لثورة الحسين عليه السلام من حيث الأسباب والدوافع، ومنها اختصّ بفاجعة كربلاء والأحداث المروعة التي اكتنفتها...

والكتاب مختلفون بين القدرة والعجز والإيجاز والقصور والتقصير، ولكنّ الحسين عليه السلام هو الإمام الذي عرّف نفسه بنفسه قبل غيره، وكتب حياته باللون الأحمر، بالدم القاني، بدم الثائرين، وسكب على كتابه دماءً حمراء، ونصب له علماً قائماً وسيبقى قائماً، الدماء التي جرت على صعيد الطفوف، كانت المراد، وكانت القوّة والمحرّك للتضحية والفداء، هذا هو سجلّ الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام الذي نشر رايته الحمراء وستبقى حمراء تنتظر الثأر على يد صاحب الزمان (عج)، تبقى لتنذر أعداءه وتحرّك مَن يريد السير على خطاه.

الإمام الحسين عليه السلام قرأناه في عشرات من الكتب، بعد أن قرأنا بالضمائر والنفوس، قرأناه في الدراسات الحديثة وفي العقل الحديث، ورأيناه متجسّداً في الفكر المعاصر، وقامت المقارنات الجديدة عند الباحثين في العصر الحديث حول هذا البطل الشهيد حفيد الأنبياء، ونشيد الأجيال.

الإمام الحسين عليه السلام هو صوت الله في الأرض، الذي يُنذر الظلم، ويُرهب الجبابرة، وكثرت الدراسات فيه، فقد كتب فيه كثيرون، من مسلمين وغيرهم، من أصقاع متعدّدة، وأُلّفت عنه وعن ثورته ومخطّطاته، وحتّى المستشرقون كتبوا عنه، وحتّى الساسة أخذوا وقرأوا وأبدوا آراءهم فيه، ونشطت حركة التأليف عنه، وهي بالنتيجة بحوث ودراسات فيها ما فيها، فهذا حكم على الحسين عليه السلام بالنجاح السياسي، وإدراك حقيقة أنّ الحسين عليه السلام كان إماماً، وكان الواجب عليه أن يتحرّك

للدفاع بحكم مسؤوليّته ، وهذا الوجوب عند السياسيّين يشبه الوجوب الشرعي عند الفقهاء ، فالساسة أو العقليّة السياسيّة تقول : كان يـجب عـليه سياسياً أن يـتحرّك وينطلق؛ لأنّه ابن مَن أشاد وبنى وشرّع ، حفيد النبيّ ﷺ .

وكتب آخرون في الحسين عليه‌السلام وثـورته ، قـالوا فـيه آراءهـم ، ولربّـما اسـتغرقت شخصيّة الحسين عليه‌السلام وثورته الكتاب المفرد إلى موسوعات ، منها موسوعة الإمام الحسين ، وموسوعة معجم شعراء الحسين عليه‌السلام . . . وكلّ كتاب ينضح ما فيه ، وقـد وفّق بعض الكتّاب لذلك وفهموا القصد والمراد من هذه الثورة ، ومنهم من تخبّط في جهله حول هذه الفاجعة العظيمة .

من هنا نقول : لقد أتعبت ثورة وشخصيّة الحسين عليه‌السلام الكتّاب ، ومنهم من وفّق لشرح معالم طريق الحسين عليه‌السلام ، ومنهم من تعثّر في هذا الطريق ، لعلّ بعض الأقلام التي كتبت في الحسين عليه‌السلام لم تصب الهدف ، والأُخرى لم تدرك بعض مفاهيم هذه الثورة ، وبعضها الآخر لم يتوصّل إلى فهم القـضيّة الحسـينيّة حـقّاً بسـبب العـقول السقيمة بداء أو أكثر ، ومنها من يعرف الحقيقة حقّ المعرفة ، ولكنّه يتجاهلها لسبب ما ، وهكذا . . .

على سبيل المثال فقد قرأنا للاسفراييني (نور العين في مقتل الحسين) ، قـراءة تأمّل ، فرأينا العقليّة الأُدبيّة تذكر بعض العبارات التي لا تساوي شيئاً وقرأنا فيه مـا يضحك الأطفال ، فقال في الحسين عليه‌السلام ولا يعلم ماذا يقول ، وكأنّه لم يقرأ كتابه بعد كتابته ، ولو قرأه لرفض ما كتبه هو بنفسه ؟ !

الإمام الحسـين عليه‌السلام بـين الفكـر القـديم والفكـر الحـديث ، فـقد كـتب القـدماء فيه النصوص الكثيرة ، ويـطلق عـلى هـؤلاء الجـمّاعون ، وكـتب المـتأخّرون عـنه بأقلام مختلفة ، وكلّ يحلو له القول بوحي في عقيدته ومـيوله واتّـجاهاته ، فـقالوا فـيه مـا قـالوا ، ولو جـمعنا أقـوال القـدماء والمـتأخّرين لصـارت عـندنا مـوسوعة

حسينيّة ضخمة.

وبعبارة أُخرى: لو دوّنا كلّ ما قيل في هذا الإمام لصار معاجم حسينيّة، وكتباً متعدّدة في النثر والشعر والسياسة والعقيدة والجهاد، وكلّ مفكّر وكلّ قلم له مداده ووجهة نظره في الحسين عليه السلام، فإنّ عظماء الدنيا وأصحاب القضايا والمصلحة المحلّلة للشخصيّات التي لعبت دورها في الحياة قالوا في الحسين عليه السلام، ليس العربي ليس المسلم فحسب، وحتّى من تشيّع أو يدّعي التشيّع والولاء والتقرّب للحسين عليه السلام.

فالحسين عليه السلام لا يزال المادّة الخصبة، والموضوع الفكري، والكلمة التي تتردّد على لسان الشاعر والقصّاص، وحتّى القصّاصون والشعراء في هذا العصر، تردّد الحسين عليه السلام في نتاجاتهم الفكريّة والأدبيّة والعلميّة والسياسيّة التي كتبت في الحسين عليه السلام تحاول الإجابة عن هذا السؤال، وهو:

كلّ ثائر له هدف، وكلّ ثورة لها قصد، يحاول ذلك الثائر تحقيقه، فما هو قصد الحسين وهدفه من ثورته، أو ما هي أهداف الثورة، وهل تحقّقت أهدافه عليه السلام؟ وتستمر العقليّة السياسيّة حول الحسين عليه السلام فقالوا فيه: لماذا ثار ضدّ دولة قويّة، ولم يثر أخوه من قبل، ولماذا يثور الحسين عليه السلام في زمن يزيد وليس في زمن معاوية، ولماذا قدّم هذه التضيحة الكبيرة التي لم يقدّمها غيره من قبل، وهم آله وأُسرته وعشيرته، ولماذا يحارب الحسين عليه السلام ويواجه أعداءً وجيشاً أكبر من جيشه ولم يحارب الأئمّة من ذرّيّته فيما بعد، وهل كانت ثورة الحسين خدمة للإسلام وإعادة لهيبة الإسلام، وبقاءً للوجود الإسلامي، وتركيزاً للعقيدة في النفوس، ويكثر السياسيّون من الأسئلة، فقتله أو بقاؤه هو خدمة للإسلام، وسكوته واعتزاله وصبره وتحمّله الضيم خير وأفضل من المواجهة والتصادم مع الجبال الأُمويّة والقوّة الأُمويّة الشديدة، فهل هو إمام يختلف عن غيره؟ هل كان أكثر شدّة واندفاعاً وغيرة ومضيّاً

على هذه الأُمّة ؟ أو كان أبوه أقوى عزماً وعزيمة بما قدّمه من قبل ، أو الحسين وأبوه عليهما السلام في مسار واحد ، وخطى متلاقية كلّها ذات هدف ، وتلتقي في نقطة واحدة ، وهي تثبيت أُسس الإسلام وحمايته وسقاية جذوره ، ولو بالكفاح ، ولو بالدماء ، ولو بالتضحية ، وهذا ما قام به جدّه وأبوه داعيَين ومدافعَين عن هذا الدين ، فكان الحسين عليه السلام هو الداعي الثاني بعد جدّه صلى الله عليه وآله ، والمحامي بعد جدّه وأبيه وأخيه (صلوات الله عليهم) .

مثل هذه التساؤلات وهذه السطور يضمّها الفكر السياسي الحديث ، وينطلق الفكر السياسي في مقارنات بين الحسين عليه السلام وأبيه وجدّه صلى الله عليه وآله من جهة ، وبين قعود الحسن ، وقيام الحسين عليهما السلام ـ « الحسن والحسين إمامان ، قاما أو قعدا » ـ من جهة ثانية ، وبين الحسين وأبنائه وأحفاده الهداة عليهم السلام من جهة ثالثة .

ونحن نحاول أن نتعرّف على ذلك ، ونتوصّل إلى معرفة هذا الإمام ، لعلّنا ندرك ما لم يلتفت إليه من سبقنا إلى الكتابة فيه ، فقد كتبنا هذه الصفحات وجلنا هذه الجولة فإذا قبل الحسين عليه السلام منها شيئاً يسيراً فتلك هي البضاعة المقبولة .

الدارسون للحسين عليه السلام يختلفون قديماً وحديثاً ، وتختلف تبعاً لذلك أساليبهم ، ولغاتهم ـ عربيّة أو غيرها ـ ، ولكنّهم لم يفهموا الهدف الذي استهدفه الحسين عليه السلام من ذلك ، ومن يدرس الحسين عليه السلام عليه :

أن يدرك الحسين عليه السلام ، ومَن هو الحسين عليه السلام ؟ وعليه أن يدرك حجم المسؤولية والتكليف الذي كان واجباً على الحسين عليه السلام ، وأنّه إمام رصيده الاجتماعي ، ومنزلته في الأُمّة ذو حجم أكبر من غيره نسباً وشخصيّة ، فهو من أهل البيت عليهم السلام حملة الرسالة ، وسكوته ولوازم ذلك السكوت مسألة لا يعذر الحسين عليه السلام ، والإمام لا يعتذر في الواجب والتكليف والوظيفة الشرعيّة ، لا يتوانى ولا يتراجع مهما كان في طريقه من عقبات ، وسكوت الحسين عليه السلام يعتبر تقصيراً وتعطيلاً لوظيفة الإمامة ،

والإمام عليه أن يؤدّي رسالة، وقد سلك الحسين عليه السلام طريقاً شائكة ووصل إلى نقطة أرضى فيها ضميره وربّه؛ لأنّه أدّى واجبه.

وطريق الحسين عليه السلام طريق شائك العقد، طريق مليء بالمخاطر، ولكنّه سلك ذلك الطريق الأحمر الطويل، وقد علم به وخطّط له ورسمه في ذهنه قبل أن يسلكه، وتحمّل كلّ ما جرى عليه. إنّ هؤلاء الكتّاب عليهم أن يعرفوا الحسين عليه السلام أو يدرسوا الحسين عليه السلام دراسة حديثة بعقليّة جديدة.

إنّ الحسين عليه السلام في السماء أكبر منه في الأرض، وإنّ الحسين عليه السلام في العقليّة العربية أعظم عند المسلمين؛ لأنّه رجل إرادة وعمل، ورجل مبادئ، ولذلك كتبوا فيه وأتعبهم، وخاضوا بحوثاً كثيرة في الحسين عليه السلام. لقد أتعب الحسين عليه السلام الأقلام، وتعثّرت، فبعضها توقّف والآخر تعثّر ولم يدرِ ماذا يكتب، ولكن الأقلام النزيهة الموفّقة استطاعت أن تدرس الحسين، ولذلك اختلف الكتّاب.

تعال معي إلى كتاب (نور العين في مقتل الحسين)، كأنّ المؤلّف يكتب ولا يعلم ماذا يكتب، كتب في الحسين عليه السلام بعقليّة محدودة، وعبارات لا ثمن لها، ولا دليل عليها، وكأنه يعيش أيّام بني أُميّة، أو هو لا يفهم مَن هو الحسين، فصوّر الحسين عليه السلام أو تخيّله نكرة كان يمدّ يده إلى حطام بني أُميّة، أو هو إنسان هيّاب خائف مضطرب فرّ من سطوة بني أُميّة ثمّ أدركوه وقتلوه.

حديث نبوي رواه الكثير من الصحابة عندما دخل الحسين عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «إنّ الحسين في السماء أكبر منه في الأرض»، صدق رسول الله. إنّ الحسين عليه السلام عند السماء كبير.

مدخل البحث

وبعد المقدّمة نحاول ـ ولعلّها محاولة تدنو من الحقيقة ، وتقترب إلى الصواب ـ أن ندرس شخصيّة الحسين عليه السلام السياسيّة وموقفها في المعترك السياسي ، ودورها في الحياة السياسية يوم شهادته ، دراسة جديدة لفهم الحسين عليه السلام والإحاطة بتصرّفاته ، وما صدر عنه من تصريحات ، وما روي عنه من إشارات ومؤشّرات وخطوات وأبعادها ، ولعلّ في تلك الخطوات معاني سياسيّة جديدة نستوضحها ، ونصل إلى مدلولها وما وراءها .

ونحاول في دراستنا للحسين عليه السلام الرجل العظيم ، ذي العقليّة السياسيّة الفاعلة إيضاح وتوضيح بطولة الحسين عليه السلام السياسيّة في التخطيط والتنفيذ والمواجهة والنتائج ، فإنّ الحسين بطل سياسي أثبت وجوده ، إنّ المنطق السياسي الحديث اليوم ، والساسة ولغتهم وعرفهم السياسي إذا تحدّثوا أو مدحوا أحداً قالوا عنه : . . . هو بطل سياسي ناجح ، أو ترجموا رجلاً من رجال الدولة أو الانقلابات ، قالوا : قد نجح سياسياً وعسكريّاً .

تعال معي لنستوضح تلك البطولة السياسية عن الحسين عليه السلام ، وأين ذلك النجاح السياسي الذي حقّقه الحسين عليه السلام في مسيرته الصعبة رغم الأشواك التي وضعها أعداؤه ، ورغم التضحيات والتحدّيات ، ولا بدّ لنا أن نقرأ الحسين عليه السلام قراءة

جديدة، قراءة فكريّة، ولا بدّ من التعرّف على تلك البطولة السياسيّة عنده، وعند غيره الذين ظهرت شخصيّتهم في المعترك السياسي، وقد حاول كثير من الكتّاب ـ كتّاب هذا العصر ـ أن يكتبوا صفحة سياسيّة عن النجاح السياسي الذي قام به الحسين عليه السلام.

نحاول دراسة كلمات الحسين عليه السلام التي رويت عنه دراسة جديدة، من خلالها نفهم القضيّة الحسينيّة فهماً جديداً، إنّ كلمات الإمام الحسين عليه السلام تحمل معاني وصوراً قرأها غيرنا، ونقرأها نحن ويأتي جيل آخر ويقرأ هذه الكلمات، ويتوصّل إلى معنى آخر، وقالوا وتعثّروا وأخطأوا.

الله أكبر! العقل السياسي لا يزال يقرأ ويحوم حول شخصيّة الحسين عليه السلام الرجل السياسي، إنّ العقل السياسي قد تعثّر لأنه لم يفهم الحسين عليه السلام فهماً واقعيّاً، ماذا يريد هؤلاء من الحسين عليه السلام؟

أيريدون منه أن يكون هيّاباً؟

أيريدون أن يكون صامتاً ساكتاً عن الحقّ؟

أيريدون منه أن يصفق يداً بيد ويسير في ركب يزيد؟

أو يريدون منه أن يتراجع أو يعلن استسلامه، أهذا هو إمام الأُمّة وقائدها؟

أو يريدون منه أن يغلق بابه، وينفصل عن الأُمّة؟

أو يريدون منه أن يفرّ من الساحة ليلاً، ولو فعل ذلك ماذا يقول هؤلاء عن هذا الإمام؟ الإمام بطولة وثبات وقيادة وإحساس بالمسؤولية، وقد وقف بثبات وعزم وصمّم على التضحيات، وبعد ذلك يقول هؤلاء عنه كذا وكذا؟!

ونقول لهم: ما أعظم الحسين عليه السلام في موقفه! ما أعظم الحسين عليه السلام في خطواته! إنّه ـ والله ـ الرجل القائد، إنّه هو النصر الذي حقّقه الحسين عليه السلام.

بداية الحديث

أنا وأنت بين يدي السيّد الشريف الذي آمن به غيرنا ، وأنا مؤمن بـه ، مـعترف بفضله ، ومصدّق بقوله وفعله ، وما روي عنه ، وها أنا أُحـاول ـ والتـوفيق مـن الله ـ دراسته بعقليّة سياسيّة تختلف عن غيرها ، وقد درسه آخـرون مـن قـبل بـعقليّات مختلفة ، ولغات كثيرة ، وأغلبها العقليّة الدينيّة ، أمّا اليوم فقد أصبح الحسـين عليه السلام مادة وموضوعاً خصباً ولا يزال .

الحسين عليه السلام بين عقليّتين : العقليّة الدينيّة ، والعقليّة السياسيّة . العـقليّة الديـنية لغتها العاطفة والأسى والحزن ، وقراءة قصّته بما فيها من نصوص وروايات .

دعوة جديدة لكتابة مقتل الحسين عليه السلام الجديد :

إنّما صدر عن الحسين من خطوات ونقلات وإجابات لا تزال لغزاً خفيّاً . إنّ في قصّة الحسين عليه السلام حقائق مفقودة لعلّنا نعثر عليها ، تلك الحقائق لم يـدرك العـقل الحديث سرّها ، أو الوصول إلى عمقها : لماذا قال ؟ ولماذا فعل ؟ ولماذا قدّم هذا وأخّر كل ذلك ؟ هل تلك الخطوات ناجحة ؟

فيتساءلون لماذا يقدّم الحسين عليه السلام ولده قبل غيره ، ولماذا يؤخّر أخاه في البراز ، ولماذا يختتم التضحية بطفل من أطفاله ؟

الإمام الحسين عليه السلام لغز لم تحلّ رموزه ، ولم يكتشف الفكر معناه وأسراره ، والفكر عاجز عن إدراك وتحليل شخصيّة الحسين عليه السلام السياسيّة ، إنّه بطل في المعترك السياسي .

لأنت أنت بما أوتيت من قيمٍ سرٌّ من الغيب باقٍ ليس يكتشف[(١)]

وهل استطاعت العقليّة السياسيّة المتطوّرة أن تكشف هذا السرّ على واقعه وحقيقته ، وهل فرغ الدارسون من تحليل شخصيّة هذا الإمام ومعرفة واقعه .

العقليّة السياسيّة الحديثة والحسين عليه السلام :

الدارسون لهذا الإمام تعدّدت مشاربهم واتّجاهاتهم ، ولكنّ عقليّة الباحث السياسي لا تزال في حركة وفاعلية واستمرارية للوصول لمعرفة تصرّفات هذا الإمام الذي سلك طريقاً شائكاً يختلف كثيراً عن الطرق التي سلكها المصلحون من كانوا قبله ، وحتّى من جاء بعده من رجال الإصلاح ، وحتّى أحفاده الأئمّة الهداة عليهم السلام .

الدراسة الحديثة لهذا الإمام تدور حول فهم غايته ، وهل حقّق تلك الغاية ؟ وتعدّدت الآراء السياسيّة والأفكار منذ أقدم العصور ، فالدراسات لهذا الإمام ليست حديثة ، فالقدماء درسوا الحسين عليه السلام ، ودراستهم ما هي إلّا جمع الروايات والأخبار والأحاديث وإيجاز الحوادث والأحداث ، ويترك ذلك لعقليات القرّاء ، فالقارئ عندما يقرأ المقاتل[(٢)] التي ألّفها وجمعها الجمّاعون في عصور مختلفة قد يقف عندها مستغرباً مصدّقاً أو متردّداً؛ لأنها مجرّدة عن الأُسلوب وطرق البحث؛ لأنّ المدوّن والجمّاع لا يضع لذلك مقدّمات وأسباباً ونتائج ، فهو جمّاع أو مدوّن يفتقر

---

(١) علي الصغير .

(٢) تعدّدت المقاتل التي كُتبت في الحسين عليه السلام منها مقاتل : الخوارزمي ، المجلسي ، أبو مخنف لوط بن يحيى ، الاسفراييني ، ابن نما الحلّي ، ابن طاووس ، وغيرهم .

لكثير من أُسس البحث ومقوّمات الحديث ، ولا بدّ لمن يدرس حادثة أن يعتمد مسلكاً وقواعد منطقيّة ، ويذكر الأسباب والنتائج ، ويربط بين حادثة وأُخرى ، وهذا ما سار عليه القصّاصون والمدوّنون لقصة الحسين عليه السلام وحادثة كربلاء ، أمّا الدراسة الحديثة والعقليّة الحديثة فلها مقوّمات ومناهج لا بدّ من اتّباعها هاهنا ، لماذا فعل الحسين عليه السلام ولماذا قال الحسين عليه السلام ، وما هي الدوافع لذلك القول ولذلك الفعل ؟

إذن هناك فرق بين الدراسة القديمة والدراسة الحديثة ، ويحتاج الدارس إلى عقليّة يسير عليها ويستضيء بنورها خلال البحث الجديد ، والعقليّة السياسيّة لا تزال في أوّل الطريق ، وفي بداية البحث ، ولعلّها تقطع أشواطاً وتدخل ميادين جديدة لتتوصّل إلى الجواب ، هل حقّق الحسين عليه السلام هدفه الخاصّ والعامّ للأُمّة بالأمس واليوم وغد ؟ لأنّ الحسين عليه السلام فعل وخطى وتحدّى وتجوّل بثبات وعزم ، فإنّ أفعاله وأقواله أتعبت العقليّة السياسيّة ، فإنّ ما فعله لم يفعله جدّه ولا أبوه ولا غيرهما من دعاة الإصلاح في الأُمم ، والذين خاضوا الحروب والمعارك ووقفوا في سوح القتال ، فمن هو الذي يحمل طفلاً على صدره ويقف أمام جيش ، ويتعرّض للسهام ، ويذبح طفله على صدره ؟ هذا هو الحسين عليه السلام الذي نحاول دراسته وفهم حقيقته من خلال ما ورد عنه وصدر عنه ، فعلاً أو حركة أو سكوناً ، فإنّنا لا نستطيع فهم حقيقة الحسين عليه السلام إلّا بدراسة تلك الأقوال والأفعال الدراسة التي نحاول القيام بها ، دراسة سياسيّة ونفسيّة واستخلاص النتائج لذلك العمل من خلال تصريحات وخطوات هذا الإمام[1].

---

(١) فقد ذهب المؤرّخون والمحللون للآداب أنّ الرجال يمكن دراستهم دراسة نفسيّة وأخلاقيّة وعقليّة من خلال النصوص التي تروى عنهم ، وقد ورد وروي عن الحسين عليه السلام نصوص وتصرّفات وخطوات يمكن أن تدرس هذا الإمام دراسة جديدة؛ للتوصّل إلى فهم شخصيّته وما حقّقه.

نحن بين يدي إمام عظيم:

عظيم في نسبه، وهو الابن الشريف أباً وجدّاً وأُمّاً، وشريف في نشأته، وفيه قال جدّه المصطفى:

الحسين عليه السلام من ذوي القربى:

الحسين عليه السلام له صلة بجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله نسباً، وله صلة أُخرى فكراً وروحاً، وخلقاً وخُلقاً، ورث ذلك وراثة، وأخذه واستفاده وتلقّاه عنه، فقد امتلأ الحسين عليه السلام عزماً وعزيمة ووحياً، وأعدّه أبوه وجدّه (عليهما أفضل الصلاة والسلام) فكان متعصّباً للحقّ، حيث كان جدّه داعية للحقّ، وكان أبوه مع الحقّ والحقّ مع أبيه، وجاء الحفيد ليطلق صرخته:

«**أَلا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْباطِلِ لا يُتَناهى عَنْهُ**».

الإمام الحسين عليه السلام يرى نفسه صاحب حقّ شرعي له ولأبيه عليّ وأخيه الحسن عليهما السلام، وهو أقرب للنبوّة من غيره وللخلافة، لكن لو أنت تريد أن تسترجع حقّك من بني أُميّة، فهناك طريقان؛ أمّا السلم وأمّا الحرب، فالحرب بعد السلم، وإذا أردت الحرب وعزمت عليه فلماذا هذا التسرّع والإسراع، والعجل والتعجيل في سنة واحدة، وفي شهور متلاحقة؟

مدخل الحديث عن الحسين عليه السلام:

ولماذا دار الحديث وطال، وكثر القول وتشعّب؟ قلت: كان الحسين عليه السلام سرّاً من الأسرار، وهو كذلك، وهو المحور الذي تدور حوله الأفكار، فكلّما ذكرنا الحسين عليه السلام كان معه أكثر من سؤال وسؤال، لماذا قال الحسين عليه السلام؟ ولو فعل، ولماذا فعل؟ وما هو الهدف من قوله؟ وهل كان ذلك هو الصواب؟ وقد تعب الفكر

وتراجع القلم ، ولم يدرك المفكّرون هذا السؤال وذاك؛ لأنّه الحسين عليه السلام وتحرّكت الأقلام وهي في بدايتها ، وكان الحسين عليه السلام في هذا العصر ثار وقاتل وضحّى بالأمس ، وبيننا وبينه هذا الفاصل الزمني الشاسع ، ورغم البعد الزمني فلا تزال الدراسات جديدة عهد ، بل تتجدّد ، في يومنا هذا وفي المستقبل.

ولو بقي في المدينة ... ! لو طال بقاؤه في مكّة ، وقرّر المكوث فيها لكان أسلم له ولأهله ، وأنجح للدعاية ،ولو بعث أكثر من رسالة إلى الأُمّة والأعلام والمشهورين فيها ، ولو بعث أكثر من رسول ولو ... ولو ...

ولو استقطب الأُمّة وكوّن جيشاً لكان أقرب للنجاح .

الحسين عليه السلام وأقوال الآخرين :

وأصبح الحسين عليه السلام موضوعاً من المواضيع الواسعة في أقواله وتصرّفاته وخطاه وحركاته ، فقالوا ـ وما أكثر القائلين ـ لماذا لم يطبّع الحسين عليه السلام العلاقات مع بني أُميّة ولو بشكل مؤقّت ، أو من باب المجاملة ، أو الخدعة السياسية ، أو المساومة والهدنة وما شاكلها ، أو الصلح المؤقّت ـ كما فعل الإمام الحسن عليه السلام ـ ، فإذا قوي وتكاملت المقدّمات ، ونشر الوعي السياسي واستجاب له الكثير وعلم الكثير وأدرك الكثير أهدافه ، فإذا هو قوي عليهم ، وتمكّن وتكامل العدد ، فعندها يصول عليهم بقوّة وقدرة ؟

وقال آخرون : لماذا لم يأخذ الحسين عليه السلام بالتقيّة مع بني أُميّة ، ليأخذ بطريق نشر الفكر والمعرفة وبنيان الحقيقة للأُمّة ، ولو زمناً ، وكان زمانه يحتاج لنشر الوعي وتصحيح الأخطاء أكثر من حاجته للعنف والمواجهة بهذا الشكل المحدود . وعلّل الآخرون ، فقالوا : إنّ ذلك الخطر الشديد الجارف والتيّار الأسود الذي يهدّد كيان الأُمّة الإسلاميّة كان يحتاج إلى المواجهة ، وكان عليه أن يصول مهما كلّف الأمر ، ويستنهض الأُمّة الغافلة الراكدة بثورته العملاقة ، وكان هذا واجبه ، فلو سكت

الحسين عليه السلام أو رضي أو انطوى فسّر ذلك بالرضا والاستجابة ، ولو سكت تابعه النّاس وأخذوا بسكوته ، واعتبروه فتوى شرعيّة ، أو طريقاً للصواب ، وهو تكليف هذه الأمّة؛ لأنّ إمامها هادن واستسلم ورضي بالواقع المرّ وترك الساحة لأعدائه ، وعندها يقوى الفساد ، وعندها يفعلون ما أرادوا فعله وتشريعه ، وباعوا الأمّة وغيّروا وبدّلوا .

وهل أباح الدين السكون والسكوت ، وفي أي حديث نبوي ونصّ شرعي ؟ ومن أجاز السكوت ، وهل يسكت المسلم المكلّف وهو يرى المنكر والفساد والخطر يهدّده ويهدّد جيرانه ويهدّد الأمّة ، وهل يسكت الحسين عليه السلام وهو يردّد حديث جدّه صلى الله عليه وآله :

ولكنّ الحسين عليه السلام لم يسكت ، ومتى سكت الحسين عليه السلام ؟ ومتى اعتكف في داره ؟ ومتى تباعد عن المسلمين ولم يشارك هذه الأمّة آلامها ولم يتفقّدها ، وكيف يجوز للحسين عليه السلام السكوت ، وإذا جاز للحسين عليه السلام ذلك جاز لغيره . هذا المنكر وهذا الفساد والطغيان يهدّد كيان وصرح هذه الأمّة ووجودها .

وليس الحسين عليه السلام برجل سيف بلا تعقّل ، وإنّما يستعمل السيف فيما يرضي الله ويرضي الأمّة ويرضي نفسه ، كما أُجبر الإمام عليّ عليه السلام من قبل على خوض معارك سعى كثيراً لكي يجتنبها ، ولكنّه رأى نفسه مجبوراً على خوضها ، حيث لم يكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام داعية حرب في يوم ما حتّى يمتثل الحسين عليه السلام طريقه .

« ... ثُمَّ سَرَّحُوا الْكِتابَ ، وَلَبِثُوا يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ، وَأَنْفَذُوا جَماعَةً ، مَعَهُمْ نَحْوَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ صَحِيفَةً مِنَ الرَّجُلِ وَالاثْنَيْنِ وَالثَّلاثَةِ وَالأَرْبَعَةِ ، يَسْأَلُونَهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ . وَهُوَ مَعَ ذلِكَ يَتَأَبّى فَلَا يُجِيبُهُمْ .

فَوَرَدَ عَلَيْهِ في يَوْمٍ واحِدٍ سِتُّمِئَةِ كِتابٍ ، وَتَواتَرَتِ الْكُتُبُ حَتّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْها في نُوَبٍ مُتَفَرِّقَةٍ إِثْنا عَشَرَ أَلْفَ كِتابٍ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ هانِئُ بْنُ هانِئٍ السَّبيعي وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَنَفي بِهذَا الْكِتابِ ،

وَهُوَ آخِرُ ما وَرَدَ عَلَيْهِ عليه السلام مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَفيهِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليهما السلام.

مِنْ شِيعَتِهِ وَشِيعَةِ أَبِيهِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام.

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ النّاسَ يَنْتَظِرُونَكَ، لا رَأْيَ لَهُمْ غَيْرُكَ، فَالْعَجَلَ الْعَجَلَ يَابْنَ رَسُولِ اللهِ، فَقَدْ أَخْضَرَ الْجَنابُ، وَأَيْنَعَتِ الثِّمارُ، وَأَعْشَبَتِ الْأَرْضُ، وَأَوْرَقَتِ الْأَشْجارُ، فَاقْدِمْ عَلَيْنا إِذا شِئْتَ، فَإِنَّما تَقْدِمُ عَلى جُنْدٍ مُجَنَّدٍ لَكَ.

وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ وَعَلى أَبيكَ مِنْ قَبْلِكَ»[1].

وهو عليه السلام ليس رجل سيف وميدان وعنف فقط، وإنّما هو رجل هداية وإصلاح، ورجل علم وإيمان، وعلى بصيرة وفهم بما يُرضي الله وبتكليفه الشرعي.

لو كان الإمام الحسين عليه السلام -كما يزعم البعض- بأنّه رجل حرب وسيف لبدأ القوم بالقتال قبل أن يبدأوه، وقبل أن يتكاثروا عليه ويزادد عددهم وتزداد صفوفهم، ولو كان جاء من أجل الحرب لبدأ من لقيه في الطريق، وهم قليلون، ويسهل عليه أمر الباقين، أو لبدأ بعمر بن سعد[2] ومن معه، ولو كان يريد الحرب لقتل القوم جماعة جماعة ومنذ أن وصل كربلاء، ولماذا بقي إلى يوم العاشر وهو يكثر من النصح والإرشادات للقوم لعلّهم يتراجعون

جاء في تاريخ اليعقوبي - باب فضائل النبيّ صلى الله عليه وآله [حديث] مثير للسخرية، أنّ

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف.

(٢) روى عبدُ اللهِ بن شريكٍ العامريّ، قال: كنتُ أسمعُ أصحابَ عليٍّ عليه السلام إذا دخلَ عُمَرُ بْنُ سعدٍ من بابِ المسجدِ يقولون: هذا قاتلُ الحسين بن عليّ عليه السلام، وذلك قبلَ قتْلِهِ بزمانٍ. نقله العلّامة المجلسي في البحار ٤٤: ٢٦٣، الحديث: ١٩.

النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «من تعرّض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يؤجر فيها، ولم يرزق الصبر عليها»، هل تشمّ منه رائحة أمويّة، وهو قبل التأمّل فيه من وضع أذناب السلاطين، وهو يعطّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو معارض لسيرة الأنبياء، ومعناه واضح حيث يقول: كلّ ما أصاب النّاس من الأذى وغيره من أجل الوقوف بوجه الظالمين لا يؤجرون عليه، ولا داعي للاسترسال في هذا الحديث الموضوع، إنّما هو ظلم واعتداء، وعدم معرفة بالدين، وتعطيل لأكبر فريضة في الشرع، وهو النهي عن المنكر، وهو معارض للقرآن والأحاديث النبويّة، ويخالف سيرة الأنبياء والمصلحين والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهو من أقوال أتباع السلاطين، ومن نتاج ذيول الجبابرة ودعاة الطغاة ومن يسهر في مجالسهم، وهو من وضع مَن يحبّ الفساد والإفساد في الأرض، والتسلّط على رؤوس العباد، واللعب بمقدّرات هذه الأُمّة.

ومن البديهي أنّ الباعث من هذه المقولة تبرير ما يفعله الظالمون، وما يصدر منهم، ومن ردّ عليهم أو أنكر عليهم ففيه مخالفة للدين، فأي دين هذا؟ ومن يعمل بهذه المقولة ويصدّقها فيصاب بالركود والجمود والموت العقائدي.

الحسين عليه السلام بين أمرين:

إمّا أن يأخذ بجانب السكوت والانطواء والاعتزال والاعتكاف والسكون، وهذا معناه الانفصال والانقطاع، وأنّه لا علاقة له بالأُمّة، وليس له صلة بها، وكيف يسكت الحسين عليه السلام؟ وما هو موقف الشرع من ذلك؟ وحاشا للحسين عليه السلام وهو ابن المشرّع الأعظم صلى الله عليه وآله أن يعمل بخلاف الشرع، ويتكاسل ويتهاون في أداء الواجب.

هنا تثار مسألة فقهيّة مهمّة: هل أنّ الاغتيال محرّم أو قبيح، أو يجوز استعماله لغرض خدمة الإسلام أو وقاية لدفع الشرّ؟ الأُمويّون استعملوه بكثرة وباتقان مع أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، كمالك الأشتر رحمه الله.

يفسّر الفكر الأُموي خروج الحسين عليه السلام من المدينة بأنّه قد خرج عن الطاعة ، وأفلت من قبضتهم ولم يبايع لهم ، ولذلك كثر اللوم بينهم ، وقائلهم يقول : لماذا ندع الحسين عليه السلام ولم يبايع ؟ ولذلك وجّه اللوم للوليد : لماذا تركته يخرج ولم يبايع ؟ وكيف تدعه يخرج من المدينة ؟ ولعلّ الوليد اتّهم ، والذي اتّهمه هو ابن زياد[1] بأنّه سهّل عليه الهروب والخروج من المدينة ، حيث كانت رغبة يزيد التضييق عليه والشدّة والقتل والبيعة ، أمّا الوليد فنفسيّته تختلف عن يزيد بن معاوية ، حيث كان جواب الوليد لمروان بن الحكم ردّاً على اقتراح مروان بضرب عنق الحسين عليه السلام في حال رفضه للبيعة :

وَيْحَكَ يا مَرْوانُ ، إنَّكَ أَمَرْتَ بِذِهابِ ديني وَدُنْيايَ ، وَاللهُ ما أُحِبُّ أَنَّ مُلْكَ الدُّنْيا بِأَسْرِها لي وَإِنَّني قَتَلْتُ حُسَيْناً ، وَاللهِ ما أَظُنُّ أَحَداً يَلْقَى اللهَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا وَهُوَ خَفِيفُ الْمِيزانِ ، لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهُ ، وَلَهُ عَذابٌ أَليمٌ .

الاستسلام السياسي :

وهنا نجد ما كتبه وافتراه العلّامة السيوطي مدّعياً أنّ الحسين عليه السلام استسلم لخصومه ، وقتل مستسلماً ، فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله :

« عرض عليهم الاستسلام والرجوع ، والمضي إلى يزيد فيضع يده في يده ، فأبوا إلّا قتله ، فقُتِل »[2] . ومعناه الاعتراف بالهزيمة ، والاعتراف بالاندحار والخسارة في المعركة ، بينما موقف الحسين عليه السلام وتحدّيه كان إثباتاً للوجود ، وإثباتاً للبطولة والتحدّي .

---

(١) الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة / الشقراوي .

(٢) تاريخ الخلفاء / الحافظ جلال الدين السيوطي : ٢٠٧ .

آلام الحسين عليه السلام :

ما تحمّل جسد في الدنيا من ألم كما تحمّل جسد الحسين عليه السلام من الألم . هذا كلّه من أهل الكوفة ، لا حياء ولا خجل ولا شيمة ، ما توقّف أحد ولا تراجع أبداً ، ما تركوا شيئاً إلّا وجّهوه لجسد الحسين عليه السلام ، حيّاً وميّتاً ، وما تحمّلت نفس من أبناء آدم من ألم كما تحمّلت نفس الحسين عليه السلام؛ تحمّل الآلام في حياته ، آلام أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه وهم صرعى ، ويسمع أصواتهم على الثرى ، ويستنجدون به ، ويستغيثون به ، يراهم مقطّعين أشلاءاً ، وتحمّل الحسين عليه السلام هذه الآلام ولا عجب من ذلك .

كان المجتمع آنذاك مصاباً بالخمول والهزال والانهيار والجبن ، وكلّ من له مركز اجتماعي أو منصب في الأُمّة كان نصيبه الإبادة والفناء ، فلا صحابي يتعصّب للحقّ ، ورجال الأُمّة المبرّزون أُودعوا السجون ، أو هدّمت عليهم الدور ، وانتشروا في الأماكن البعيدة ، وسكنوا وأغلقوا عليهم دورهم ، واعتزلوا الحياة ، وصمّت آذانهم عن كلّ ما يقال ، . . وكأن محمّداً صلى الله عليه وآله لم يبعث نبيّاً من قبل ، وكأنّ القرآن لم ينزل . ولقد أجاد الشاعر جعفر الحلّي :

لقد تحكّم في الإسلام طاغيةٌ يُمسي ويُصبح في الفحشاءِ مُنهمِكا

والناسُ عادت إليهم جاهليّتهم كأنَّ مَن شرّع الإسلام قد أُفكا(١)

وفي هذه الفترة هبّ الحسين عليه السلام صارخاً قائلاً : إنّ هؤلاء قد بدّلوا وحرّفوا ، ويقصد عليه السلام أنّ بني أُميّة عبدوا الشيطان ، وعبادتهم عبادة الأطماع والشهوات ، وعبادة الحكم خوفاً وطمعاً ، وبدّلوا نعمة الله كثيراً ، وأصبح الفرد المسلم ذليلاً مهاناً ، لا يسمع منه شكوى ، ومن قال : أنا مسلم كان نصيبه السخرية به والاستهانة

---

(١) مثير الأحزان .

بكرامته ، فإذا كان الصحابي الجليل حجر وأمثاله نصيبه الفشل ، فما هو نصيب غيره ، وما قيمة الآخرين ؟

فهل كان على الحسين عليه السلام أن يكون كغيره ، يعتزل أُمّة بناها جّده ، ورعاها أبوه ، وشادها وكونّها جدّه ... حاشا وأبداً ، لقد هبّ صادقاً ، وأصبح خالداً مع الخالدين رغم قوّة غيره وقدرة عدوّه وكثرة جيشه ، وأتباع سلطانه ، وقف الحسين عليه السلام بنداء البذل والإرادة ، وقف أمام تيّار جاهلي ، واستطاع أن يعرّف نفسه وثورته للأجيال ، وقد قرأنا حسيناً عليه السلام وقرأنا يزيد ، وقام الحسين عليه السلام وبين جنبيه قلب أبيه ، وعزم جدّه ، ولغة الأنبياء عليهم السلام وأفكار المصلحين .. قام ليصارع الباطل ، ويقمع تيّار العصبيّة ، يلفّ لواء الجاهليّة الذي رفعه حفيد أبي سفيان .

ولقد أجاد الشاعر الحلّي :

لم أدر أين رجالُ المسلمين مضوا وكيف صار يزيدٌ بينهم ملكا
قد أصبح الدين منه يشتكي سقماً وما إلى أحد غير الحسين شكا

أفاق المسلمون من نومهم والبريد يخبرهم بموت معاوية ، ويدعوهم إلى بيعة يزيد من بعده ، والناس أنواع وعقليّات ، وظنّ المسلمون أنّهم قد استراحوا وأراحهم الله من ذلك العناء النفسي والجسدي أيّام معاوية ، وأنّهم سوف يعيشون بلا حروب ولا انقسامات وإذا البليّة أعظم وأعظم ..

وإذا الخليفة يزيد بن معاوية . عجباً للأرض لماذا لم تنخسف بيزيد ؟! يزيد الفجور ، وأبوه رشّحه وحده ، وأبوه نصّبه وحده ، واختاره ودعا النّاس إلى بيعته ، وما هي المؤهّلات والمواصفات التي كانت لأبيه حتّى يمتلكها الابن ، وجعل يكاتب الأمصار ، ويدعو النّاس إلى بيعة ولده الأرعن الفاسق المحكوم بفسقه قبل ترشيحه ، وقبل واقعة كربلاء ، إنّه شيء جديد ! إنّه شيء ليس له سابقة ولم يفعله أحد من قبل .

وكلّهم عندهم أولاد والخلافة ليست وراثة ، ولا هي ملك ، ولا هي خداع

أو تسلّط على الرقاب، أو شراء الضمائر، وهذا أوّل مَن فعله معاوية بن أبي سفيان، وبذل من أجله الأموال الكثيرة، وأتعب نفسه، وراسل الأمصار، وعقد اللقاءات والمفاوضات، وشدّ الرحال إلى الحجاز، وأقام هناك، وحمل معه الأموال الطائلة، وهو على علم ودراية واطّلاع بسلوك ولده الأرعن والمراهق وتربيته، وبُعده عن الخُلق والاستقامة، والنّاس تتحدّث عنه في المجالس، ويتناقلون أخباره وسهراته ومجالسه.

معاوية والشعر والشعراء:

إنّ معاوية استقطب الشعراء والمحدّثين وزعماء القبائل والقصّاصين في المساجد للإعلام، وفتح معاوية بابه لاستقبال الشعراء، وكلّ بيت من الشعر يعادله بثلاثمئة ألف دينار، وكلّ حديث يعادله بآلاف، كما فعل مع ابن جندب، حيث أذن للنّاس إذناً عامّاً، وقال: أنشدوني، الشاعر يقول له كلّ بيت بثلاثمئة ألف ومعاوية يقول له: أنشدني.

قطعاً هذا غير متعارف عليه عند عليّ عليه السلام ولا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، لماذا لا يسمّون معاوية كريماً يهب الأُلوف من بيت مال المسلمين ويُكرم مَن يشاء بغير حساب، ويقتل ويشرّد ويسبي وينفي، كما أنّه صاحب مجلس وجلّاس، ولا يساويه رجل في الكرم والعطاء؟

هذا شيء جديد مستحدث لم يفعله أولاد الصحابة ولا أولاد المهاجرين والأنصار، ولا أولاد الخلفاء، كان في زمانهم إذا صدر من أحد أولاد الصحابة أو أولاد الخلفاء ما يخالف الشرع كثر القال والقيل، والنقد والحديث، والنكران والردع لهم، أمّا شذوذ يزيد وانحرافه فهو من المسلّمات والمشهورات، وممّا أجمعت عليه الأُمّة فأهل الحجاز على علم واطّلاع، وأهل مصر والشام على دراية، ولا يخفى شيء على النّاس، وحتّى لو كانت بالخفاء، فإنّها تظهر والباطل ينتشر.

وأهل الكوفة والبصرة سمعوا وعلموا، ولكنّ الولاة رضوا وسكتوا، وداهنوا حفظاً لمنصبهم، والساكت عن الحقّ شيطان من الشياطين، والنّاس في زمن معاوية كانوا أقساماً:

١ ـ قسم هيّاب خائف مبتعد عن الساحة، منطوٍ على نفسه، يحبّ العافية، ضعيف، يحبّ الهمس بالخفاء، لا يجرأ أن يقول كلمة واحدة، وما أكثر هؤلاء في كلّ زمان!

٢ ـ قسم آخر يلهث وراء المادة، باع نفسه وشرفه، وأكثر من مدح بني أُميّة، أمّا المدافعون والمتحدّثون فكثيرون في زمن معاوية، ومن جاء بعده، يخفي الألم، ويسكت عن الحقّ؛ لأنّه يقبض عطاءه ولو على حساب الأُمّة.

٣ ـ بقيت فئة قليلة، وهم أهل الخير والصلاح والدين والمروءة والكلمة، وهؤلاء دعاهم معاوية إلى إعلان الطاعة والرضا ببيعة ولده، دعاهم وشدّ الرحال إليهم، وبعث عليهم، واستطلع آراءهم، وأكثر معاوية من الرجال والسفراء، وبذل الأموال في مكّة والمدينة والكوفة والبصرة ومصر ودمشق، ووزّعت الأموال بلا حساب، وزّعت على الخطباء والشعراء بلا حساب، قل وخذ عطاءك، كلّ ذلك من أجل ولده.

يزيد (لا زاده الله) يكون خليفة على المسلمين من بعده، وعقد معاوية المجالس ودعا الخطباء والشعراء ودعاة السوء ووعّاظ السلاطين ليتحدّثوا عن فضائل بني أُميّة ومجدهم وشرفهم، وأنّهم يريدون الخير للنّاس، وخطبوا وقالوا واختلقوا فضائل لبني أُميّة، وخطبوا وكتبوا ونظموا، ومن بين تلك الخطب ما قاله ابن زياد علناً وجهرة في الكوفة والنّاس يسمعون ولا يردّون عليه بكلمة واحدة.

كيف أصبح يزيد خليفة؟ وما هي مؤهّلاته لذلك؟

لقد رشّح معاوية واختار ولده لهذا المنصب الخطير، ولم يشاركه أحد، ولم يسبقه غيره من قبل، أيكون يزيد خليفة كما يقولون، وكما يزعمون؟ اختاره أبوه ليكون خليفة على هذه الأُمّة، الله أكبر!! ماذا فعل معاوية، وما الذي قام به، وكيف أقدم على ذلك وهو يعلم أن يزيد ليس له في قلوب النّاس أيّة مودّة واحترام.

أيكون يزيد خليفة المسلمين وليس له في قلوب المسلمين ولا قلوب الأشراف ولا عند المهاجرين ولا الأنصار ولا الصحابة وأولادهم وحتّى العوام من النّاس أي مودّة، وأي منزلة؟ نعم، إلّا في قلوب زعماء القبائل والأُسر، ومَن له صلة بقصر الإمارة من قبل من أجل حطام هذه الدنيا، من أجل الطمع والحياة.

إنّ معاوية أقدم على هذا الفعل الكبير وهو يعلم أنّ في كلّ مدينة إسلاميّة معارضاً لفعله، وفي كلّ مدينة هناك مَن يكره يزيد ويلعنه ويبرأ منه؛ لأنّه يزيد...

ولا يرضى من معاوية هذه الخطوة وهذا التصرّف الجديد الغريب، لا في البصرة ولا في الكوفة ولا في الحجاز ولا في سائر الأمصار، ما سمعنا قبله من فعل مثل هذه الفعلة، يختار ولداً فاسقاً طائشاً متهوّراً لهذا المنصب! وهناك طبقات كثيرة ناقمة غاضبة وثائرة عليه، طبقات اجتماعيّة لا ترضى بذلك، وهي تعلن عداءها ونكرانها لأفعال يزيد وتصرّفاته قبل أن يقدم معاوية على ترشيحه للخلافة كما يزعم.

وحتّى أهل الرأي والبصيرة، وأهل الفكر والمروءة، وأهل الدين سكتوا خوفاً، وما أكثرهم في هذه البلاد الواسعة، وفيها ما فيها من أهل الدين، وما خلت البلاد منهم، وفيها أهل الدين وأهل الرأي والمعرفة، وأهل الدين بطبعهم لا يسكتون، وبطبعهم لا يهادنون ولا يداهنون؛ لأنّ الدين هو يحرّكهم ويدفعهم على الاعتراض والقول والنكران، وهم يعلمون بالحديث النبوي:

«من رأى منكم منكراً ...»

ولكن معاوية صفّاهم، وقضى عليهم، وحاربهم، وفعلاً قد حصل ذلك، كان معارضة لفعل معاوية، ومعاوية يعرف أهل المعارضة فرداً فرداً، واستعدّ للمواجهة، وأقدم على ذلك الفعل، وفعلاً قد عارضوا معاوية سرّاً وجهراً، وحصلت اعتراضات ورسائل كثيرة من هنا وهناك، علناً وسرّاً، جماعة وفرادى، واستغلّوا المناسبات الدينيّة والاجتماعات ومواسم الحجّ، ومن ذلك خطب الحسين عليه السلام بلسانه ورسائله، وقسم منهم اعترض، والآخر همس؛ لأنّ الخوف والأشباح تهدّدهم، والعيون تلاحقهم، وقسم سكت وهو يخفي المعارضة بسبب ما.

أمّا أهل الدين، ويقودهم الحسين عليه السلام، ويتزّعمهم الحسين عليه السلام، والحسين رفع لواء المعارضة، فإنّهم عرفوا أنّ السكوت خطيئة، وأي خطيئة كبرى، وهاهي تصبح فتنة ومصيبة وطامة كبرى، وهي من المصائب التي وقعت على هذه الأُمّة، وجلبت الويلات على هذه الأُمّة، وغيّرت مجرى التاريخ.

ويا ليت معاوية لم يقدم على هذه الخطوة وسكت، ولو سكت ولم يفعل لما كانت الدنيا بهذا الشكل، ولما وقعت الواقعة.

ويا ليت معاوية استعمل المشورة والشورى، وشاور أهل الرأي وأهل الحلّ والعقد من هذه الأُمّة، ولم يمل إلى هذه الأساليب الكثيرة الملتوية الجديدة، ويلجأ إلى الكذب والخداع وبذل الأموال الكثيرة وتزييف الحقائق، والتهديدات والرسائل والوفود وشراء الذمم والضمائر.

ولو نسأل معاوية ونقول: لماذا كلّ ذلك يا معاوية ؟ هل لمصلحة بني أُميّة، أو لمصلحة يزيد، أو لمصلحتك أو لمصلحة الأُمّة ؟

ودعا معاوية النّاس إلى بيعة يزيد، وأوصى يزيد بدعوتهم من بعده، ونفّذ يزيد وصيّة أبيه، وبعث برسالة إلى أهل المدينة يدعوهم إلى بيعته عامّة، وإلى نفر من أهل المدينة خاصّة، وأمر الوالي الأُموي أن يدعوهم، وكذلك الحسين عليه السلام إلى بيعته

خاصّة ، ولكنّ الحسين رفض تلك البيعة علناً وجهراً ، ودخل على الوالي ومعه إخوته وبنو عمومته حاملين السيوف غير مبالين بالسلطة ، ووقفوا على الباب ، ودخل الحسين عليه السلام على الوالي ، وطال الحديث بين الحسين عليه السلام وبين والي المدينة .

ما قبل الخلافة مقدّمات وممهّدات :

معاوية بدأ يستقطب النّاس ويجزل لهم العطاء ، ويشتري ضمائر النّاس بما لديه من إمكانيّات ، وسافر واجتمع برجال المعارضة ، وعقد الاجتماعات واللقاءات ، والنّاس بين ضعيف خائف مغلوب على أمره ، وأقام في الكوفة ، وسافر للمدينة ، وأقام في المدينة طويلاً يستطلع آراء النّاس ووجهات نظرهم في أمر الخلافة ، حيث كان يعلم أنّ في الأُمّة الكثير الذين لا يرغبون ببني أُميّة ويكرهون حكمهم ، وبصورة مجملة فإنّ طبقات المجتمع من الأشراف والأثرياء كانوا لهم رغبة في حكم بني أُميّة ، وأمّا رجال الدين الذين لهم ميل واتّصال بالبيت النبوي ، أمثال عبدالله بن عبّاس ، فكانوا يمثّلون حركة المعارضة لحكمهم .

عقد معاوية عدّة لقاءات مع أهل الحلّ والعقد ، واجتمع مع عبدالله بن عبّاس ، ودار الحديث عن الخلافة . معاوية يريد أن يرغّب النّاس ببني أُميّة ، ويستميلهم لحكمه ، فإذا استمال النّاس إلى بني أُمّية سهل الأمر وبذلك يمهّد الطريق لتنصيب ابنه يزيد ويضمن الاعتراف بخلافته .

وكان الاجتماع طويلاً وجريئاً وصريحاً ، ومليئاً بالعصبيّة . ابن عبّاس يحمل فكراً يميل باتّجاهاته للإمام عليّ عليه السلام ؛ لأنّه هاشمي ، ومعاوية أُموي نسباً ، وممّا دار بينهما أن قال معاوية لابن عبّاس : إنّكم تريدون أن تحوزوا الإمامة كما اختصصتم بالنبوّة ، والله لا يجتمعان أبداً .

هل يا ترى هذه الكلمة تعبّر عن رأي معاوية ؟ وهل الإمامة والنبوّة بيده يعطيها

من يشاء ، أم أنّها أمر واختيار إلـهي لمن له أهليّة وكفاءة لقيادة الأُمّة ؟ إنّ الله عزّ وجلّ اختار محمّداً ﷺ لهذا الأمر ، وقد نفّذ ﷺ أمر الله في وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام في حين يرفض ذلك معاوية ، بل كان أوّل مَن تمرّد على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام .

ثمّ انتقل معاوية للخلافة ، فقال : وإنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهة على النّاس ، إنّكم تقولون : نحن أهل بيت النبي ، فما بال خلافة النبوّة في غيرنا ، وهذه شبهة ؛ لأنّها تشبه الحقّ وبها مسحة من العدل ، وليس الأمر كما تظنّون . إنّ الخلافة تتقلّب في أحياء قريش برضى العامّة وشورى الخاصّة .

أقول : إذا كان الأمر كذلك يا معاوية فلماذا تستعملها في خلافة ولدك الفاسق ؟

ومن كلمات معاوية أيضاً مع ابن عبّاس : ولسنا نجد الناس يقولون : ليت بني هاشم ولونا ، ولو ولونا كان خيراً لنا .

نسأل معاوية أي أُناس تقصدهم ؟ وأي أُناس يقولون ؟ وهل يستطيع النّاس أن يقولوا ذلك والسيوف مسلّطة على رقابهم ، وأبواب السجون مشرعة بوجوههم ، والمعاول مرفوعة لهدم دورهم ؟ ولو ولونا كان خيراً لنا في دنيانا ، ولو كنتم زهدتم فيها أحسن كما تقولون ما قاتلتم عليها اليوم ، ووالله ! لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للنّاس منكم .

أمّا ما يقوله ابن عبّاس :

أمّا قولك يا معاوية : إنّا نحتجّ بالنبوّة في استحقاق الخلافة ، فهو والله كذلك ، فإن لم يستحقّ الخلافة بالنبوّة فبم يستحقّ ؟

وأمّا قولك : إنّ الخلافة والنبوّة لا تجتمعان لأحد ، فأين قول الله جلّ جلاله : ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً** ﴾[1] ؟ ، فالكتاب

---

(١) النساء : ٥٤.

هو النبوّة ، والحكمة هي السنّة ، والملك هو الخلافة ، فنحن آل إبراهيم ، والحكمة جارية فينا إلى يوم القيامة .

وأمّا دعواك على حجّتنا أنّها مشبّهة ، فليس كذلك ، وحجّتنا أضوأ من الشمس ، وأنور من القمر ، كتاب الله معنا وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله فينا ، وإنّك لتعلم ذلك قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمّك ، فلا تبك على أرواح في النّار هالكة ، ولا تغضب لدماء أراقها الشرك وأحلّها الكفر ووضعها الدين .

وأمّا ترك تقديم النّاس لنا فيما خلا وعدولهم عن الإجماع علينا ، فما حرموا أعظم ممّا حرمنا منهم ، وكلّ أمرٍ إذا حصل حاصله ثبت حقّه وزال باطله ، وأمّا افتخارك بالملك الزائد الذي توصّلت إليه فقد ملك فرعون من قبلك ، فأهلكه الله ، وما تملكون يوماً يا بني أُميّة إلّا ونملك بعدكم يومين ، ولا شهراً إلّا ملكنا شهرين ، ولا حولاً إلّا ملكنا حولين .

وأمّا قولك : إنّا لو ملكنا فملكنا أهلك للنّاس من ريح عاد وصاعقة ثمود ، فقول الله يكذّبك في ذلك ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1] ، فنحن أهل بيته الأدنون ورحمة الله خلفه كرحمة نبيّه خلفه .

هل كان الحسين عليه السلام يفكّر بانتزاع الخلافة والحكم والسلطة من يزيد لنفسه ؟ وهو أحقّ بها من غيره؛ لأنّه هو الإمام الشرعي ، والإمام الحقّ ، والإمام المنصوص عليه ؟

إنّ الحسين عليه السلام لم يفكّر بذلك مطلقاً من حين خروجه إلى مقتله ، ولكنّ السؤال بماذا كان يفكّر الحسين من حين خروجه حتّى ساعة مصرعه ؟

الجواب :

الحسين عليه السلام يفكّر بأمرين :

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

الأمر الأوّل : من الناحية السياسيّة ، وهو تعرية بني أُميّة ، وكشف أخطارهم ، والتعريف بيزيد وفسقه ، وعدم لياقته لهذا الأمر المقدّس؛ لأنّه دون ذلك .

والأمر الثاني : من الناحية الاجتماعية ، وذلك في توعية المسلمين ، وشحذ هممهم ، وتحريكهم وإيقاظهم ، ما قرأنا ولا ورد عن الحسين عليه السلام خلال مسيرته ورحلته من مكّة والمدينة حتّى كربلاء أنّه قال لأصحابه : نحن متوجّهون إلى هدم عروش بني أُميّة ، واستلام الخلافة من يزيد بن معاوية ، وعندنا الراحة والأمان والاستقرار ، ولم نقرأ عنهم إنّه قال لأصحابه : نحن في طريقنا إلى الشام نهدم عرش يزيد بن معاوية ونستلم الحكم وأنتم أعوان لي على إدارة الحكم وشؤون الأُمّة أو تكونون ولاة أو أعواناً ، وإنّما كان يتحدّث عن الموت والدم ، وكان يخاطب أصحابه بأنّه يريد منهم الإخلاص والفداء والتضحية ، وأن يبذلوا مهجهم من أجل الدين ، وهو القائل :

« مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً عَلى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا ، فَإِنَّني راحِلُ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللهُ تَعالى »(١) .

أي أنا أُريد منكم بذل المهج والقلوب والدماء من أجل إيقاظ الأُمّة ، وأنا وأهل بيتي نشارككم هذه التضحية والعطاء ، أنا أُريد لكم بذل الذات ، وإنّا متوجّهون نحو الموت ، وبذل النفوس إلى الموت :

« خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلى جِيْدِ الْفَتاةِ » .

وربّ سائل يسأل : لماذا لم يفعل الحسين عليه السلام كما فعل أخوه عليه السلام من قبل ؟

الجواب :

نقول في جواب هذا السؤال : إنّ الإمام الحسين عليه السلام في حالة ضرورة ، وكما دعت

---

(١) من كلام له عليه السلام قاله في مكّة .

الضرورة الإمام الحسن عليه السلام إلى إبرام وثيقة الهدنة والصلح مع معاوية لمصلحة أهل العراق وأهل الشام، لو التزم معاوية أو نفّذ بعض بنودها، ولكنّه لم يلتزم بذلك، وقد ألحّ كثيرون على الحسين عليه السلام أن يفسخ العقد مع معاوية، ولكنّ الإمام أبى إلّا أن يلتزم به، وأجاب أنّ لكلّ شيء أجلاً، ولكلّ أمر كتاباً، وعسى أن يكون هذا فتنة لكم، وقصد الحسين بذلك هو أن يكشف حقيقة معاوية الذي تجلبب بجلباب الصحّة وكبر السنّ وغيرها من الأمور.

فلسفة الصلح وآثاره ودواعيه:

لماذا صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية، ولماذا حارب الإمام الحسين عليه السلام يزيد؟ وهذا السؤال ليس جديداً، وليس هو من عقليّة اليوم.. الإمام هو الإمام.. وهو أعلم بتكليفه ووظيفته الشرعيّة، وهو أفضل من غيره بما يخدم المصلحة العامّة، ويجنّب الأمّة الشرّ، ويرضي الله تعالى. ولا يقدم الإمام على فعل شيء مطلقاً إلّا وهو يعرف نتائجه وآثاره، وأقدم الإمام الحسن عليه السلام على كفّ الأذى عن هذه الأمّة، وحماية الشعبين، وحقن الدماء، وكشف بني أميّة الذين سمّوا أنفسهم الولاة الشرعيّين، يحكمون باسم الإسلام وهم أعداء له، وحرب عليه قطعاً، ولكنّه عرّاهم للدنيا وللأجيال، وكشف القناع الأسود عن وجوههم للأمّة المخدوعة بهم، وعرّفهم بأنّهم يكذبون، وأنّهم أناس لا يلتزمون بذمّة ولا ذمام ولا معاهدة ولا التزام.

ولا يلتزمون بقول، ولا يتورّعون عن سفك الدماء، وقد عاهدتهم، وقد نقضوا العهد، وقتلوا المؤمنين. وهذا خير شاهد على جاهليّتهم الأولى، وهم كما هم عليه، يبطنون النفاق، وهم أعداء للأمّة، ويريدون الإطاحة والهدم وهم أعداء.

أصدقاء بالظاهر، كفّار بالباطن، فكيف معرفة ذلك، واستطاع الإمام الحسن عليه السلام بفترة وجيزة كشف حقيقة معاوية الذي تسربل وتبرقع وارتدى رداء الصحابة الكرام، ومن كتبة الوحي الفضلاء، هكذا يقولون عنه. وما يزالوا يقولون، وكيفما

كان فالإمام أقدم على فعل بقبول الشريعة والعرف الاجتماعي والمنطق السياسي

وقضيّة الصلح أو المعاهدة هل هي مسألة فقهيّة ؟ يجوز له أو لا يجوز ؟ أو يجب عليه أو لا يجب ؟ أو هي مقدّرة عليه ولا بدّ منها ، وهو ملزم بذلك قبلاً؛ لأنّها مقدّرة عليه تقديراً إلهيّاً ، ولا بدّ له وعليه أن يصالح؛ لأنّ الصلح أفضل وخير للأمّة ، والله أعرف بمصلحة العبد؛ لأنّ العبد يستجيب ويطيع أو هو حلّ موقت لدواعي وقتية وهو أهون الشرور أو هي مسألة اضطراريّة اضطرّ إليها اضطراراً بحكم الزمن والطوارئ والحكم الاضطراري جاءت به الشريعة ، ونادى به القرآن ، ومن فعل فعلاً اضطراراً فلا إثم عليه ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1].

أو هي مسألة قوّة أو ضعف ، وماذا يصنع الضعيف مع القوي ؟ ألجأته الحالة الطارئة والتغييرات المفاجأة فصار في حالة عدم التمكّن وعدم القدرة من المقاومة والدفاع . بدأ أوّلاً بجيش ثمّ طرأت حالة ثانوية ، حالة اضطراريّة وضرورة طرأت وحصلت له ، وحبّ أوّلاً لها بعد أن توجّه نحو الحرب وتهيّأ للقتال ، ومارس القتال ، وقصد الحرب ، ثمّ طرأ عليه ، وظهر الحال أنّه لا يمكن ذلك مطلقاً ، فعندها عرف أنّ تكليفه الشرعي هو الصلح لحقن دماء أصحابه المؤمنين ، ونعم ما أقدم عليه .

أو هي مسألة فقهيّة ، أي كان له أن يفعل غير ذلك ولم يفعل ، أي كان حكمه الشرعي أن يجرّد السيف ويغامر ويدفع بأصحابه نحو القتال ، ولو كان ذلك يؤدّي إلى قتلهم ، وكيف يفعل ذلك وهو ابن أبيه وجدّه .

لعلّ بعض الأوهام والعقليّات الضعيفة توهّمت ذلك أنّه كان له أن يحارب معاوية ولم يحارب ، وبعبارة أُخرى : أي كان حكمه الشرعي هو الحرب والوقوف بوجه معاوية وليس حكمه الشرعي الصلح ، وكان واجباً عليه شرعاً أن يفعل الحرب

---

(١) البقرة : ١٧٣ .

صحيح ذلك **أوّلاً** وابتداءً كان ذلك ، ولكن بعد ما تبيّن له وانكشف له الأمر ، واتّضح أن الصلح خير له في دنياه ودينه ، وله وللآخرين فعله ، أو هي مسألة تكوينيّة وتقدير سماوي يجب عليه ، ولا بدّ له ولا بدّ منها ، ولا خلاص ولا فرار له منها مطلقاً ، وهذا تكليفه الخاصّ به أن يفعل كذا. هكذا علم هو وأخبر من قبل.

إنّ الله تعالى كتب عليه ذلك فما عليه إلّا الطاعة ، هكذا في علم الله ، إنّ الله أمره بتلك وأنّ المدوّن عليه هو هذا. فما عليه إلّا السمع والطاعة ، فاستجاب الإمام الحسن عليه السلام إلى الفعل الحسن؛ لأنّ الله أمره بالفعل الحسن ، فنعم ما فعل طاعة لربّه ، واستجاب لقضاء الله ، وهذا هو المكتوب عليه ، وهو يعلم بذلك ، وأُخبر به قبل حدوثه ، وقبل وقوعه ، أخبره به جدّه سابقاً وأبوه لاحقاً.

مسألة الصلح بين عقليّتين:

بعدما أقدم الإمام الحسن عليه السلام على ذلك حصل الاعتراض عليه من أصحابه ، ومسألة الاعتراض تمثّل عقليّة لم تدرك المصلحة والداعي لذلك ، ونقطة الخلاف بين الإمام الحسن عليه السلام وما فعل وبين شعبه ، ليس كلّهم يدرك ذلك... ولماذا اعترض عليه من اعترض ، وحصل منهم ما حصل ، وبلغة غير مهذّبة ولا مؤدّبة ، ولعلّهم لم يفهموا ذلك ، وظنّوا أنّ الإمام الحسن عليه السلام ذو قدرة ، وأنّه يستطيع أن يفعل غير ذلك ، ولم يفعل ، وقالوا وأساءوا الأقاويل معه.

وهل يجوز للمأموم أن يعترض على الإمام إذا فعل فعلاً.. وهو لم يدرك حقيقته ؟

وهل له أن ينبّه الإمام على ما صدر منه أو يسأله عمّا فعله ؟

ولماذا فعلت أو عليك أن تبيّن لنا عمّا فعلته ؟

إنّ هذا غير مقبول...

وأتمّ الصلح والصلح بين عقليّتين: عقليّة هضمت الصلح ورضيت به ، وآمنت

به ، وعقليّة وجدت فيه صعوبة وألماً ، واعترضت عليه ؛ لأنّها لم تدرك ولم تهضم ولم تعِ ما يقوله المعصوم وما فعله الإمام ، وما يفعله ، وما يخطوه من خطوات مباركة ، والمعصوم لا يتصرّف ولا يتحرّك بحركة من أجل مصلحته الذاتية ، وإنّما يفعل من أجل الله ، ومن أجل إعلاء كلمة الله . وخدمة لشريعة محمّد ﷺ ومن أجل الصالح العامّ ، ومن أجل الأُمّة ، وامتثالاً لما كتب عليه ورسم له ، وأخبر عنه ، وكُلِّف به .

عقليّة غير الراضين عن الإمام الحسن عليه السلام ومن تصرّفاتهم واندفاعهم ، وما صدر عنهم يدلّ على أنّهم لا شيء ، وليس هم بالمستوى اللّائق سياسياً ولا فكريّاً ولا عقائديّاً ، وحتّى أخلاقياً ، وكان الأنسب منهم أن يعقدوا اجتماعاً مغلقاً ، ويختاروا منهم الرجل الفاضل المدرك للأُمور العامّة ، والمتحمّس لقضايا الأُمّة ومصالحها ، ويجتمعون مع الإمام ، ويدور الكلام حول الموضوع في الاجتماع المغلق ، ويدور الحوار بلغة مهذّبة ، وبعقليّة مفتوحة ، فيتوصّلون إلى الجواب ، وما هو القول ، وكان الأفضل أن يسألوه عن الدافع ، وعن التكليف ، وعن المصلحة ، وعن النتائج بلغة سياسيّة ، وبعقيدة واحترام . وبما يليق به؛ لأنّه إمام وقائد ومعصوم ، وما صدر عنهم يدلّ على تخلّفهم الخُلُقي والعقائدي والإداري وحتّى السياسي .

عبارات وقحة رعناء جارحة ، تنبئ عن نفسيّات عليلة ، وألسن مصابة .

الحسين عليه السلام عزم وإرادة:

١ ـ وهبّ الحسين عليه السلام حفيد الأنبياء ، وبقيّة أنصار الحقّ في الأرض ، ورافع لواء الله في بني الإنسان ، وهو يردّد كلمة التوحيد ، إنّه حسين البصيرة ، وحسين النبوّة .

٢ ـ وهبّ ثائراً ، وأعاد للإسلام هيبته ووجوده وقوّته وصولته .

٣ ـ وهبّ الحسين عليه السلام وعندها أدرك النّاس أنّ للإسلام ناصراً وحامياً ومدافعاً.

وعرف المسلمون أنّ أهل البيت هم لا غيرهم قاموا أو قعدوا، وهم حماة هذا الدين، وليس غيرهم، وهم أهل الدين، وهم الذين غرسوه في النفوس، ودعوا إليه وهم حرّاس هذا الدين.

٤ ـ وهبّ الحسين عليه السلام في زمان خالٍ من جدّه وأبيه وأخيه، وقام بالمسؤوليّة التي لا يقوم بها غيره. كان الإسلام مهدّداً، وقد أُصيب بالذبول والخمول وكأنّه شجرة جفّ ماؤها، وغاب عنها حارسها وراعيها، وكأنّه بيت شيّده بانيه وغاب عنه، وبقي خالياً موحشاً.

فقام الحسين عليه السلام في وقت جلس الجميع وانزوى جميع من ينتسب إليه في القول... وبذل في سبيل الإسلام ما لديه.

وقام هذا الحفيد في زمن استهان الحاكمون بكلّ مقدّس وتشريع، وكادت العصبيّة تطغى على كلّ ما هو إسلام، وكادت الأُمّة ترجع القهقرى إلى العهود القديمة إلى الجاهليّة، وعادت العادات القبليّة والعصبيّة، وأصبح المسجد خالياً، وأصبح القرآن لا يقرأ علناً وجهراً، وأصبح من يصلّي كأنّه جاء بأمر غريب غير مستحسن، ومثل هذا الفرد يشار إليه بريبة وغرابة.

كيف توصّل بنو أُميّة إلى الحكم؟

ومَن هم بنو أُميّة؟ نسبهم.. أخلاقهم..، وما هي حالة النّاس أيّام بني أُميّة؟

مقدّمة لا بدّ منها:

ما هو سلّم الوصول والصعود، أو القناة التي ساد فيها بنو أُميّة وتسلّقوا إلى منابر المسلمين، أو الجسور التي عبروا بها من الصحراء إلى المدينة الإسلاميّة، وظهروا بعدما انتهى حكم الراشدين.

وانتهى هذا الحكم بقتل عمر وعثمان واستشهاد عليّ بقتله، وتغيّرت الحال بمجيء معاوية وظهوره على المسرح السياسي، وبدت الدولة الإسلاميّة تصاب بانتكاسة بظهور بني أُميّة، وهم يشكّلون كتلة لا تتورّع، واتّجهت إلى تكوين أنفسهم بالثراء والتسلّط والعنف، وأنّهم أُسرة لها وجودها من بين الأُسر، واتّجهوا إلى بناء ملك حظي بتوارثه الأبناء عن الآباء، والقضاء على كلّ من يعارضهم أو يعلن لهم الإنكار أو العداء أو المعارضة باسم الحقّ. وبدأ يظهر على المسرح السياسي زحف إسلامي باتّجاهاته ولغته وأفكاره، وزحف أُموي له اتّجاهه وصولته وإمكانيّاته وأنصاره.

وظهر الصراع بين هذا وهذا..

هذا انطلق يحمل شعاراً، وهذه الفئة امتثلت مطالبها، تارة تطالب بدم عثمان، وأُخرى.. وأُخرى فئة باغية.

ولم تكن دولة بني أُميّة وتكوينها على أنّها دولة إسلاميّة للإسلام قدسيّة وللمسلمين حرمتهم، وإن كان ملكاً والأرض ملكاً لهم والعباد عليهم إطاعة بني أُميّة، ولم يكن ملك بني أُميّة وسياستهم وتصرّفاتهم وأعمالهم مرغوباً بها عند الصحابة بوجه عامّ، والتابعين وحملة الفكر الإسلامي، فإنّ هؤلاء يرون أن بني أُميّة، أو هذه الأُسرة تطفّلت على الحكم أو تسلّقت إلى الحكم، أي اغتصب الخلافة و... ومنذ أيّامها الأُولى كان بين المسلمين من يعارض بني أُميّة، ويعلن تظاهره عليه، وإلى الدعوة إلى حربهم ويرى أنّ آل عليّ عليه السلام هم أحقّ منهم بإدارة شؤون المسلمين.

البداية:

وبدأ دور الحسين عليه السلام في الكفاح والمواجهة والعنف مع بني أُميّة، وهنا نافذة ضيّقة لا بدّ من الدخول منها:

هل الحسين عليه السلام رجل دماء وحرب وعنف ؟ أو كان الحسين عليه السلام يريد الحرب رغبة منه وبلا مبرّر شرعي ؟ وكان الحسين عليه السلام يريد الحرب وهو بتلك القوّة المحدودة البسيطة وبتلك القدرات والامكانيّات ، وأين للحسين عليه السلام تلك القوّة ؟ !

وهل كانت لديه إمكانيّات هائلة ، وهل أدرك الحسين عليه السلام أنّ الأُمّة سوف تستجيب له ، وتلبّي دعوته ، وبدأ ثائراً ، ونتكلّم بلغة أُخرى ونقول : الحسين عليه السلام عنده إمكانيات أُخرى ومختلفة ، فلا يتوقّف الحسين عليه السلام على جيش واستجاب الآخرين له ، القريب والبعيد ، أو القرابة أو الصديق أو من سمع أو من لم يسمع ، ولا حاجة لسيف أو رمح ، وإنّما يملك أسلحة خفيفة قويّة فاعلة إن أرادوا الحرب فليدعوا عليهم ، والدعاء سلاح المؤمن كما يقال ، وتستجيب له السماء وسكّانها ، والرياح؛ لأنّ الإمام له ولاية على أهل الأرض ، أو يدعو وينزل عليهم ناراً ، ويحرق الأرض تحت أقدامهم ، أو يسلّط عليهم الشمس لتحرقهم .

ليس الحسين عليه السلام هكذا ، إنّما هو رحمة وداعٍ إلى هدى ، والحسين عليه السلام لم يحارب بني أُميّة بالسيف وحده ، وإنّما حاربهم بالهدى والبيان والإرشاد والتوعية ونشر ما فعلوه ، وما أرادوا فعله في هذه الأُمّة ، وقد ذكر الحسين عليه السلام بني أُميّة في مواطن ومواقف متعدّدة ، والمواطن التي ذكر فيها الحسين عليه السلام بني أُميّة كثيرة ، والمناسبات أكثر .

كان الحسين عليه السلام يستغلّ اللقاء والمناسبة ويقول ويتحدّث ويوضّح ، أينما حلَّ واستقرّ ، حتّى في طريقه إلى العراق ، وقد ورد أنّه لمّا صلّى بالحرّ الرياحي وجماعته خطب الحسين في الجيش المبعوث من قِبل بني أُميّة ، وهم جندهم وهم المرتزقة ، ووقف خطيباً وخطب علناً أمام الجيش وقال عليه السلام : إنّ هؤلاء قد عبدوا الشيطان . ليس هذا فحسب ، وإنّما كان كذلك حتّى في موقف أشد وأشدّ ، إنّه رجل الصراحة والبطولة ، وهو أمام جيش لا عدّ له وهو يدعوهم إلى الالتحاق والالتفاف به ، ويعلن أنّه أقرب النّاس إلى النبوّة ، وأنّه حفيد النبوّة ، فهو أوْلى بالاتّباع .

هل الحسين عليه السلام رجل ثائر بالسيف من أوّل يوم بدأ به التحرّك والتوجّه والرحيل ؟ أو هو رجل إصلاح وتوعية وإرشاد وهداية ونصائح ، ثمّ تحوّل إلى رجل دفاع عن نفسه وآله وهم ألجأوه إلى حمل السيف مدافعاً؛ لأنهم بدأوه بالحرب والاعتداء عليه ، فعليه أن يدافع والدفاع عن الأهل وعن النفس وعن الكرامة حقّ مقدّس وواجب شرعاً ، مهما كلّف الأمر ، ومهما كانت الحال ، ومرحلة الدفاع هي مرحلة ما قبل الشهادة .

وهل يصلح أن يوصف الحسين عليه السلام بالثائر ؟

أو يصلح أن يوصف برجل هداية وإرشاد وتوجيه وإنذار وتحذير وداعٍ للمعروف والخير ؟

وقد وصفه كتّاب ومؤلّفون قديماً وحديثاً بالثورة ، وبالرجل الثائر ، وما أعلم ماذا يقصدون بذلك .

هل يقصدون أنّه رجل إرادة ، قوي العزم ، شديد من أجل الله . . ؟

وعبارة شديد وأشدّاء يوصف بها المؤمن ، ويقصدون أنّه رجل لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يتردّد ولا يلوي أو يتراجع أو يوهن أو يضعف في سبيل الحقّ ، فهو كأبيه ،كان ناصراً للحقّ مع المظلومين ضدّ الظالم ، وبذلك أوصاه أبوه وأوصى أخاه «كونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً » .

قولا الحقّ واعملا لله ، وقد كان الحسين عليه السلام ناصراً للمظلوم ، ومدافعاً عن المظلومين ، وكان شديداً صريحاً ، وهذه كلماته ، وهذه رسائله وتصريحاته . اعترض على معاوية ، وبعث إليه رسائل يعترضه ، وهي كثيرة ، راجع على سبيل المثال كتاب بلاغة الحسين عليه السلام ، لمّا أعلن البيعة لولده يزيد .

أو يقصدون غير هذا ،كما تقرأوه اليوم في الكتب الحديثة والقصائد الجديدة ، ولكنّ الأمر عكس ذلك ليس الحسين عليه السلام بالرجل المعاصر الذي لا يفكّر بالربح

والخسارة، ليس هو بالرجل الذي تغرّه الأصوات ويطير بها، ويظنّ أنّها قوّة، وأنّ النصر هو بالمغامرات.

فقد قرأنا اليوم كثيراً من الكتب وعنونوها بالحسين الثائر، وبثورة الحسين عليه السلام وكتب أحد الكتّاب[١]: الحسين أوّل ثائر في الإسلام. هل يقصدون بالثورة الجهر والإعلان بعدم الرضا ببيعة يزيد وإظهار نفسه بالرافض لهذا الخليفة المزعوم، أو هم يقصدون غير هذا بأنّه خرج شاهراً سيفه أمام سلطة قويّة عنيفة شديدة وقحة مستمرّة لا تعرف للدماء أي عزّ أو تتورّع عن قتل المسلم الصحابي أو التابعي أو السيّد الشريف البريء مهما كان قدره ومنزلته في الأُمّة ؟

وقد تجرّأ أحد الكتّاب في هذا العصر في عبارة وقحة بقوله: على أنّ من الأسباب التي أدّت إلى هزيمة الحسين اعتماده على شيعة الكوفة اعتماداً كلّياً، فهو يخرج من المدينة في التسعين نفساً جلبهم، نساءً وأطفالاً، رغم أنّ بالحجاز من هم أعظم إخلاصاً له من شيعة الكوفة، الذين أثبت التاريخ تخاذلهم وتفرّقهم وتناسيهم حقوق أبيه وأخيه من قبل، وأبان عبدالله بن مطيع فائدة استعانة الحسين عليه السلام بالحجازيّين فقال له: فإيّاك أن تقرب الكوفة، فإنّها بلدة مشؤومة، قتل بها أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم، فإنّك سيّد العرب لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً، أو يتداعى إليك النّاس من كلّ جانب.

وأبان عبدالله بن عبّاس للحسين عليه السلام غدر الكوفة ولكنّه سدّ أُذنيه عن نصائحهم، كذلك لم يهتمّ الحسين عليه السلام بتنظيم دعوته ونشرها بين النّاس، وأهمل عنصر الدعاية اللّازمة للحروب وظنّ أنّ القوم سيقدمون على بيعته ويتهالكون في نصرته لانتسابه، وولاء النّاس، إمّا ببذل الأموال لهم وإشراكهم في بعض المطامع الدنيويّة، وإمّا

---

(١) محمّد عبدالباقي سرور نعيم.

بإسناد المناصب العالية لأشرافهم وزعمائهم ، كما فعل الأُمويّون[١].

هذا القول وهذا الافتراء أو هذا التصوّر يتمّ لو كان قصد الحسين عليه السلام في البداية هو المواجهة والحرب ، وإنّما كان قصده وهدفه وغرضه المقصود له هو إنقاذ الأُمّة وتوعيتها للخطر الذي يهدّدها ، وينذر النّاس وينصحهم أن لا يمدّوا أيديهم ويستجيبوا ويطيعوا ويعترفوا بيزيد خليفة ، ولعلّ أشرّهم لم يكن يعلم بذلك ولم يدرِ بموقف الحسين عليه السلام من بيعة يزيد وأنّه الرافض لها ، فعلى الحسين عليه السلام أن يخبر أكبر عدد من النّاس بأنّه الرافض لهذه البيعة ، وهي المجرّدة عن الشرعيّة والوثوق بها.

قالوا في الحسين عليه السلام :

ويقول المحلّلون : إنّ الحسين عليه السلام ثار ، وكانت ثورته واجبة عليه دون غيره ، وجوباً شرعيّاً أو عقليّاً ، وهو المكلّف بالثورة دون غيره؛ لأنّه أقرب من غيره للنبوّة نسباً ، ومعرفة ووراثة واتّصالاً وسيادة وشرفاً ، وهو مكلّف وواجب عليه وجوباً عينيّاً لا كفائيّاً.

وبداية القول :

إنّ الحسين عليه السلام في القوّة والعدّة دون بني اُميّة ، وممّا لا شكّ فيه أنّ بني اُميّة أقوى منه بكثير وأكثر أعواناً منه بكثير.

فكيف أقدم الحسين عليه السلام وهو كذلك على مقاومة تلك القوّة التي لا تقهر وليست هي دولة ليلة وليلتين ، أو شهر وشهرين ، أو سنة وسنتين ، بل هي دولة قديمة ، وأسرة كثيرة ، وأعوانها وأتباعها والمؤيّدين لها كثيرون ؟

وقد نسأل عن دوافع خروج الحسين عليه السلام بهذا الشكل وبهذه القوّة ، وعن هذه

---

(١) تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأُموي ـ الدكتور عليّ حسين الخربوطلي : ١٢.

التضحية لم تتصوّر من أحد من قبل، وهي تعدّ الفريدة من نوعها، ولم نر ولم نقرأ تضحية مثل الحسين عليه السلام حتّى الرضيع والرضيعة وحتّى الطفل والطفلة، وحتّى أعزّ النّاس عليه، وهي أُخته وولده، أتدري من أجل ماذا؟ الجواب ذكره هو في وصيّة لأخيه.

ويقولون: إنّ الحسين عليه السلام أنقذ الأُمّة من قبضة بني أُميّة وحرّكها للتحرّر من قبضة الأُمويّين، هذا القول يصحّ ويُقبل لو كان الحسين عليه السلام قضى على يزيد ودولته وحكومته أو أضعفه أو كوّن جيشاً كبيراً من أبناء الأُمّة حوله وقادها نحو الشام للإطاحة بيزيد، بينما هذا لم يتحقّق وبقي يزيد وأصبح قويّاً ومتسلّطاً على الأُمّة.

الحسين عليه السلام وصولته:

ما استطاع أن يقتل قائد الجيش عمر بن سعد!

الحسين عليه السلام وقدرته والكوفة وصولتها وأصواتها ما استطاعت أن تقتل ابن زياد، أو تخرج ابن زياد من الكوفة أو النعمان بن البشير من الكوفة.

ويقولون:

ماذا يريد الحسين عليه السلام؟

هل يريد مادة وأطماعاً وثروة؟

وتكفيه الأوقاف والعيون من تراث أبيه عليّ وأُمّه الزهراء عليهما السلام.

وهل يريد شهرة في الأُمّة..

وهو ابن سيّد البطحاء وهو ابن عبدالمطّلب وابن السادة الشرفاء، أو يريد مدح الشعراء ومدح الأقلام، أو ليكون حديث الساعة وأحاديث المجالس، لو لان

الحسين عليه السلام أو تراجع أو استجاب للأُمويّين أو جاملهم أو داهنهم ورضي بتصرّفاتهم.

لماذا صارع الحسين عليه السلام خصومه الأُمويّين أو يزيد بالذات، هذا الصراع القاسي الشاقّ؟

من أجل ماذا هذا الصراع العنيف الذي بذل من أجله وفي سبيله الثمن الغالي؟

فقد ذهبوا في ذلك مذاهب ووقع الكثير في أخطاء.

فقد يزعم من لا يملك الذكاء السياسي أنّ الحسين عليه السلام صارع هذا الصراع من أجل السلطة والوصول إلى السلطة، عن هذا الطريق الشاقّ وعن هذه الهجرة، وقطع المسافات حتّى تسلّم السلطة، وكلّ ذلك من أجل أن يقال له: أنت وليّ الأمر، وأنت أهل لذلك دون بني أُميّة.

وزعم آخر أنّه العداء الذاتي الشخصي بين الحسين عليه السلام ويزيد؛ لأنّ هذا هو وأبوه وجدّه أعداء لأبيه وجدّه، فتوارثا العداء، وسبب ذلك الصراع، كلّ ذلك هو الخطأ، الحسين عليه السلام صارع من أجل الحقّ من أجل العقيدة ومن أجل الفضيلة التي أعلنها أبوه وجدّه.

الحسين عليه السلام حارب ومعه القرآن:

ما فارق القرآن ولا ابتعد عنه، الحسين عليه السلام صارع ومعه جدّه المصطفى على لسانه في كلّ خطواته وحلّه وترحاله، كان يردّد محمّداً نسباً وانتساباً واقتداءً.

الحسين عليه السلام حارب وهو يردّد الحقّ والعدل ويحارب الظلم والباطل، هاك واسمع ما يقول.

الحسين عليه السلام وموقفه في وجه التيّارات السياسيّة:

والتيّارات السياسيّة أيّام الحسين عليه السلام كثيرة وفتّاكة من حيث الحركة

والقوّة والهدف.

وكان التيّار السياسي القوي الشديد أيّام الحسين عليه السلام ، ما هو إلّا أصوات ودعايات واتّجاهات وكلّها أشباح وأوهام وصور تهدّد الكيان والوجود الإسلامي وهيكل الأُمّة ومقوّماتها.

وقام الحسين عليه السلام بعمل مضادّ لذلك التيّار، والعمل السياسي الذي رشّحه الحسين عليه السلام واختطّه، وبه استطاع أن يكشف نوايا بني أُميّة المعادية وما يحملونه في نفوسهم، واستطاع الحسين عليه السلام بأقواله وتصريحاته وإجاباته وما قالوا يرسم به طريقة العمل ورسم صفحة حمراء اختطّها الحسين عليه السلام بالدم.

وكم صدر عن الحسين عليه السلام من قول عن الموت، ورسم تلك الصفحة بالتضحيات، هذا هو طريق الحسين عليه السلام ، وهذه البداية وعليها شعار، وظلّ يحمله حتّى أدّى رسالته، وبدأ الحسين عمله السياسي الجريء المكشوف العلني طوال حياته كلّها وثورته، أو أيّام عاشوراء، أو يوم عاشوراء، بل يقسّم عمله السياسي إلى مراحل ما قبل التوجّه إلى كربلاء، وعند توجّهه إلى كربلاء، وفي كربلاء حتّى الشهادة، ويبقى صوت الحسين عليه السلام ودعوته وأفكاره وعبقريته حيّة خالدة باقية، ويبقى الحسين عليه السلام يدعو للعمل السياسي بعد شهادته، ويبقى الحسين عليه السلام يغرس هذه المفاهيم في نفوس أتباعه وعارفيه، اليوم وغداً، ويبقى الحسين عليه السلام يغرس المفاهيم لثورته في أتباعه، ومن يحب السير على طريقه، ومن أراد السير على نهجه وطريقه وخطاه، داعياً أهل الكرامة أن يتّبعوه، وأن يقفوا في وجه الباطل والظلم والمشيّدين لهما.

هذا هو نهج الحسين عليه السلام .

لماذا ثار الحسين عليه السلام وتحرّك في أيّام يزيد؟

ويزيد ما هو إلّا استمرار لسياسة معاوية وتصرّفاته ونهجه ومنهاجه، وهو هو، لماذا لم يتحرّك الحسين عليه السلام أيّام معاوية مع وجود المبرّرات والدواعي والواجب الشرعي: القتل، المطاردات، المضايقات، المتابعات، الشدّة، العنف، وقد تحقّق كلّ ذلك وحصل أيّام معاوية، وتصرّفات معاوية وسياسته وحروبه، فكم قتل معاوية من الصحابة والعباد وأصحاب عليّاً واتّجاهاته كلّها مبرّرات، وتدعو الحسين عليه السلام وتحفّزه للثورة أيّام أخيه الحسن عليه السلام ؟

ولماذا يسكت الحسين عليه السلام ؟ أليس هذه كافية وعلّة ودوافع للثورة ؟

الجواب:

الحسين عليه السلام كان رجل ثورة، وأعلن الثورة الكلاميّة، وتمثّلت ثورته برسائله وإنكاره الشديد على معاوية، فقد بعث أكثر من رسالة إلى معاوية، وليس هذه الرسالة وحدها، فقد بعث إلى معاوية عدّة رسائل، رسالة بعد رسالة، ومن يتأوّل هذه الرسالة وما فيها، وما احتوته يجد فيها صور وانعكاسات وتصرّفات معاوية، وهي تدعو الحسين عليه السلام أن يتحرّك. هذه رسائل الحسين عليه السلام وقد عكست ودوّنت تلك الحياة وجاء فيها ما جاء.

إذن لماذا لم يثر الحسين عليه السلام ويتحرّك في وجه معاوية ؟

الجواب عن ذلك:

الحسين عليه السلام كان على اتّصالات متواصلة ومتابعة ومراقبة لتصرّفات معاوية. هذا وقد كتب إليه أهل العراق وقد دعوه أن يثور في وجه معاوية، وأجابهم الحسين عليه السلام وردّ عليهم أن يكفّوا عن ذلك، ويعودوا إلى دورهم، ويصبروا وينتظروا، محافظة للعهد الذي عقده الحسن عليه السلام مع معاوية، ومن رأي الحسين عليه السلام أن ينتظر الفرصة المناسبة والوقت المناسب، ناشد أصحابه وأصحاب أبيه، وكلّ من له عداء

لبني أُميّة، ودافع ديني أن يكفّ ويلجأ إلى داره ويصبر ويتحمّل الأذى ويتأمّل الوقت.

ومن هذه الرسائل التي وصلت إلى الحسين عليه السلام أيّام معاوية يُعلم بأنّ هناك جماعة غير قليلة من أهل البصيرة والفكر كانوا لبني أُميّة بالمرصاد، وتعمل ضدّ الحكم الأُموي، وضدّ سياسة معاوية وفي أيّام معاوية، وبنشاطات واجتماعات رغم المطاردات، ولما ازداد الجور خصوصاً بعد قتل حجر بن عدي حاولت تلك الجماعة أن تبرز للميدان الثوري العملي وتجهر بأعمالها ضدّ تصرّفات معاوية؛ لأنّهم علموا أنّ السكوت ليس هو التكليف الشرعي، وأنّ سكوتهم خطر عليهم وعلى الأُمّة، فلمّا كثرت أعداؤها، وازدادت ونشطت، وبرزت أيّام معاوية وبدأت بمقاومات ومواجهات رغم أنّ السجون ملئت بهم، وذهب الكثير منهم ضحية أيّام معاوية.

ولمّا ازداد الجور، وتفاقم الأمر، وبدأت الرسائل تشتدّ وتكثر، وكثرت اللقاءات، وكانت اللقاءات واجتماعات تعقد بين هؤلاء وبين الحسين عليه السلام، هؤلاء السياسيّون أهل الفكر، وهم الذين كانوا يعملون ضدّ الحكم الأُموي، وهم جماعة غير قليلين، والحسين عليه السلام يلتقي بهم في موسم الحجّ، وله تصريحات معهم راجعها في كتاب شجرة طوبى، خطب الحقّ أيام معاوية، وكان الحسين عليه السلام ينتظر الفترة المناسبة والظروف المناسبة لينطلق ويؤدّي رسالته المكلّف بها، وقد أعطى الحسين عليه السلام عهداً والتزم التزاماً، وحيث لم تسمح الظروف للحسين عليه السلام أن يثور أيّام معاوية، ولكن لمّا سمحت تلك الظروف أيّام يزيد، والدوافع الشديدة القويّة تحرّك الحسين عليه السلام وثار أيّام يزيد بن معاوية، ولعلّه أشار إلى ذلك الالتزام بجوابه للطرماح أنّه بينه وبين القوم عهد، أي عهد قصده الحسين عليه السلام؟

وقالوا وأكثروا من القول: إنّ الحسين عليه السلام لماذا اختار الكوفة دون غيرها، ولماذا لم يقاتل الحسين عليه السلام الحرّ الرياحي وجماعته، ولماذا لم يقاتل الحسين عليه السلام

الجيش في أوّل يوم من نزوله كربلاء وهو قليل وقبل أن يتكامل ؟

ولماذا لم يبدأهم الحسين عليه السلام بالحرب ؟

ولماذا أمهلهم إلى اليوم العاشر ؟

وهل كان له أمل بهدايتهم وتراجعهم وإدراكهم الصواب ؟

وهل كان يقصد توعيتهم وإرشادهم أكثر من الحرب والدم والعنف ؟

ويقولون : لماذا بعث مسلماً إلى الكوفة ، ومن أجل ماذا ؟

وماذا حقّق مسلمٌ ؟ ومن أجل ماذا ؟ وهل كان ناجحاً ؟

ماذاكانت النتيجة الإيجابيّة من وجوده في الكوفة ؟ وكيف يثق بالكوفيّين ويبعث بهذه الرسائل ؟

وقالوا : لماذا لم يبقَ الحسين عليه السلام في مكّة أو في المدينة ، ثمّ يدعو النّاس إليه ، أو يدعو للثورة ضدّ حكم بني اُميّة ؟

وقالوا : لو سافر إلى اليمن ، وقالوا : لو أخذ برأي المشيرين ، فإنّهم أكبر سنّاً منه ، وأكثر دراية وخبرة سياسيّة في الحياة العامّة ، وقالوا : لماذا أقدم على القتل وكان باستطاعته الخلاص من القتل والفرار من ساحته ، لماذا حارب ولم يملك جيشاً وسلاحاً وقوّة كافية .

وقال الكتّاب والمحلّلون ، وقال كاتب جديد وله مؤلّف بلغة غير عربيّة أسماه باسم الحسين وكتب عن الحسين عليه السلام !

ويذهب إلى أنّ الحسين عليه السلام حارب ولم يكن قد أعدّ له خطّة عسكريّة تمكّنه من التغلّب على خصمه يزيد ، ويذهب الرجل إلى أنّ الحسين عليه السلام لم يكن قد أحاط بنفسيّة أهل الكوفة تلك الإحاطة التي تمكّنه من هذا الاندفاع نحو الحرب .

وقال في الحسين عليه السلام وظنّ أنّ ما قاله هو الصواب ، وحكم على الحسين عليه السلام بأنّه

جازف بنفسه نحو القتل، وفي رأيه أنّ بقاء الحسين عليه السلام ووجوده وحياته أكثر نفعاً للأُمّة من قتله، ولو اعتزل الحسين عليه السلام السياسة وبقي في داره لكان يفيض على النّاس بعلمه وأفكاره، ويبتعد عن الساحة، وفي رأيه أنّ النّاس كانوا محتاجين للحسين عليه السلام لدينهم ودنياهم.

ومن آراء هذا الكاتب أنّ الحسين عليه السلام عرّض عياله وأطفاله إلى الأذى، وأنّ الحسين عليه السلام لم يأخذ برأي المشيرين عليه، كابن الحنفيّة وابن عبّاس، وهم أكثر تعمّقاً منه، وباستشارتهم عليه بعدم الذهاب إلى الكوفة؛ لأنّهم لا يثبتون بالساحة، ومحمّد وابن عبّاس كانا مصيبَين بمشورتهما، ويرى هذا الكاتب أنّ الحسين عليه السلام ليس بمستوى محمّد بن الحنفيّة وابن عبّاس من حيث الخبرة السياسيّة، ومعرفة نفسيّة أهل الكوفة، وكان على الحسين عليه السلام أن يأخذ بمشورة أخيه، وجواب الحسين عليه السلام له بأنّه رأى جدّه وأنّه أمره بالسفر ليس جواباً، وليس المقام مقام رؤيا وأحلام، وأنّ الرؤيا تلزمه بأمر وحكم وتكليف، وهو رجل محاط بأعداء، وهو في مقام سياسي وبنو أُميّة أعدّوا العدّة لمواجهته، وضيّقوا عليه المدينة، وهو رجل معارضة، وأعلن معارضته جهراً وعلناً.

ما معنى أنّه يدّعي أنّي رأيت جدّي، وقال كذا وكذا، وأنّك تُقتل، وأنّ عيالك تسبى، ويأخذ بذلك ويشدّ الرحال؟ وكيف يسرع ويتوجّه نحو القتل إلى السيوف والمواجهة وبهذه السرعة من غير أخذ استشارة المفكّرين، والتسرّع في هذه الأُمور ليس من الدين في شيء، وكيف يعتمد ويأخذ بهذه الرؤية في المنام، وصحيح أنّ الحسين عليه السلام داعية صدق وهداية، لكن ليس هو بتلك الخبرة العسكريّة والسياسيّة القويّة الناجحة، والإحاطة العامّة في الأُمور العامّة.

هذا ماكتبه هذا الكاتب، وهو لم يدرك ولم يحلّل الأُمور الساخنة، ولم يعرف تكليف الحسين عليه السلام ومسؤوليّته، وكأنّه لم يدرك الخطر الأسود الذي يهدّد الأُمّة

من يزيد ، ولسنا نحن فقط نكره يزيد ، وإنّما هناك طوائف كثيرة وملل متعدّدة وصحابة أكثرهم يكره يزيد وحكموا بفسقه ، والذين حكموا بفسقه كثيرون من الصحابة ، وكثير من التابعين من أهل الدين ، ومتى كان مع الحقّ ، ويبرأ منه ويجوّز لعنه ، وإذا قيل من هو الرجل الشرير ؟ قيل : هو يزيد بن معاوية ، حقّاً هو كان كذلك .

والعجب كلّ العجب والمهزلة في التاريخ الإسلامي ، وهي الأُولى أنّ يزيد صار خليفة على المسلمين ، أصحيح ذلك ؟ وكيف صار ؟ ومن نصّ عليه ؟ ومَن رشّحه ؟ ومَن اختاره ؟ ومَن صوّت ؟ ومَن مدحه ؟ وما هي المؤهّلات والمرغّبات ؟ وماذا فيه من المحاسن ؟ دلّني عليها ، وكيف رضي من رضي به ومن أيّده ومن سكت ؟ هل رغبة معاوية ، أو رغبة غيره ؟ وهل لأنّه ابن معاوية ، وكان عند معاوية عدّة أولاد كثيرون غير يزيد ، وما هو الغرض من ذلك ؟

الغرض هو إبقاء الملك محصوراً في ذرّيّة معاوية ، وفي بني أُميّة ، ويتحوّل إلى ملك ، وقد وقع معاوية في شبكة الصيّاد ، وجرّ المسلمين إلى متاعب وفتن ، وهو أعرف النّاس بولده ، وهو الذي سمع ما سمعه من الآخرين عن ولده .

ولكنّ الحسين عليه‌السلام كان بالمرصاد ، وهدّم أفكار معاوية وما بناه وأشاده ، وجاء الحسين عليه‌السلام ، وقام بدوره بتجديد أيّام النبوّة وهيبتها ، وأعاد للنبوّة صولتها في جهاده ومقاومة الباطل ، فكان الحسين عليه‌السلام مجدّداً ، وجدّد وأعاد صولة الحقّ ، وقابل عنجهيّة الباطل وشوكة الأُمويّين وعنفوانهم وصولتهم وترفهم وبذخهم ، وقابلهم الحسين عليه‌السلام بشدّة وصلابة .

بنو أُميّة يريدون من الحسين عليه‌السلام أن يقول كلمة واحدة فقط ، وبها النجاة له ولآله ، وهي أن يقول : أنتم الخلفاء الشرعيّون ، وأنا عبدٌ يطيع لكم ولسلطانكم ، وهذا بعيد ومستحيل أن يصدر من الحسين عليه‌السلام ، ذلك معناه ضياع ونهاية للدين .

بنو أُميّة من أجل تدعيم سلطانهم وعروشهم لا يهمّهم أن يقتلوا ألفاً من النّاس ،

أو حشوداً من المسلمين الأتقياء الأخيار، ولو في بطن الكعبة، وقد قتلوا عبدالله بن الزبير في داخل الكعبة، وسالت الدماء في الكعبة.

خيبة أمل واندحار سياسي

وهبّ الحسين عليه السلام ووقف على المسرح السياسي ، وكان الحسين عليه السلام كما هو ، ووقف في المدينة متحدّياً ، ووقف في مكّة مندّداً ، ووقف في كربلاء شامخاً ، وموقف الحسين عليه السلام وتحدّيه للسلطة الأُموية الغاشمة ، وبهذا الشكل والاندفاع والجرأة والصراحة قد خيّب آمال الأُمويّين ، فقد كانوا يظنّون غير هذا ، ولم يحسبوا أنّ الحسين عليه السلام يقف بوجوههم ، كانوا يظنّون أنّهم سيطروا ، وتمّت الأُمور لهم ، ولا متكلّم ولا معترض ، إنّ كلّ شيء قد انتهى لصالحهم وهم هم .

وأصبحت المدينة ومكّة والكوفة والبصرة واليمن كلّها لهم وفي قبضتهم ، وصار زعماء المسلمين وأبناء المهاجرين وشيوخ القبائل كلّ هؤلاء أرهبوهم وأصبحوا في أيديهم ، أصبحوا عبيداً ممتثلين لأوامرهم ، لأوامر الولاة ، وصارت الدنيا بأيدهم خيارها وفسّاقها وشيوخها وعشائرها ، كلّها تسبّح بحمد آل أبي سفيان ، ولكنّ الحسين عليه السلام فاجأهم ، الدنيا كلّها طئطئت رأسها ورفعت أيديها بالحمد والثناء ليزيد خوفاً ورجاءً ، إلّا الحسين عليه السلام .

وهذا ما أشارت إليه أُخت الحسين عليها السلام في بداية خطبتها ، حيث قالت :

أَظَنَنْتَ يا يَزيدُ ـ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطارَ الْأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ فَأَصْبَحْنا نُساقُ كَما تُساقُ الْإِماءِ ـ أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً ، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً ! ! وَأَنَّ ذلِكَ

لِعَظِيمَ خَطَرِكَ عِنْدَهُ!! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ في عَطْفِكَ، جَذْلانَ مَسْرُوراً، حينَ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً، وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَةً، وَحينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلاً، أَنَسيتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ ﴾[1].

هكذا كانت الدنيا، وكانت الحياة خوفاً ورجاء وضعفاً واندحاراً، عبيداً وموالي، أطاعوا وسجدوا إذا قيل لهم: قوموا قاموا، أو قيل: اجلسوا جلسوا، أو قيل: اسكتوا سكتوا، الكلام حرام، ولا يجوز أن تقول في الحاكم أي كلمة وإن فعل ما فعل، اشتموا هذا، وامدحوا هذا، فعل الجميع ما أراد بنو أُميّة، شتموا عليّاً طاعةً لبني أُميّة، وسكتت الأُمّة.

هذا هو رصيد الأُمويّين، بذلوا الأموال لزعماء القبائل في الكوفة والبصرة، وسكت الجميع، ما دامت الأموال عند بني أُميّة، أمّا الحسين عليه السلام وأبوه فلم تكن لهما مثل هذه الأموال، بل لم يؤمنا بمثل هذه الأساليب، وترفّعا عن شراء الضمائر والأصوات.

ما هي النتائج الإيجابيّة لثورة الحسين عليه السلام؟

وما هي النتائج كما يقولون في هذه الثورة، أو هذه المواجهة الساخنة الحمراء المخضّبة بدم الكرامة، كما يقول الساسة ويسألون؟

أو ما هو الحصاد السياسي له عليه السلام وللأُمّة في إقدام الحسين عليه السلام وتضحيته؟

وهل حقّق للأُمّة نفعاً وثمرات سياسيّة أدركته الأُمّة بعد شهادته؟

والجواب:

إنّ الأُمّة بعد قتل الحسين عليه السلام ليست تلك الأُمّة التي كانت قبله بسنوات عشر

---

(١) آل عِمْران: ١٧٨.

أو عشرين أو أكثر.

كانت الأُمّة قبل قتله راكدة هيّابة لا تترك اللسان أو اليد ،كانت لا تحرّك شيعتها ، كانت الحياة تشبه حياة الأموات ، ولا تصدر منها كلمة واحدة ، ومتى صدرت فلها كلمة بعد قتل خيارها ورجالاتها.

أمّا اليوم فقد تغيّرت اللغة ، وتغيّرت نفسيّة الأُمّة ،كانت ثمّ أصبحت تقول في بني أميّة ، الخطيب والواعظ والصحابي والتابعي رفع صوته ، تقول في بني سفيان وأشرارهم وأتباعهم وأشياعهم أقبح الأسماء وتصفهم بالصفات السيّئة ، وتقول : إنّها الفئة الضالّة ، الفئة التي قتلت حسيناً ، وكثر النقّاد والقائلون والمفكّرون.

أمّا ابن عبّاس فقد أكثر من رسائله ووسمهم بالسمات السيّئة ، وأنذرهم وطالبهم ، وغيره قالوا فيهم أسوأ القول علناً وجهراً ، وإن كان القائل لا يقول باسمه ، فقد قيل : سمعنا منادياً ينادي :

أَتَــرْجُو أُمَّــةٌ قَـتَلَتْ حُسَـيْناً شَفاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسابِ

الفكر السياسي الكوفي

الفكر الكوفي وجوده في الدين واللغة والنحو والبلاغة، والإنسان الكوفي يختلف عن غيره في الحجاز والشام ومصر.

وعقلية الإنسان الكوفي تختلف عن غيرها في البصرة والمدينة، ومن خلال خطب عليّ عليه السلام على تلك العقلية أيّام خلافته تدرك المستوى الفكري لتلك العقليّة من حيث الانفتاح والاستجابة والسؤال والنقاش والحوار[1]، ونبغ فيهم من يجادل ويحاور ويعترض ويسأل ويعلّل ويحلّل، وفيهم من يعرف الحاكم الشرعي القيادي للأُمّة بحقّ، وهو أهل للخلافة دون غيره، وهؤلاء هم الطليعة.

ويميّز بين الداعي للحقّ، ومن ينشر الضلال، وبين الإمام الذي يليق لقيادة الأُمّة عن غيره، وهؤلاء هم الذين ثبتوا على بيعة عليّ وبيعة الحسين عليهما السلام، ودعوا إلى بيعة الحسين عليه السلام، وهم الذين أشار إليهم أرباب المقاتل إشارة عابرة، وتحرّك الشيعة بعد موت الإمام الحسين عليه السلام.

ونعود إلى الفكر الكوفي العامّ والاتّجاهات السياسيّة في الكوفة قبل عليّ وبعده

---

(١) ولذلك اختلفت خطب عليّ عليه السلام، فهي في الكوفة أوسع وأقوى وأكثر أبعاداً، راجع الإمام عليّ ومدرسة القرآن للمؤلّف.

كيف كانت ، والجواب عن ذلك فهي عقليّة تستجيب للسلطان القويّ والشديد ولرغبته وخداعه حذراً من سطوته وقهره .

أو تستجيب له طمعاً بحاله في الظاهر ، وهي ضدّه في السرّ والخفاء والباطن ، على لسان عليّ عليه السلام ذمّاً كثيراً كما قد جاء على لسان معاوية كذلك ، واستطاع أن يستقطبهم إليه بالخداع والقهر والمال والآمال . .

والسؤال كيف تعامل الولاة الأُمويّون مع الكوفيّين ؟ هل كان التعامل بشدّة وقوّة وعنف وخداع وآمال ومواعيد وتهديد لإخضاعهم إلى سلطان بني أُميّة ؟ إذن لماذا لم يتعامل عليّ والحسين عليهما السلام كذلك ؟

الجواب :

هؤلاء أئمّة هدى وصلاح وإيمان ، لا يعرفون الكذب والخداع ، وقد جاء على لسان عليّ والحسين عليهما السلام ردّاً على هذه الشبهة . « لَعَمري إنّما الإمام من دعا إلى الله بالحقّ والهدى » ، وكان في الكوفة فكر سياسي مضطرب لا يمكن أن يطبع بطابع خاصّ ، وهو منقسم على أقسام :

قسم يميل ذات اليمين ، وقسم يأخذ ذات الشمال ، وقسم انهزامي ، وقسم يتحرّك بكلمة واحدة صدرت صدقاً أو كذباً من الولاة ، حتّى قال قائلهم إنّ غضب السلطان لا يطاق ، وقسم يرائي مراءاة ويحضر للسلامة والوقاية مجلس السلطان .

وبعبارة أُخرى : قسم منهم يفضّل الدنيا ، ويفتّش عن الأُمور التي بها رضىً للولاة ، فيأخذ بها ويتظاهر بها ، ولو على حساب المصلحة الشخصية ، وقسم آخر ـ وهم القلّة ـ يسعى من أجل الآخرين ، ومن أجل الصالح العامّ ، ومن أجل الأُمّة ، ومن أجل النفع مهما كلّف الأمر ، ولو سجن ، ولو طارده الأُمويّون .

أمّا الأكثرية أو عامّة الناس ، فهي تسعى من أجل بني أُميّة ، وتلهث وراءهم ، ولكنّها مغلوب على أمرها ، وعندها ولاء لآل الرسول صلى الله عليه وآله وهم الذين أشار إليهم

الرجل الكوفي عند ملاقاته للحسين عليه السلام « قلوبهم معك وسيوفهم عليك » .

وأمّا القلّة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي وحبيب بن مظاهر الأسدي وعشيرته وأقاربه ، ومسلم بن عوسجة ، هؤلاء الذين راسلوا الحسين عليه السلام وكانوا يأملون قدومه ليحقّق لهم آمالهم وأحلامهم ، ويؤسّس الكيان العلوي في الكوفة من جديد ، ويهدّم الوجود الأُموي البغيض الذي لاقوا منه ما لاقوه ، من عذاب وأذىً وضيق ومحاربة ومطاردة وسجون .

ماذا يريد الأُمويّون من الحسين؟

الأُمويّون وسياستهم وأتباعهم وأعوانهم يريدون أمراً واحداً من الحسين عليه السلام ، إن هو استجاب لهم رجع سالماً ولا عليه شيء ، وعاش بأمان ، ورجع هو وأهل بيته إلى وطنه ، أوَتدري ما هو ؟

يريدون منه الاعتراف بخلافة يزيد ، الاعتراف علناً بمسمع أهل الحجاز وأهل الشام وأهل العراق ، وفي ذلك تسديد للخلافة الأُمويّة ، وذلك أمر بعيد ولا يصدر ولن يصدر من الحسين عليه السلام؛ لأنه ضياع للأُمّة والسير في طريق الضلال والباطل والخسران ، ولذلك قرأنا في المقاتل أنّ عمرو بن سعيد الأشدق الوالي الأُموي كان يحاول أن يعطي الحسين عليه السلام أماناً وعودة للمدينة المنوّرة ولا عليه شيء إن هو أعلن اعترافه بخلافة يزيد إن هو رجع وتراجع عمّا يروم فعله وهو استثارة الأُمّة ضدّ الخلافة الأُمويّة ، ولكنّ الحسين عليه السلام الذي يحمل روحاً أبيّة ، ويحمل صولة الحقّ ، رفض ذلك وأصرّ على المضيّ ، وآلى على نفسه إلّا أن يقاوم ويقف أمام الطغيان والجور مهما كلّف الأمر ، ورغم ما وضعه الأُمويّون في طريقه .

فالحسين عليه السلام اعترف بمسؤوليّته ، والحسين عليه السلام يختلف كثيراً عن غيره في عصره وزمانه ، يختلف عن الذين قالوا وصرّحوا قائلين : أنا أدخل داري وأُغلق بابي ، والآخر يقول : ادخل المحراب وأكثر من الركوع والسجود ، وآخر قال : ما لنا

والدخول بين السلاطين ، وآخر يقول : ننظر أيّهما الغالب ، وهكذا . . .

وآخر يرى يزيد من أُولي الأمر ، ومن كان من أُولي الأمر فتجب طاعته على الأُمّة ، والآخر يقول بما يقوله ويريده ويدعو إليه . أي عقليّة هذه ؟ ! ترى أنّ يزيد الإمام وولي أمر المسلمين ! وأنّ يزيد تجب طاعته وأوامره حتّى لو أمرهم بقتل أولاد الأنبياء ، ولو أمرهم بقتل الصحابة ، ولو أمرهم برمي الكعبة والمدينة ، وقد فعل ذلك كلّه هذا الخليفة الذي يدّعي الخلافة ، هذا الشاب الفاسق الذي عرفته الدنيا ، وعرفته الشام ، وعرفته المدينة ، وعرفه أبناء المهاجرين والأنصار .

لكنّهم سكتوا ، وكانوا يخشون يزيد وأعوانه ، وكانوا يرجون يزيد ، وكان الدين ضعيفاً في نفوسهم ، وكانوا انطوائيّين ، وكانوا هيّابين ، وكانوا أبناء الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، وهذا ما صرّح به الحسين عليه السلام قائلاً : « النّاس عبيد الدنيا . . . » .

ونقول للحسين عليه السلام تطوّروا وارتقوا أو هبطوا ونزلوا وصاروا عبيداً مملوكين لعبيد الدنيا ، وصاروا ذيولاً تحرّكهم الآمال والمطامع !

وقد تسأل كيف عرفت الحسين عليه السلام إماماً ومسؤولاً ومكلّفاً بالجهاد ، وجهاد الحسين عليه السلام يختلف عن جهاد غيره ، وجهاد الحسين عليه السلام كجهاد أبيه وجهاد الأنبياء[١] .

يجاهد مهما كلّف الأمر ، ولو أُلقي في النّار ، ولو فرّق بين بدنه ورأسه . . وعلينا أن نعرف الإمام بالدليل المنطقي أو الشرعي ، ونحلّل شخصيّة الإمام ثمّ بعد ذلك نقول ما هو تكليفه ؟ وهل قام بما كلّف به ؟ وندرك دوافعه الداخليّة والخارجيّة .

---

(١) والجهاد يختلف عند الأفراد ، قوّة وضعفاً ، وإيماناً وشدّة واندفاعاً ، ويداً ولساناً ودراية وقوّة ، أمّا جهاد الحسين عليه السلام فهو أفضلها وأعلاها ، وقد ورد في زيارته : **أَشْهَدُ أَنَّكَ جاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** .

وأنّ الإمام يعطي ويكرم ويبذل حتّى نفسه وكلّ ما يملك من أجل ربّه ، فإذا ثبت ذلك واعتقدنا به إماماً ، وفيه الكفاءة الذاتيّة للقيام بشؤون الإمامة ، وبعد ذلك نناقش أنّه يعلم أو لا يعلم ، وهذا من عقيدتنا وأفكارنا .

وهو مردود علينا ، الإمام والإمامة شيء ، وتفكيرنا وخيالنا وتصوّرنا وأحكامنا شيء آخر ، وفيها الخطأ والصواب ، والإمام لا تدركه عقول النّاس؛ لأنّه أفضل النّاس ، وأوسع النّاس إدراكاً وفهماً وأبعاداً لمصلحة الأُمّة ، وأمّا ما قيل : لماذا ، ولو ، وهذا الفعل حسن ، ولو فعل الإمام ذلك لكان خيراً ، ولو ترك السفر إلى كربلاء ولو هادن يزيد أو تفاوض أو تماهل أو ترك القتال أو تنازل أو التقى بيزيد وعقد معه هدنة ، فهذه من المختلقات والتصوّرات التي يقتل بها البسطاء أوقاتهم في الزوايا المظلمة .

وإذا ثبت أنّه إمام ، ويملك كلّ مقوّمات الإمامة معناه هو غني بثروته الفكريّة واستعداده الذاتي وخزينه الإلهي ، فهو غير محتاج لرأي هذا وذاك ، أو يفتقر لرأي هذا ومشاورة ذاك ، وإلّا فهو ليس بإمام ، أوَمثل الحسين عليه السلام ربيب جدّه وربيب الوحي وربيب القرآن يسدّده رأي ابن عبّاس أو ابن عمر أو محمّد بن الحنفيّة وغيرهم ؟!

ونحن لا نشكّ بأنّ جابراً الأنصاري الصحابي الجليل ، أو ابن عبّاس ، أو محمّد بن الحنفيّة لهم رأيهم ، وما صدر عنهم له وجهه ، ولهم فكرهم وهم يحملون شفقة وحبّاً للحسين عليه السلام ، واعتراضهم بدافع الحبّ والشفقة عليه ، ولكنّ الحسين عليه السلام في عالم آخر ، وله تفكيره الخاصّ ، وأنّه يرى أنّ عليه واجباً .

وأنّ ابن عبّاس الرجل الهاشمي حبر الأُمّة مهما بلغ من الفضل والعلم والدراية والإحاطة بشؤون الأُمّة ، فهو لا يملك تلك الثروة الفكريّة والدراية بنفسيّة هذه الأُمّة كالحسين عليه السلام ، وابن عبّاس رجع إلى الحسين عليه السلام في كثير من المسائل والمواقف ،

وأدركه الحسين عليه السلام وسأل الحسين عليه السلام عنها، وأجابه.

وكذلك محمّد بن الحنفيّة الرجل اعترف بإمامة أخويه الحسن والحسين عليهما السلام، والذي يرى ويعتقد أنّ الحسين أفضل منه علماً وإدراكاً للأُمور، وإن كان ابن عبّاس له دراية بشؤون البصرة والكوفة ويملك قدرة على معرفة نفسيّة الكوفيّين، ولكن ليس هذا عذراً مبرّراً للحسين عليه السلام أن يتراجع ويأخذ برأي ابن عبّاس ويترك الأمّة، ولا يتدارك هذه الأُمّة المهدّدة.

ابن عبّاس يحلّل نفسيّة أهل الكوفة نفسيّة شريرة، وأنّهم طبعوا على الغدر، وأنّهم لا يلتزمون بقول، وأنّهم يتراجعون، وأنّهم يفرّون ويُخدعون، ومن رأيه أنّ الحسين عليه السلام لا يثق بهم مطلقاً.

وعليه أن يكفّ عن السير ويعتزل ويترك الأُمّة هي وشأنها، ويتركها هي والأقدار نقلاً بحسب السياسة الأُمويّة، وكأنّه يقول للحسين عليه السلام اذهب لدارك واغلق الباب عليك، وأعلن للملأ والنّاس أنا لا أتدخّل في السياسة وقضايا الأُمّة، وأنا خائف، وأنا حذر، وأنا أُحافظ على دمي ودم أهلي وأولادي.

إنّ بني أُميّة قوم حكموا البلاد، وتسلّطوا على الرقاب، إذن الحسين عليه السلام يأخذ رسائل أهل الكوفة ويخرّقها ويقول: إنّ هؤلاء قوم لا أمان لهم، ولا يوثق بهم، جرّبناهم وعرفناهم واختبرناهم، وبعد هذا يأتي مَن يكتب عن الحسين عليه السلام ويقول فيه: إمام يتعامل بسوء الظنّ، إمام لا يأمن شيعته وشيعة أبيه.

إذن ما هو موقف الحسين عليه السلام هنا؟

وقد تعدّدت الآراء والإشارات عليه، هذا يقول: اذهب إلى اليمن، وهذا يقول اعـ ـزل، وهذا يقول افعل كما فعل أخوك الحسن عليه السلام، ومسلم بن عقيل يبعث برسالته للحسين عليه السلام يحبّذ له القدوم إلى الكوفة..

وآخر يقول: لو ابتعد عن النّاس والتجأ إلى مأوى يحميه وهكذا...

فماذا يصنع الحسين عليه السلام ، وبأي رأي يأخذ ؟

وإذا أخذ برأي واحد معناه صار مأموماً لغيره ، وصار مفتقراً للغير ، فأين هي الإمامة .. إنّ هؤلاء مختلفون في وجهات النظر وفي آرائهم ... وكلّهم على خطأ ، والحسين عليه السلام هو الصواب ... ومن يقول الإمام على خطأ لأنّه لم يفهم الإمام عليه السلام ولم يعرف من هو الإمام ، الإمام عالم أنّه مقتول ، كيف كان وأينما كان ، وهو على قناعة أنّ بني أُميّة يقتلونه في المدينة أو في مكّة أو في اليمن ، أو في الكوفة ، فاختار الحسين عليه السلام الشهادة .

بالله عليكم لو قتل الحسين عليه السلام في المدينة ، أو مات في داره ، أو قتل في مكّة ، أو قتل في دار الوليد ، أو قتل في اليمن ، أو قتل في الطريق ، أو مات على فراشه أيكون الحسين عليه السلام بهذا المستوى ؟

الحسين عليه السلام عرف ذلك مخطّطاً للمستقبل ، وفكّر طويلاً ، وعرف المقدّمات والنتائج ، ورسم خارطة كربلاء .. واختار الشهادة ، وبعدها الخلود ، وأُقسم بالله لو فرّ الحسين عليه السلام بعيداً أو اعتزل الحياة وترك الأُمّة هي والأقدار ، وهي وشأنها تتلاعب بها التيّارات ، وفرّ ونجا ، لو صدر مثل هذا من الحسين عليه السلام ، لكنت أوّل الشاكّين بإمامته ، وقلت فيه ما قلت ، ولكنّ الحسين عليه السلام واجه السلطة وجهاً لوجه ، وتقدّم بصبر وبطيب نفس ورضىً وثبات ، وقدّم القرابين ، وهو الشجاع القويّ ما هاب الجيوش التي زحفت لحربه .

وقد صرّح مراراً قائلاً إنّه يرحّب بالموت : في مكّة ، وفي الطريق ، وفي كربلاء ، وحتّى في الساعات الأخيرة ، وهو في قمّة المأساة وشدّة المواجهة .

وهو القائل : إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ، وهو القائل : ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة ، وهيهات منّا الذلّة ، وكان ثابت الجأش على بصيرة من أمره ، لم يتردّد ولم يصب بالوهن ، ولم يشكّ في قضيّة ، هو ذلك

الحسين عليه السلام ، وقابل كلّ الزحوف والرجال بعزم وقوّة بنفس ثابتة مطمئنّة راضية ، وكلّما اشتدّت الحال ازداد قوّة وصبراً وثقة .

وكان مثالاً للمؤمن الذي لا يضطرب ولا يتزلزل ولا يتراجع(١) .

ولو صدرت منه كلمة واحدة فيها اعتراف بدولة أُميّة لرجع سالماً هو وأهله .

هذا هو الحسين عليه السلام ، هذا هو الإمام لم يرهب السيوف والحشود ، كان يقابلها بثقة عالية ، هكذا وصفه أعداؤه ما رأينا مكثوراً . . .

وقال أحد شيعته السيّد الحبوبي النجفي :

ومضى يقدّم للبغال وللقفا والمرهفات الصحبَ والأبناءا

ومضى يجرّد للكفاح مهنّداً من عزم حامله استمدّ مضاءا

حتّى غدى بين الرمال مجدّلاً طلق المحيا واضحاً وضّاءا

وقال آخر :

يتلقّى النبال طلق المحيّا كتعلقيه أوجه الوفاءِ

كلّما كثرت الجيوش ، وكلّما كثرت التهديدات ، وعلت الأصوات ازداد صبراً وعزماً وعزيمة(٢) ، وثبت الحسين عليه السلام هو وأصحابه ، وأدّوا ما عليهم بنفوس مطمئنّة ، ولم يتأثّروا بعطش وحرّ وفراق الأهل .

نعم كانوا يعكفون على الحسين عليه السلام عند الوداع ، ويستأذنونه بالبراز وهو يودّعهم ، والشرف كلّ الشرف لك يا حسين ، إنّه الحسين الذي تصوّره هذا العلوي

---

(١) وحقّاً إذا قيل : إنّ المؤمن يتعملق في الأزمات ويكون أقوى وأقوى ، وحقّاً إذا قيل : إنّ المؤمن أقوى من الحديد؛ لأنّ الحديد تذوّبه النّار وقلب المؤمن لا يتغيّر ولا يضطرب .

(٢) وينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ .

حيدر الفيحاء قائلاً:

كيف يلوي على الدنيّةِ جيداً لسوى الله ما لواه الخضوع
فأبى أن يعيش إلّا عزيزاً أو تجلّى الكفاح وهو صريعُ

هذا هو الذي ربّاه جدّه، وعقد عليه آماله، وادّخره للمواجهة، وأعدّه إعداداً، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال:

«حسين منّي، وهو ابني، وولدي، وخير الخلق بعد أخيه».

وقال صلى الله عليه وآله: «أمره أمري، وطاعته طاعتي، ومن تبعه فإنّه منّي، ومن عصاه فليس منّي»[1].

وهل بعد هذا عذر لمن تخلّف عن نصرته واللحوق به، ومن تخلّف عنه بلا عذر، فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله تخلّف، ومن التحق به فقد فاز فوزاً عظيماً، وخلوداً وهو مع الحسين في دنياه وآخرته.

(١) فضائل ابن شاذان: ١٠.

دروس وعبر ومناهج من كلمات الحسين عليه السلام

والحسين عليه السلام كلّه دروس ، وفي كلّ كلمة صورة منه درس وعبرة .

درس في الصبر .. درس في الثبات ..

درس في العقيدة .. درس في التحدّي ..

درس في الكفاح .. درس في العزّ والإباء ..

الدرس الأوّل :

قال الحسين عليه السلام : « أُحبّ من دنياكم ثلاثاً : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله » .

الدرس الثاني :

قال الحسين عليه السلام لعبد الله بن عبّاس في كلام دار بينهما : « إنّي مقتول بالعراق ، ولأن أُقتل هناك أحبُّ إليَّ من أن يستحلّ دمي في حرم الله وحرم رسوله »[1] .

ونقف هنا قليلاً وقفة سريعة في كلام الحسين عليه السلام ، لماذا قال المؤلّف ، الراوي في كلام دار بينهما : ليس بين الحسين عليه السلام وابن عبّاس خلاف واختلاف وفجوة

---

(١) الملاحم والفتن / ابن طاووس : ١٥٩ ، ط : النجف الأشرف .

وتقاطع ونزاع في أُمور عامّة وأُمور خاصّة ، أو قضايا شخصيّة ، أو ميراث أو زعامة ، أو قضايا قديمة موروثة أو مفاضلة أو تفاضل أو اجتهادات سياسيّة أو اتّجاهات فكريّة ، سلباً وإيجاباً ، أو ميلاً للسلطة أو دعماً للحكّام .

وقول الراوي دار بينهما ، ليس بينهما ثالث ، وابن عبّاس رجل هاشمي وعقليّة مدركة ، وهو رجل ذو بصيرة وخبرة في الأُمور العامّة ، ويحفظ السرّ ، ويحذّر على الحسين عليه السلام من السلطة ومن العيون والرقابة الأُمويّة القاسيّة ، وابن عبّاس ليس إنساناً بسيطاً ساذجاً سطحيّاً ، ولم يكن كلام الحسين عليه السلام جهراً وعلناً ، وإنّما كان في حجرة مغلقة ، وابن عبّاس قصد الحسين والتقى به على انفراد ، وهو الذي نقل كلام الحسين عليه السلام ، وهذا اللقاء وقول الحسين عليه السلام إنّي مقتول بالعراق ، فهو عليه السلام كان على علم ودراية سابقة ، وسمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن أبيه عليّ عليه السلام ، أنّه شهيد مقتول ، وذكروا له الزمان والمكان ومسألة لا بدّ منها ، ولا فرار عنها أبداً .

والحسين عليه السلام لو حقّ له الاختيار ، واختار الحسين تلك الشهادة من أجل إعلاء كلمة لا إله إلّا الله ، ومن أجل الرسالة المهدّدة من الطيش الأُموي والنوايا الخطيرة التي يضمرها يزيد لشريعة المصطفى ، ولذا قال الحسين عليه السلام : « أحبُّ إليَّ . . . » .

وكان عليه السلام من عشّاق الموت ، ومن الذين يبتسم للسيوف والرماح ، ولم يرهب تلك الجيوش مهما ازدحمت؛ لأنه صاحب قضيّة ذات أبعاد ، وفي كلّ خطوة من خطواته بُعدٌ وسرٌّ ، وقصد وهدف ، وفي كلّ يوم يظهر سرّ من أسرار قضيّة الكبرى القضيّة المقدّسة والأسرار كثيرة ، قسم أدركها المحلّلون ، والقسم الآخر توصّل إليها الباحثون العرب وغير العرب ، وحتّى المستشرقون لهم نصيب في البحث عن قضيّة الحسين عليه السلام وخطاه وخطواته وكلماته وأفكاره .

روى سفيان بن عُيَيْنَةَ، عن عليِّ بنِ يزيد، عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام ، قال : «خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحلَ منه إلّا ذَكَرَ يحيى بنَ زكريّاً وقتله

وقالَ يوماً: ومِن هوانِ الدُّنيا على اللهِ أنّ رأسَ يحيى بن زكريّا عليه السلام أُهدِيَ إلى بَغْيٍّ من بَغايا بني إسرائيلَ»[١].

إنّه الحسين عليه السلام، ولا يزال الحسين عليه السلام هو هو، وكأنّه قتل اليوم، وهذا سرّ من أسرار عظمة الحسين عليه السلام وصدق شاعر الولاء الحسيني حين يقول:

أنت الحسين ودون مجدك في الورى مـجد المسـيح ودون أُمّك مـريمُ

ومن كلمات الحسين عليه السلام الخالدة:

«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْرِفُونَني؟».

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ، أَنْتَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَسِبْطُهُ.

قالَ: **«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدّي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله؟»**.

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ.

قالَ: **«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أُمّي فاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ؟»**.

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ.

قالَ: **«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبي عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ؟»**.

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ.

قالَ: **«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتي خَديجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ أَوَّلُ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ إِسْلاماً؟»**.

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ.

قالَ: **«أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَمْزَةَ سَيِّدَ الشُّهَداءِ عَمُّ أَبي؟»**.

قالُوا: اللّهُمَّ نَعَمْ.

---

(١) مجمع البيان: ٣/٥٠٢.

قالَ : « **أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَعْفَراً الطَّيّارَ فِي الْجَنَّةِ عَمّي ؟** » .

قالُوا : اللّهُمَّ نَعَمْ .

قالَ : « **أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هذا سَيْفُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَا مُتَقَلِّدُهُ ؟** » .

قالُوا : اللّهُمَّ نَعَمْ .

قالَ : « **أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هذِهِ عِمامَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَا لابِسُها ؟** » .

قالُوا : اللّهُمَّ نَعَمْ .

قالَ : « **أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام كانَ أَوَّلَ النّاسِ إِسْلاماً وأَعْلَمَهُمْ عِلْماً وَأَعْظَمَهُمْ حِلْماً وَأَنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ؟** » .

قالُوا : اللّهُمَّ نَعَمْ .

قالَ : « **فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمي وَأَبي صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ الذّائِدُ عَنِ الْحَوْضِ ، يَذُودُ عَنْهُ رِجالاً كَما يُذادُ الْبَعيرُ الصّادِرُ عَلَى الْماءِ ، وَلِواءُ الْحَمْدِ بِيَدِ أَبي يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟ ! !** » .

قالُوا : قَدْ عَلِمْنا ذلِكَ كُلَّهُ وَنَحْنُ غَيْرُ تارِكيكَ حَتّى تَذُوقَ الْمَوْتَ عَطْشاناً ! ! !

ومثل هذا الكلام بدأ بين الحسين عليه السلام وأعدائه في مرحلة ما قبل المواجهة وقبل المعركة ، وقبل أن يجرّد سيفه ، في مرحلة الحرب الكلاميّة أو مرحلة ما قبل التعبئة والتصميم ، وهي مرحلة الاحتجاج والبيان والإرشاد ، وكان للحسين عليه السلام أمل فيهم أن يتراجعوا ويهتدوا ويدركوا الصواب ويحاسبوا أنفسهم وضمائرهم الميّتة ، والعقليّات المخدوعة ، والرجال الذين ساقهم ابن سعد[1] وابن زياد إلى ساحة الحرب ،

---

(١) روى سالمُ بنُ أبي حفصةَ ، قال: قالَ عمرُ بنُ سعدٍ للحسين عليه السلام : يا أبا عبدالله ، إنّ قَبلَنا ناساً سُفَهاءَ يَزْعَمونَ أنّي أَقْتلُكَ ، فقال له الحسين عليه السلام : « إنّهم ليسوا بسفهاء ، ولكنّهم حُلَماءُ ، أما إنّهُ يُقِرُّ عيني ألّا تأكلَ بُرَّ العراقِ بعدي إلّا قليلاً » . نقله العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤ : ٢٦٣ ، الحديث ٢٠ .

كما يساق القطيع إلى المذبحة ، ولكنّ الحسين عليه السلام لم يبدأهم بالسيف إلّا بعد هذه المرحلة ، ومن دروس الحسين عليه السلام ، وكلُّهُ دروس ، وقد ألقاها على الأُمّة في مسيرته قبل يوم عاشوراء ، قال عليه السلام :

«خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلى جِيْدِ الْفَتاةِ ، وَما أَوْلَهَني إِلى أَسْلافي اشْتياقَ يَعْقُوبَ إِلى يُوسُفَ» .

هذا درس من دروس الحسين عليه السلام في الموت ما صدر عن أحد الفلاسفة إلّا الحسين عليه السلام ، فهو يرى أنّ الموت في ساحة القتال زينة الرجال ، وحلية وجمال لأهل المبادئ ودعاة الحقّ ، هذا درس من دروس الحسين عليه السلام في الجهاد والشهادة والدعوة للثورة ضدّ الباطل ، ضدّ الخطر ، الذي يهدّد الأمّة ، وكأنّه داء قد استفحل وطغى وهو يهدّد الصغير والكبير ، والعالم والجاهل . الخطر الذي لم يكن أيّام معاوية وأتباعه .

وقد تسأل عن الفرق بين أيّام معاوية وسياسته وحكمه في الأمّة ، الفرق هو أيّام معاوية هي خطر مغطّى بغطاء مكشوف شديد . تيّار أسود . . وقد يخطأ خطأً فادحاً من يزعم أنّ الحسين عليه السلام ثار وألقى دروسه السياسيّة في يوم عاشوراء ، أو الحسين عليه السلام حارب بني اُميّة في يوم عاشوراء . إنّ هذا هو الخطأ . يوم عاشوراء ما هو إلّا ساعة أو أقلّ من الساعة ، وهذه اللحظات الأخيرة من ثورته ، وأيّام الحسين عليه السلام كلّها جهاد ، وكلّها ثورة ، وكلّها توعية وتعبئة ، وكلّها دعوة للأمّة لليقظة والاستعداد لمواجهة ما يُراد بهم ، وهم لا يعلمون أخيراً يراد بهم أم شرّاً؛ لأنّهم متخلّفون عقليّاً .

فقسم يقبل هدايا بني اُميّة ويسجد لهم ويركع ، ويقول فيهم أحسن القول ، ويرتّل آيات المدح والثناء شعراً ونثراً ، وهؤلاء خطبوا ، وتحدّثوا ، وافتعلوا ، وسطّروا الخطب في مدح بني اُميّة ، والأمّة مخدّرة بمادة التخدير والرقاد .

وجاء الحسين عليه السلام وهزّ الكبرياء الأُموي والعنجهيّة الأُمويّة الظالمة ، والغطرسة

الأُمويّة المخيفة ، ما ذلّلها وجعلها هزيلة إلّا الحسين عليه السلام فقط ، ودمه وتضحيته . ما استطاع أحد ممّن يدّعي الشرف وممّن يمتلك الإمكانيّات والرصيد والقوّة ويُشار إليه بأنّه ابن الصحابي ، أو ابن الخليفة ، أو من أبناء المهاجرين والأنصار ، أو من خيار الأُمّة ، أو ذو قوّة وذو عشيرة أو مال ، أو من أشراف القوم ، ما استطاع أن يحرّك شيئاً ، أو يتحرّك ضدّ بني أُميّة ، أو تصدر منه كلمة واحدة ، أو يقف ضدّ تعاليهم وتهوّرهم على الدين وعلى الأُمّة وعلى المبادئ وعلى القيم الأخلاقيّة وعلى الحياة وهم يظنّون أو يعتقدون أنّ الدنيا وما فيها لهم وملك لهم .

وأصبحت الدنيا بأيديهم بلا معارض ولا معترض ، وإن كان هناك طبقة معارضة كما يقولون ، فقد أبادهم معاوية وقضى عليهم ، دفنهم وهم أحياء . إذن من يقول ، ومن يعترض ، وإن فعلوا كذا . وإن غيّروا وبدّلوا ، وإن راموا تغيير ما جاء به المشرِّع الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله ومن تتبّع كلماتهم وتصريحاتهم الكافرة وحلّلها ، يدرك أنّ القوم عندهم وجهة نظر عندهم نوايا شريرة ، وعندهم معتقدات جذورها جاهليّة ، ما أشدّ حبّ بني أُميّة للجاهليّة ، وما تحمله من عصبيّة ومن ركود ومن عبارات ومن التزامات نشأت في الصحراء . وماتت وجاء الأُمويّون يحاولون إعادتها من جديد .

الفكر الأُموي والفكر الحسيني

قام الحسين عليه السلام ورفع صوته في فترة كانت الأُمّة تعيش الركود والخوف والخذلان والحذر، تهاب السلطان المتحكّم القويّ الذي تخشاه، فرفع الحسين عليه السلام صوته ليأخذ بالأُمّة ويبعثها بعد رقدتها لتعيش صحوة جديدة، ولتستعيد وجودها المفقود، وتحمل فكرها الأصيل. أُمّة واحدة، عزيزة كريمة، ذات رسالة إسلاميّة، لا فضل ولا تفضيل لهذا على هذا. وإذا بالحسين عليه السلام يهبّ مصوّتاً يحمل فكراً علويّاً محمّدياً داعياً لبّيك داعي الله، وبدأ يدعو لنهج أبيه وشريعة جدّه.

وبدأ الصراع الفكري بين الفكر الأُموي الحاكم والفكر الحسيني الذي بدأ ينتشر في الحجاز والعراق، وفي الكوفة أكثر انتشاراً ورواجاً، والفكر الأُموي يختلف عن الفكر الحسيني، فأنصار الحسين عليه السلام روّجوا لفكر الحسين عليه السلام في الكوفة وقراها وتوابعها في منطقة محدودة الحصون، وأنصار بني أُميّة متمسّكون بأفكارهم الأُمويّة، وكان أنصار الحسين عليه السلام وأتباعه يخشون الحكم الأُموي، فالتجأوا في ممارسة أعمالهم إلى السرّ، فكوّنوا خلايا للعمل السرّي، وتجمّعاتهم أكثرها سرّيّة. يعملون ويتحادثون ويفكّرون.

وتصارع الفكر الحسيني مع الفكر الأُموي، ومع الأفكار الشائعة في البلاد الإسلاميّة الواسعة.

وكانت الأفكار الشائعة عثمانيّة ، والتحدّث عن عثمان وآله ، وبدأ هذا الفكر ينشأ أيّام عثمان وظلامة عثمان والطلب بدمه ، أمّا أيّام عليّ ومعاوية فكان الفكر شكلاً آخر ، ونشطت الأفكار الأُمويّة وتعبّد النّاس أيضاً ، وسجدوا وركعوا لبني أُميّة ، وقدّسوهم واعتبروهم الحكّام الشرعيّين للأُمّة .

وجاء الحسين عليه السلام وبدأ يدعو بجرأة وتحدٍّ ، وجاء يريد أن يحرّر الفكر الإسلامي ممّا هو دخيل عليه ، والمتغلغل من الفكر الأُموي إليه على حساب الإسلام . والسياسة الأُمويّة التي قوامها التفضيل والتفاضل بالولاء لبني أُميّة ، والعنصرية التي لا يقرّها الإسلام ، وتفضيل بني أُميّة على غيرهم ، وهم أوْلى من غيرهم ، وأنّهم قادة الأُمّة الشرعيّون بحقّ ، وبنو أُميّة هم أقارب وأقرب النّاس للرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّ على النّاس أن يقدّسوا بني أُميّة ، وبقيّة النّاس دون بني أُميّة في الفضل ، وعلى النّاس الطاعة ، طاعة العبد لمولاه مهما فعل هذا المولى ، ومهما ارتكب من خطايا في حقّ الأُمّة ، ولو قتل خيارها ورجالها وعلماءها .

الحسين والفكر السياسي

وأقصد به الفكر السياسي الإسلامي ، والسياسة من جوهر الشريعة ، والإسلام لمن عرفه وأدركه هو السياسة ، والسياسة هي واقع الإسلام والتشريع الإسلامي كلّه سياسة ، وكلّ فرض وكلّ فريضة ، صغيرة أوكبيرة ، للفرد أو للأُمّة ، مالية كانت أو غير مالية ، هي سياسة ، وفيها مصلحة سياسيّة[١] .

وهي رعاية ووقاية وحماية وإصلاح للفرد والأُمّة .

وقد تسأل عن هذا الفكر ، وما هو هذا الفكر ؟ ومن هم حملة هذا الفكر ؟

والسؤال الثاني هل يقترب الفكر الديني إلى الفكر السياسي ؟

فالنبيّ أو الإمام من حيث هو ، هو رجل مفكّر في شؤون الإنسان والحياة وتدبير أُمورهم ورعايتهم ، فهل يفكّر تفكيراً دينيّاً بسيطاً ؟ وهل يملك فكراً سياسيّاً ؟ وما يجوز للسياسي في الحياة هل يتناسب مع الدين والداعي للدين أو رجل الدين ؟ إن كان في الإسلام رجل دين كما يقال !

---

(١) فإنّ فريضة الصلاة ـ صلاة الفرد أو الجماعة ـ سياسيّة ، وفريضة الزكاة سياسيّة ، وفريضة الحجّ سياسيّة ، وفريضة الجهاد سياسيّة ، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة سياسية ، ومحاربة الضلال والفساد والبغي هي ردع المفسدين والمتهوّرين ورعاية الأُمة لتعيش بأمان .

الفكر السياسي في التشريع الإسلامي
بين أنصاره وخصومه

ينقسم النّاس في القديم والحديث بين من فصل الدين عن السياسة ، وأنكر الدين السياسي ، واعتبر الدين شيئاً مستقلّاً ، واعتبر السياسة لا صلة لها بالدين ، وأنّ رجل الدين له مواصفاته وسلوكه ولغته وأُسلوبه في الحياة .

وأنّ رجل السياسة له مسلكه ، وله ذوقه ، وله نهجه في الحياة السياسية ، ونقول : من أنكر ذلك فقد هدم نصف الإسلام ، أو كلّ الإسلام . أو هو لم يدرك الإسلام على واقعه ، وهذا هو الفرق بين الإسلام وغيره من الأديان الأُخرى .

ودون شكّ في ذلك فقد نسب للشارع الإهمال والغفلة وترك الأُمّة هي والأحداث والطوارئ والحوادث والتيّارات وما يقع عليها ، وما يصدر من هذا وذاك . وهي التيّارات القادمة من أين ما قدمت وتوجّهت ، ومن يقول بذلك فهو على وهم وخطأ .

فمحاربة الفساد والمفسدين والضلال والوقوف في وجه المنكر وردعه ومحاربته ، هو من واقع هذا الدين ، ونتساءل مع هؤلاء :

ما معنى النبوّة ؟ ولماذا النبوّة ؟ وما هو دورها في الحياة ؟

وما معنى الإمامة ؟ وما هي وظيفتها في الأُمّة ؟ وما معنى الخلافة ؟ وما هو عمل الخليفة ؟

والواقع ما هي إلّا زعامة لقيادة الأُمّة ، وتدبير شؤونها ، وحمايتها ، وأخذها في مسارات الحياة ، ونجاحات الأُمّة في وجودها ومراحلها ، وتحقيق آمالها وأحلامها ، إنّما هو بقيادتها ، وعليه أن يأخذ بها إلى ساحل الأمن والأمان والرعاية ، وهي عمليّة سياسيّة ودور سياسي ، ومن أنكر ذلك فقد هدم النبوّة ، وعطّل الإمامة ، ولم يفهم الإسلام ، أو أنكر نصف الإسلام ، أو هدم الهيكل الإسلامي الذي دعا إليه الدين ، وأراد من الأُمّة الوحدة والاتّحاد ، اتحاد الصف ، واتّحاد الفكر ، واتّحاد الكلمة ، واتّحاد الهدف ، والعنوان هو كلمة التوحيد ، وهي توحيد الكلمة[١] .

وما معنى الدعوة إلّا القوّة والإعداد والاستعداد لمواجهة العدوّ ، الذي يغزونا بأفكاره ومبادئه وضلاله ودعايته ، فإذا قلنا : ليس من الدين محاربة الأفكار الباطلة الهدّامة ، والوقوف في وجه من يريد أن يفرّق الأُمّة أو يبذر بذور الشقاق أو يهدم وحدتها ، أو يبذر السموم في نفوسها أو يقطع أوصالها ، وهل هذا هو الدين ، وهل هذه السياسة ؟ !

أو يريد أن يشقّ عصا المسلمين ، ويفرّق صفّها ، وقد حذّر القرآن من ذلك ، وحذّر الرسول صلى الله عليه وآله من ذلك ، ودعا الأُمّة إلى الوقوف في وجه من يحاول تفريق الأُمّة ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾[٢] .

واعتبر السكوت هو الخطيئة الكبرى ، ومن سكت وتواكل فقد ارتكب إثماً كبيراً ، وإذا قلنا : الدين ليس فيه سياسة ، أو السياسة بعيدة عن الدين ، وإنّ الدين ما هو إلّا طقوس : سجود وركوع وحضور في المساجد وتوسّل وبعدها غلق الأبواب والنوم ، معناه أنّنا قلنا : إنّ الدين دعا هذه الأُمّة إلى الصمت والسكوت ، وليس عليها

---

(١) كما قال المفكّر الراحل محمّدحسين كاشف الغطاء (قدّه) .

(٢) الصفّ : ٤.

أن تتحرّك وتردع الظالم إذا طغى.

وماذا نصنع بآياتٍ فيها ذمّ للظلم وتحذير للظالمين والسلاطين الطغاة؟!

وماذا نصنع بالأحاديث الواردة عنه ﷺ وهي كثيرة؟!

أليس هذا تشريعاً إلٰهيّاً؟ وهذه الفريضة من أهمّ الفرائض في الإسلام، وهي واجبة على النبيّ وعلى الإمام وعلى زيد وعمر، وتجب على الحسين عليه السلام وعلى أبسط رجل في هذه الأُمّة، ولكنّ الصعوبة في ذلك هي تطبيق هذه الفريضة بين النّاس.

والفكر السياسي مليء غنيّ، ثرورة كبيرة من الاصطلاحات الاجتماعيّة، والفكر السياسي الإسلامي يعني التشريع والتطبيق، أمّا التطبيق فنسبته قليلة عند الأُمّة، وهنا هو الخطر، والسؤال هنا عن تشريع هذه الفريضة أوّلاً، ثمّ محاولة تطبيقها في الحياة السياسيّة العامّة.

وقد تسأل مَن هو الذي حاول التطبيق؟ الجواب التطبيق صعب يتوقّف على إقدام وبطولة وشجاعة وإخلاص وتقرّب إلى الله تعالى، والذي حاول التطبيق هو الإمام عليّ عليه السلام؛ ولذلك اصطدم بالزعامات ذات النفوذ السياسي، واصطدم بالذوات الكبيرة وبقايا فلول الجاهليّة ورؤوسها، ثمّ جاء دور الحسين عليه السلام ومحاولته أقوى وأشدّ بما صدر عنه من أدلّة وبيانات وإعلانات وتعبئة للأُمّة الراكدة المصابة بالركود.

ونسأل مَن هو الذي وقف أمام العنف الأُموي غير الحسين عليه السلام أو كالحسين عليه السلام؟ النّاس كلّ النّاس، كلّ الطبقات، هنا وهناك، كانوا لا يجرأون أن يقولوا كلمة واحدة لأبسط عضو في الحكومة الأُمويّة القويّة ذات النفوذ والأعوان والرجال والأموال، ووقف الحسين عليه السلام بجرأة وعلناً، وصوّت في المدينة وفي مكّة تحدّياً للعنف الأُموي وللسلطة الحاكمة، وقف بإخلاص منادياً في آذان النّاس النائمة الخائفة،

التي سيطرت عليها السياسة الأُمويّة ، واشترت ضمائرها ، وسكت الجميع إلّا الحسين عليه السلام ووقف يتحدّى بقوّة وجرأة وغيرة على هذا الدين.

وقد يضمّد جراحات هذا الدين ، وقف الحسين عليه السلام وأعلنها بصراحة :

«إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمّد»[١].

وقف منادياً وملأ الدنيا أصواتاً ورسائل ، وبعث رسله يدعوهم إليه ، وأكثر من اللقاءات والتوضيحات ، وأين ما حلّ الحسين عليه السلام تحدّث عن العنف الأُموي ، والخطر الأُموي ، ودعا هذه الأُمّة إليه ، فمن استجاب فاز ونال الدرجة العليا ، ومن تخلّف فهو الذليل العبد المملوك لهم.

---

(١) ما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفيّة في المدينة. راجع كتب المقاتل والسِّير.

الحسين عليه السلام في الساعات الأخيرة

أحسّ بالوحدة والغربة والانفراد، وأحسّ بالخذلان.

وهو في خضمّ المعركة والساعات الأخيرة والمواقف الشديدة، عند ذلك تلفّت الحسين عليه السلام فلم يجد له ناصراً، وأحسّ بأنّ الأمّة أسلمته وخذلته وتركته في الساحة، وبقي يتلفّت فلم يجد أحداً، إلّا نسوة ثكلى، إلّا أطفالاً يتباكون، عندها طلب الناصر وعندها صوّت:

ألا من ناصر ينصرنا ! ألا من ذابّ يذبّ عن بنات محمّد صلى الله عليه وآله !

وهل يطلب ناصراً.

كلمات الحسين وتصريحاته الأولى والأخيرة:

وقد قرأنا ما صدر عنه وما روي، كلّها دلالات، وكلّها جرأة وبطولة وتحدٍّ، وحبّ للشهادة وهو غير مبالٍ أو خائف أو مضطرب.

الحسين عليه السلام قال: «لا» أكثر من مرّة.. وهكذا قال الحسين عليه السلام:

«لَا واللهِ، لَا أُعْطِيهِمْ بَيدي إعْطاءَ الذَّليلِ، وَلَا أُقِرُّ إقْرارَ الْعَبيدِ».

وقال: «لا» في كربلاء مراراً، وإنّ «لا» في لسان الحسين عليه السلام كثيرة، ما فارقت كلماته، وهي تدلّ على أنّ الحسين عليه السلام إرادة وعزم، ولن يتراجع مهما اشتدّت الحال وكثرت الجيوش والعساكر والتهديدات، هو ذلك الحسين عليه السلام يعرّف نفسه للجيش،

ويفخر بأبيه وأمّة وجدّه وعمّه الطيّار جعفر وبحمزة سيّد الشهداء .

وقف أمام الجيش وهو يقول :

من له أمّ كأمّي في الورى ؟ بضعة المختار قرّة كلّ عين

من له أب كأبي حيدر ؟ ساد بالفضل أهالي الحرمين

هذا هو الحسين ، صدقت يا حسين . أنت أنت وهو يصوّت أمام الفلول المنهزمة :

أنا الحسين بن عليّ آليت أن لا أنثني

أمضي على دين النبيّ

هذا هو الحسين عليه السلام الذي قابل الألوف ، وهو الحسين الذي يحمل آلام الأنبياء ، وأفكار المرسلين ، وهموم الأمّة ، وكلّه عزم وعزّة وإباء ، واندفع وأمامه الجيوش ، وحوله السيوف ، ووراء خيام ، وتنطلق منها الأصوات ، وصياح الصبية من الخوف والظمأ ، وهو في الساحة يحمل بطولات الأباة ، وأفكار القدّيسين الأبرار ، والدعاة إلى الله ، وصولة المصلحين ، إنّه هو الحسين عليه السلام . الرجل الصبور ، وهو ذو حركة وحركيّة لم يهدأ ولم يتراجع ولم يسأم ، هو هو الحسين عليه السلام ، وحركته بزمانها وقوّتها وانطلاقته في يوم عاشوراء فيها ترجمة ، وفيها تعبير عن الفكر الإسلامي الثوري السياسي . هذا الذي يمثّله الحسين عليه السلام ويدعو له ويحمله بصبر وعطش ، وتحدّى فمن هو مثله في كفاحه وجهاده ومواقفه .

قال أبو عبدالله عليه السلام : «لمّا ضرب الحسين بن عليّ صلوات الله وسلامه عليه بالسيف فسقط ثمّ ابتدر ليقطع رأسه نادى منادٍ من بطنان العرش: ألا أيّتها الأمّة المتجبّرة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا فطر». ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : «فلا جرم والله ما وفّقوا ولا يوفّقون حتّى يثور ثائر الحسين عليه السلام »[1].

---

(١) علل الشرائع / الصدوق: ٣٨٩، باب العلّة التي من أجلها لا توفّق العامّة لفطر ولا أضحى ، الحديث ٢.

مَن هو الحسين عليه السلام ؟

أسماؤه وألقابه قديماً وحديثاً

فهو الحسين.. وهو ابن عليّ وكفى.

وهو ابن فاطمة.. وهو خامس أهل العبا.

وهو الشهيد ابن الشهيد أبو الشهيد وأبو الشهداء، وهو الإمام ابن الإمام، وأخو الإمام وأبو الأئمّة.

وهو الغصن الثاني وهو السبط وهو الحبيب لجدّه وأُمّه وأبيه، وهو أبيّ الضيم، وهو الوحيد وهو العطشان، وهو المظلوم، وهو العاري السليب، ولقّبه الإمام الصادق المتضعف الغريب[1].

الحسين عليه السلام أُطلق عليه مجموعة من الألقاب والعناوين عند المسلمين وعند غيرهم وعند الكتّاب الجدد.

فهو الثائر وهو القائد وهو أبو الشهداء، وهو رجل التحدّي والمعارضة، وهو أبو الرضيع وهو أبو العليّين الشهيدين، وهو أبيّ الضيم، وهو قائد الأحرار، أبو الأئمّة، وجاء قسم منها في زيارة الناحية المقدّسة وغيرها من الزيارات.

---

(١) راجع مفاتيح الجنان ـ أعمال عاشوراء.

وهي قديمة لمن أراد الشجاعة والعاطفة ، أو يتأثّر نفسيّاً ، أو يتذكّر ما جرى عليه ، ولقّب بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، ولقّب مقيم الصلاة ، ولقّب بالمجاهد ، وكلّهم مجاهدون ، وهذا اللقب يستحقّه الحسين عليه السلام هو وأبوه عليّ عليه السلام من قبل ، وهو لقب عظيم حقّاً ، كما ورد في زيارة عليّ عليه السلام ؛ لأنّه جاهد في الله حقّ جهاده؛ ولأنّه جاهد في سبيل الله وسبيل إعلاء كلمة لا إله إلّا الله .

ومن أجل إقامة حدود الله .

ومن أجل الأُمّة ، وكان جهاداً ناجحاً موفّقاً مقبولاً ؛ لأنّه أخلص لله ، وجاهد جهاد المخلصين ، حتّى امتلأ بدنه جراحات وسهام ، ما تمكّن الباحثون إحصاءها وعدّها ، وذهب علي والحسين عليهما السلام شهيدين .

ومن ألقابه الحديثة التي ردّدها الكتّاب هو رائد الوعي السياسي الإسلامي ، ومن ألقابه رجل التحدّي ، والحسين عليه السلام بطل كربلاء .

وألقاب الحسين عليه السلام كثيرة ، مختلفة في معناها ومفهومها ودلالتها ، فهي بين العاطفة والولاء ، وبين السياسة والثورة ، واللهيب السياسي الحادّ ، وهي تشبه بالشعار الثوري الذي فيه استثارة للقارئ واللّافتة السياسيّة المرفوعة أمام الجمهور .

وألقاب الحسين عليه السلام القديمة منصوص عليها ، ومروية وصادرة عن إمام . . .

جاء قسم منها في المقاتل والأحاديث ، وكان في عصره وفي حياته يطلق عليه الشهيد ، أو شهيد هذه الأُمّة والسبط الثاني والإمام الثالث ، والإمام الرشيد ، والطيّب ، والوفيّ ، والسيّد ، والزكيّ ، والمبارك ، التابع لمرضاة الله ، الدليل على ذات الله ، سيّد شباب أهل الجنّة ، أبو عليّ ، أبو عبدالله ، أبو السجّاد المظلوم الغريب ، قتيل كرفان ، الظامي الوحيد ، الفريد ، قتيل كربلاء ، قتيل الطفّ .

وتقسم ألقاب الحسين عليه السلام القديمة والحديثة إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأوّل : ما لقّبه الرسول صلى الله عليه وآله جدّه ، وأبوه عليّ والأئمّة الطاهرون ، وهي

الألقاب القديمة المذكورة في الكتب، وفي كتب التراجم.

النوع الثاني: ما لقّبه شيعته ومحبّوه بدافع الولاء والحبّ، فأطلقوا عليه ألقاباً، وهي بحقّ تنطبق عليه.

النوع الثالث: ما لقّبه الكتّاب والعلماء والباحثون وذوو الفكر، من عرب وغير عرب، ومن مستشرقين.

ومن ألقابه رجل الفداء، أو الفدائي الأوّل لدين جدّه بعد أبيه عليّ عليه السلام، الفدائي الأوّل، ومن ألقابه عليه السلام المفتدي، وهذا الذي جاء في منظومة الحائري محمّدباقر، قال:

لا سيّما جوار مصباح الهدى	سيّد أهلِ الخلدِ خير الشهدا
سبط النبيّ أحد الثقلين	مولى الورى سيّدنا الحسينِ
الصابر المحتسب الظمآنِ	المفتدي في طاعة الرحمنِ
بنفسه وأهله الأقارب	وصحبه الأكارم الأطايب[1]

ومن ألقابه عليه السلام الداعي، كما ورد في زيارته: لبّيك داعي الله، وكلّهم دعاة إلى الله، فكان جدّه محمّد صلى الله عليه وآله هو الداعي، وبذلك أمر الله أن يدعو وللدعوة ضوابط كثيرة لا بدّ للداعي أن يحيط بها علماً ودراية وبصيرة وخبره، وإلّا فمحكوم عليه بالفشل.

وبدأ الحسين عليه السلام دعوته بأقاربه والأقربين إليه، فمنهم من إلتحق به، ومنهم من تخلّف وبدأ دعوته بشيعته من أهل البصرة، فبعث إليهم رسالته الخالدة المدوّية ذات المعاني والآفاق.

أراد عليه السلام من الأمّة أن تسمع دعوته، وتعي رسالته، وتستجيب لصوته، لتقف في وجه الباطل الزاحف عليها، فدار على لسانه أنّ السنّة قد أُميتت، والبدعة قد

(١) المنظومة الاعتقاديّة ـ محمّد باقر الحائري: ١٢٩.

أُحييت، فاتّبعوني أهدكم إلى سبيل الرشاد، ووصلت رسالته، وقرأها الرسول ومن استجاب فهو القليل القليل، ومن لم يسمع وخاف وحذر فهو الكثير الكثير.

وقد يقال: إنّ الحسين عليه السلام جاهد وقاتل ولم يحقّق غرضاً، هذه شبهة هزيلة، ماذا قصد الحسين عليه السلام بجهاده حتّى يقال عنه هذا القول؟

كثير من الأُمم والمصلحين والمجاهدين جاهدوا، وقتلوا ولم يحقّقوا نتائج فعليّة، ولكن هناك مكاسب وثمار في المستقبل تحقّقت لهم، وجهاد الحسين عليه السلام حقّق نتائج ونتائج، وثماراً ومكاسب، وهو الذي استمدّ قوّته من الله، ومن أجل الله، وبعين الله، ويطلب في جهاده رضى الله تعالى، وهو الذي استمدّ قوّته من روح الشريعة ومن عزم أبيه وجدّه.

والحسين عليه السلام المجاهد وهو المجاهد.

وجهاد الحسين عليه السلام ينفرد عن غيره من المجاهدين قديماً وحديثاً، جاهد بصبر، وعطش، وورد في حقّه: جاهدت في الله حقّ جهاده، وماذا يقصد بعبارة «حقّ جهاده»، وفرق بين الجهاد المشوب بضمائم وقصود، ومصالح أُخرى، جهاد ودفاع من أجل بقاء ملك ودولة وسلطان وتوّسع مملكة وقوّة نفوذ.

وجهاد واقعي، وهو الذي يعبّر عنه بالجهاد من أجل الله، بالجهاد المقدّس، وهو جهاد الأنبياء الذين جاهدوا من أجل الله، ولاقوا ما لاقوه، وأخطأ من يقول: إنّه إلقاء النفس في التهلكة وجلب الضرر لها، هم لا يميّزون بين الجهاد والتضحية من أجل توحيد الله ومعرفته، وبين إلقاء النفس في التهلكة والضرر.

وخاطبه الشاعر النجفي الفرطوسي:

قدوة الناهضين في كلّ جيلٍ ... وإمام الأحرار في كلّ حيّ

مضريٌّ له التفاني شعارٌ ... والتفاني من شيمة المضريّ

ويقول في أوّل قصيدته:

تهْ جلالاً يا مولد العبقري بين طهر الزهرا ومجد عليّ

أنت مهدٌ لروح أحمد تعنو روح عيسى لقدسها الأزلي

وللحسين عليه السلام ألقاب وصفات خاصّة به ذكرت في الزيارة الصحيحة الواردة عن الأئمّة عليهم السلام ، فقد جاء في زيارة وارث :

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدِّينِ ، وَأَرْكانِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ.

وجاء في زيارته عليه السلام :

السَّلامُ عَلَيْكَ يا ثارَ اللهِ وابْنَ ثارِهِ ، وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ.

وجاء في زيارته :

وَصَلِّ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ الرَّشِيدِ قَتِيلِ الْعَبَراتِ.

وورد أيضاً :

فَاشْفَعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ الطَّاهِرُ إِلى رَبِّكَ في حَطِّ الْأَثْقالِ عَنْ ظَهْرِي.

وورد :

السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ وَابْنَ حُجَّتِهِ عَلى خَلْقِهِ.

وهو الذي حمل هموم الأُمّة ، وهو المجاهد ، وهو المظلوم ، ولم يُظلم أحد في الدنيا كظلامة الحسين وأبيه عليهما السلام من قبل .

وهو المقتول المنحور ، وهو الثائر من أجل قضيّة وهدف .

وهنا يتساءل الفكر ويكثر الكلام ، ويطول الحديث :

الحسين ثار وملأ المحيط الإسلامي توعية ، فلماذا كلّ ذلك ؟

ولماذا أقدم الحسين عليه السلام وقطع هذا الطريق الشائك وهذه المسيرة الطويلة ؟

هل الحسين عليه السلام لم تعرفه الأُمّة ، ويريد أن يتحرّك ويثور ويقول ويقف ليعرف أنّه هو الحسين عليه السلام ؟ ليس الأمر كذلك . .

ومن لم يعرف الحسين عليه السلام ؟ بنو أُميّة وأتباعهم يعرفون الحسين عليه السلام حقّاً ، معاوية ويزيد ، وحتّى أعداء الحسين عليه السلام هم يعرفون الحسين عليه السلام ، وأنّه رجل من أجل الحقّ ، ويقول الحقّ ، ولا يساوم ولا يهادن ، أو كان الحسين عليه السلام فقيراً وأراد أن يقاتل أو يقاوم ويهاجر للعراق ، ويتّخذ الكوفة داراً له ومقرّاً لزعامته حتّى تجبى له الأموال ، وينعم في الدنيا . .

ليس الأمرُ كذلك . .

ومن قال : إنّ الحسين عليه السلام كان فقيراً ؟ الحسين رجل عقيدة ورجل مبادئ راسخة ، عرفها وأخذها من وحي جدّه المصطفى ، ومن أجلها قدّم أغلى ما يملك ، قدّم ولده للسيوف والرماح .

ومن هو غير الحسين عليه السلام يقدّم ولده ؟ هذا هو الحسين عليه السلام الذي صار قدوة لحملة المبادئ في صبره وثباته ، إنّه رجل التحدّي . .

الحسين عليه السلام حامل رسالة

وقد تسأل ما هي رسالة الحسين عليه السلام ؟

الحسين عليه السلام خلف أباه وجدّه في عصره ، قام بدور يشبه دور الأنبياء ، ورسالة الحسين عليه السلام هي رسالة جدّه ورسالة أبيه ، وهي رسالة الأنبياء .

وماذا يريد الأنبياء في دعواتهم في الأرض ؟ إنّهم يريدون الدعوة إلى التوحيد ، ومعرفة الله وطاعته ، وكان خاتم الدعاة إلى الله ، هو شرفهم وأشرفهم وأكملهم ، ووارث أفكار الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله .

وجاء الحسين عليه السلام خلفاً عن جدّه ، أو هو من جدّه استقى أفكار جدّه كلّها ، وعلوم أبيه جميعها ، فكان أعلم أهل زمانه ، وأكثرهم دراية وفقهاً بالشرائع والرسالات . فجاء الحسين عليه السلام ليبلّغ رسالات الأنبياء بأساليب متعدّدة ، وينشرها في الأرض ولو بالحرب ، ونشر الحسين عليه السلام وبلّغ الحسين عليه السلام ووضّح ، وأقام الحجّة بعد الحجّة . وإن كان الطريق صعباً شائكاً طويلاً ، والرحلة فيها عقبات وعقبات .

ومهما كلّف الأمر واقتضت المصلحة ، ولو بالمواجهة ، ولو بالتضحية ، ووقف مبلّغاً ووقف خطيباً ، ولو صُمّت الآذان عن سماع أقواله وهضم أفكاره ، ما زال في التبليغ ، حتّى إنّهم صُمّوا عناداً عن بليغ مقاله . وأدّى الحسين عليه السلام رسالته ، كلّ وظائفه ، وقام بالتكليف الذي لا يطيقه إلّا هو ، وقد تقول وتسأل عن الحسين عليه السلام

هل كان عليه واجب ؟ وهل هو حامل رسالة ؟ وما هي رسالة الحسين عليه السلام ؟ وهل أدّاها ؟ وكيف أدّى رسالته ؟

إنّ الخطّ الذي سلكه الإمام الحسين عليه السلام هو من أجل غاية واحدة ، وهو الدعوة للحقّ والمعرفة والعدل في الأرض ، وإقامة حدود الله ، والوقوف في وجه الفساد ، ومن أجل ذلك كانت النبوّات ، وخلّفتها النبوّة بعد رحيلها عن الأرض ، والحسين عليه السلام خلف عن النبوّة في القيام بالتبليغ .

وقام الحسين عليه السلام وتحرّك في مسيرته الصعبة ، وقطع هذا الطريق الطويل والمسافات الشاسعة ، وسار على قدميه ، وتوكّل على الله ، وواجه أعداءه وأعداء الله وأعداء الأُمّة؛ لأنّه مكلّف ومخاطب ومأمور ، وانحصر هذا التكليف به دون غيره؛ لوجود المؤهّلات فيه ، فصار هذا الواجب عيناً عليه .

وقد تسأل : ما هذا الاندفاع الواقع من الحسين عليه السلام نحو الترحال والمواجهة والمثول في الساحة رغم قلّة أنصاره والاضطرابات السياسيّة والتقلّبات والتغيّرات الفكريّة والسياسيّة ، والمغريات الكثيرة للنفوس الخبيثة والشعارات المضادّة لدعوته ؟ !

وقد أجاب الشيخ الطريحي عن هذا الاندفاع قائلاً : إنّ الله قد ابتلى ابن نبيّكم الحسين عليه السلام ببلاء عظيم ، بكت من أجله السموات بأركانها ، والأرض بأرجائها [(١)] .

إنّه بلاء عظيم ، إنّه بلاء فوق الطاقة البشريّة ، وتبقى الأسرار خفيّة لم تكشف ، وما استطاع العقل أن يكشفها وحتّى اليوم ، وبقيت الحقائق مستورة بغطاء ، وهذا هو الإعجاز ، وبقيت تصريحات الحسين عليه السلام تحمل المعاني والمفاهيم والمقاصد .

إنّه الحسين عليه السلام . إنّه الإمام ، إمام في السياسة الإسلاميّة ، وهنا فكرة طرحها

---

(١) المنتخب ـ الطريحي : ٢٨ ، ط : النجف الأشرف .

العلّامة محمّد أمين زين الدين وذهب إلى أنّ دم الحسين عليه السلام كان له أثره في الدعوة وكمالها وتكاملها وتبليغها والوصول إلى الغاية البعيدة المقصودة.

وكيف السبيل ؟ وكيف الوصول إلّا بدم الفداء من وريد أبي الشهداء ؟ لقد قام الحسين عليه السلام بهذا الدور من الدعوة، أفلا يكون شريكاً لجدّه فيها[١].

ولا عجب لو كان الحسين من جدّه، وكان جدّه من حفيده وسبطه وحبيبه، فهذا من هذا، وهذا على مسلك هذا، فحسين هو محمّد صلى الله عليه وآله، ومحمّد صلى الله عليه وآله هو الدعوة، والحسين عليه السلام هو الدعوة.

ولا أُريد الغلوّ والمغالاة في هذا الإمام، فهو سرّ من الأسرار، وفيه انطوت أسرار كثيرة وضعها المصطفى فيه، ولا عجب لو قيل: الحسين عليه السلام لغز من الألغاز، لم يكتشف الفكر معناه، ويبقى الفكر عاجزاً عن إدراك الحسين عليه السلام وكشف ما يحمله الحسين عليه السلام.

وصدق شاعر النجف في هذه الرائعة:

لأنت أنت بما أُوتيت من قيم — سرٌّ من الغيب باقٍ ليس يُكتشفُ
كمتحف أثريّ ليس تُدركهُ — هذي العقول وفيه للنُّهى تحفُ
آثاره العلم لا الأحجار خاويةً — وكنزه الذِّكر والفرقان لا الخزفُ
وسوف يبقى مع الأجيال مزدهراً — يغزو الأعاصير لا يجتاحه التلفُ[٢]

ويبقى الحسين عليه السلام سرّاً من الأسرار، حيّر العقول، وأتعب المفكّرين، وأصبح بحثاً في الفكر السياسي الحديث في تحليل خطواته، وفهم قصده، وبعد نظرته

---

(١) مجلّة النجف ـ محمّد أمين زين الدين: العدد الخاصّ بولادة الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) مجلّة النجف ـ عليّ الصغير، ألقاها في حفل مولد الإمام الحسين عليه السلام في النجف الأشرف.

للحياة العامّة والمستقبليّة ، إنّه إمام . إمام حقّ وصدق .

حيّرت لكراً أنت مرشدُه ... من أين كوّنك الرحمان تكوينا

أظلّه صنع (خلق) الرحمان جوهرةً[١] ... لكنت من ذاك لا ماءً ولا طينا

في معاني تدسك الفكر العميق ... تائهٌ لا يهتدي صوب الطريق

لهو نهجٌ سُدَّ عنّا بابهُ ... واعتلت عن فهمنا أسبابُه[٢]

(١) في نسخة أُخرى : « صنع الايمان جوهرة » والأبيات للمرحوم جواد النجفي .

(٢) للمرحوم الشيخ البهائي .

الحسين عليه السلام حامل رسالة جدّه المصطفى للدنيا

رسالة الحسين عليه السلام وتكليف الحسين عليه السلام.

وقد تسأل ما هو تكليف الحسين عليه السلام؟

وما هي وظيفته الشرعيّة؟

وهل كان عليه واجب دون غيره؟

إذن ما هي رسالة الحسين عليه السلام؟

هل المواجهة والدم والتضحية، وليس هناك طريق غير ذلك؟

الحسين عليه السلام مسؤول عن هذه الأُمّة في بقائها وضياعها؛ لأنّه يحمل هموم هذه الأُمّة، وهو ابن بانيها، وإليه تنسب، وعليه واجبات وتكاليف دون غيره، وهو أوْلى بها، وقام الحسين عليه السلام لأداء هذا الواجب الملقى على عاتقه، والمصلحة والشعور بهذا الواجب الصعب هو الذي دعاه ودفعه نحو هذا الجهاد الصعب..

وبدأ الحسين عليه السلام مسيرته الصعبة، وهو القائل: لو لم أُعجّل لأُخذت...

ولم يمكث الحسين عليه السلام في المدينة طويلاً بعد إعلان يزيد بالخلافة، وبداية الدعاية للبيعة، وتوجّه الحسين عليه السلام يحمل رسالة مقدّسة رغم علمه بأنّ بني أُميّة قساة لا يتورّعون عن سفك دمه ودماء آله..

ورغم المشفقين عليه بالتراجع والإشارة عليه أن يهادن بني أُميّة، ورغم القائلين

له بصراحة ، وهذه مسألة ومن أصعب المسائل الفكريّة عند الكتّاب والباحثين ، كيف يكون الحسين عليه السلام يعلم بالقتل ويسعى للقتل والمواجهة ؟ وكيف يقدم الحسين عليه السلام وقد أُخبر وصرّحوا له أنّك تُقتل ، وأنّ السيوف قد أُعدّت لقتلك ؟

هذا وغيره لا يزال وما زال موضع حديث المفكّرين والباحثين ، وقد جاءه خبر مقتل ابن عمّه ، وأقدم على السفر.

ويستمرّ الباحثون في بحوثهم :

إنّ الحسين عليه السلام كان يعلم أو لا يعلم ؟ وإن كان الحسين عليه السلام ذا هدف خاصّ به ، أو هدف عامّ للأُمّة ، فهل حقّق ذلك الهدف ؟

وإنّ الحسين عليه السلام إمام ، ويملك خبرةً سياسيّة أم لا ؟

وإنّ الحسين كان جلوسه وبقاؤه أفضل له وللأُمّة من إقدامه وقتله ، حيث كان قتله خسارة كبرى للأُمّة .

وقد صدرت عشرات من البحوث وهي تدور في فلك واحد : كيف أقدم الحسين عليه السلام على القتل وهو على علم ودراية على أنّه يقتل ؟ وإنّ أهل الكوفة قومٌ انهزاميّون يغدرون ، وقد قتلوا مسلماً ولم يتراجع ولم يأخذ بقول المشيرين عليه ؟

ونقول لهؤلاء :

إنّكم تنظرون للحسين عليه السلام بمنظار خاصّ كما تنظرون إلى غيره من النّاس ، والحسين عليه السلام يختلف كثيراً عن غيره ، والحسين عليه السلام إمام مسؤول عن الأُمّة ، وهو قائدها ، أمّا غيره فيريد من الأُمّة أن تدافع عنه ، ويغلق بابه ، ويطلب من أتباعه أن يحرسوه ويدافعوا عنه .

أمّا الحسين عليه السلام فهو إمام ـ قام أو قعد ـ ، وخروجه وثورته وإقدامه وعدم تراجعه وجهاده بهذا الشكل ، واستمرّوا على هذا الخطّ ، وهو بتلك الحال قاتَل وقُتِل ، وبقي يواصل رغم ما وقع عليه وحلّ به وأصابه من عطش وأذىً ، فهو إمام ، وهذا دليل

على أنّه إمام ، وأنّه مسؤول عن هذه الأمّة ، ولا ينفصل عنها ، وهو القيادي الشرعي .

والغريب من الأقلام الحديثة أنّها تخوض موضوع الحسين عليه السلام وشهادته وتفسّرها بما تملك من شعور خاصّ ، وأبعاد محدودة . .

ويفسِّرها بأنّها حركة عداوة ، عداء بين أسرة موروثة ، أو هي حركة ارتجاليّة سريعة بنت الساعة ، أو هي وليدة أيّام ، أو هي اندفاع شخصي ، أو هي غير مدروسة ، أو هي لم تحقّق ثمارها ، ولم يكن فيها حصاد ونتائج إيجابيّة له وللأمّة . وبنوا على ذلك أنّها حركة ليس فيها تخطيط سياسي قبل المواجهة ، وأنّها لا تملك العدّة والقوّة .

وكتّاب هذا العصر كثيرون ، عرب وغيرهم ، كتبوا ويكتبون ، وأتعبهم الحسين عليه السلام ، والسرّ في ذلك أنّهم لا يملكون ذوقاً سياسيّاً دينيّاً ، ولا يعرفون الإمام حقّ معرفته ، ولم يدركوا شخصيّة الإمام ، ولم يدرسوا الإمام وصلته بالدين ، وما يحمله من مسؤوليّة كبرى ، وأنّ تكليفه يختلف عن غيره قوّة ومعرفة ، وصلته بالأمّة وأنّه ابن هذه الأمّة يؤلمه ما يضرّها ويصيبها ، ويحلُّ بها في الحاضر والمستقبل .

ولم يعلموا أنّ الإمام الحسين عليه السلام صاحب نظرية سياسيّة صعبة لا تُطاق ، ولا يحملها إلّا هو؛ لأنّه إمام .

والأغرب من ذلك أنّ بعض الكتّاب يقول على الحسين عليه السلام ويراه ألقى بنفسه إلى التهلكة ، ويقول ذلك ولم يدرك التهلكة ولم يتوصّل لفهم معناها ، ويرى أنّ كلّ تضحية وجهاد وشهادة تهلكة . إذن نقول في الأنبياء الذين جاهدوا وبذلوا وأبلوا بلاءً حسناً في وجه المنكر والباطل : إنّهم ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة !!

وقال آخرون : إنّ قضيّة الحسين عليه السلام قضيّة نزاع بينه وبين يزيد بن معاوية ، فهو نزاع بين اثنين في قضيّة معيّنة ، وهي يزيد والخلافة ، أي صار أو يصير خليفة ، والحسين عليه السلام عارضه في ذلك ، والحسين عليه السلام ذو طموح قويّ للخلافة ، والحسين عليه السلام

له رصيد في **الأُمّة** وأتباع ، وتشاطرا البلاد في تلك الفترة يزيد في الشام والحسين عليه السلام في العراق ، وكلّ يريد التغلّب على الآخر ، وأراد الحسين عليه السلام أن يتغلّب على يزيد ما دام له شيعة في الكوفة كاتبوه ، واصطدما وتلاقيا .

وإنّ الحسين عليه السلام جازف وغامر بأتباع معدودين ، وفتية قليلة ، وتسرّع الحسين عليه السلام ولم يتوانَ ولم يستعدّ للمواجهة والقتال .

وكان يظنّ أنّ أهل الكوفة يثبتون معه في الساحة ، ولم يتحقّق شيء للحسين عليه السلام ، وذهب قتيلاً بهذه المغامرة السريعة ، ويقول هؤلاء : أي شيء حقّق الحسين عليه السلام ؟ وما هو ؟

بقي يزيد سلطاناً ، والإمام الحسين عليه السلام سفك دمه ، وقتل وأهل بيته ، وذهب ضحيّة هذه المغامرة ـ كما يزعمون ويتخيّلون ـ وهكذا يتقوّلون ويزعمون ويتطفّلون ويظنّون أنّهم أهل نظريات سياسيّة ، ويملكون فكراً سياسيّاً صواباً ، ولم يحلّلوا شخصيّة الإمام ويعطوه من الإنصاف ومن الواقع نصيبه .

وإنّ للإمام شخصيّة عقائديّة ، ويرى نفسه مسؤولاً عن غيره ، وأدرك أنّ غيره مهدّد بمخاطر تهدّده ، وأنّ الإمام يحمل لهيباً قويّاً وانفتاحاً ، ويتحسّس للأُمّة ، ويملك كرماً وسخاءً بالنفس والدم من أجل قضيّة مقدّسة ، أمّا الآخرون لا يملكون ذلك ، والإمام إذا ثبت أنّه إمام فعليه أن يقدّم للآخرين ما يثبت إمامته ، وكيف يبرهن أنّه إمام ، وأنّه قام بواجبه ، وأدّى ما عليه . ويثبت للأُمّة أنّه إمامها ، وعليه تكليف ، وأنّ سكوته واعتزاله دليل على عدم إمامته ، ودليل على انفصاله عن الأُمّة ، ولا تربطه بالأُمّة رابطة من قريب أو بعيد ، ماتت الأُمّة أو عاشت ، أو جاعت ، أو غُزيت في عقر دارها ، أو أصابها الداء والخطر ، فما عليه إلّا أن يغلق بابه ويهرب عن الخطر خشية أن يصيبه ما يصيبها .

هذا ليس بإمام ، ولو فعل الحسين عليه السلام ذلك فهل هو إمام شرعي حقّاً ، ولكنّه أثبت

أنّه هو الإمام ، وأنّه رجل بطولة وتضحية دفاعاً عن الخطر الذي يهدّدها القادم إليها عن قريب من القوم الذين أحاطوا به ، وهم يحملون السيوف الكوفيّة والرماح !!

يطلب الناصر وهو يعلم أنّه مقتول ، وأنّهم قاتلوه ، فلمّا صوّت الحسين عليه السلام : ألا مِن ناصر.. ولا يزال صوت الحسين عليه السلام حيّاً يسمعه أهل المبادئ وحملة العقائد ، فإنْ كنت من أنصاره فانصره اليوم ، واسلك طريق الحسين عليه السلام ، ودافع عن المبادئ التي من أجلها جاهَدَ الحسين عليه السلام ، ومن أجلها بذل دمه ودماء أحبّائه ، ومن أجلها قدّم القرابين ، ومن أجلها تحمّل الأذى وصنوف الآلام .

الحسين عليه السلام والفكر الحديث

الحسين أتعب الكتّاب والأقلام. الحسين عليه السلام أتعب المفكّرين، مفكّري العصر الحديث، أُعتبر الحسين عليه السلام مادة علميّة، وموضوعاً فكريّاً، وميداناً واسعاً، فخاضوا ذلك الميدان، وطرقوا ذلك الباب في دراساتهم، وتعدّدت الدراسات الحديثة حول الحسين عليه السلام.

وبحث الحسين عليه السلام في كثير من المؤتمرات، وعلاقة هؤلاء المفكّرين بالحسين عليه السلام ليست علاقة دينيّة أو عاطفة أو دموع ساخنة أو رجاء كعلاقتنا بالحسين عليه السلام؛ لأنّ له شأناً ومنزلة، المفكّرون درسوا الحسين عليه السلام دراسة فكريّة سياسيّة، هل حقّق شيئاً، أو اندفع من أجل شيء، وماذا كان يقصده الحسين عليه السلام، ولا يبذل الدم إلّا من أجل ما هو شيء أغلى من الدم؟

أتدري كم هي المؤتمرات التي عقدت، والاحتفالات التي ذكر فيها الحسين عليه السلام ووصفوه في أبحاثهم، في البلاد العربيّة والبلاد الإسلاميّة والبلاد الأُوربيّة والقارة الهنديّة، ووصفوا الحسين عليه السلام بالبطولة والمعارضة والتحدّي؟

وقد كثرت أبحاث المستشرقين، وكتب علماء السياسة، وعلماء الفكر الثوري، والمعنيّون في عقليّات الشعوب، وتقييم الرجال ذوي المبادئ، وكلّ واحد من هؤلاء أخذ قلمه، وأطال تفكيره، وسلّط أضواءه الفكريّة نحو الحسين عليه السلام.

وكم قرأنا في الصحف والمجلّات المترجمة، وكم سمعنا من الإذاعات في مناسبات دينية وسياسيّة وثورية، وما أكثر المؤتمرات التي عقدت هنا وهناك، وذكر اسم الحسين عليه السلام وبنيه، وصلته بالإسلام والمسلمين، وصلة المسلمين الرافعين المبادئ؛ لأنّه حفيد جدّه، درس هؤلاء الحسين عليه السلام دراسات مختلفة الجوانب، وأكثر دراساتهم لمعرفة الأسباب والنتائج وبيان العلّة والدافع:

١ ـ لماذا حمل النساء إذا كان يريد الحرب؟

٢ ـ لماذا اصطحب الفتيان والفتيات والأطفال الرضّع إذا كان يريد المواجهة مع عدوّه؟

٣ ـ لماذا توجّه إلى الكوفة، وهم كما عُرفوا بالكذب والغدر والانهزاميّة، وعدم الثبات على رأي واحد وبيعة واحدة وموقف واحد؟

٤ ـ لماذا لم يأخذ برأي من أشار عليه بعدم التوجّه إلى العراق؟

٥ ـ لماذا لم يأخذ برأي أخيه وابن أبيه محمّد بن عليّ بالتوجّه إلى اليمن؟

٦ ـ لماذا لم يرجع ويتراجع ويعود ويؤوب لمّا علم بتغيّر الأحوال؟

٧ ـ لماذا لم يعقد مؤتمراً للمفاوضة أو يعقد صلحاً، أو يعقد اجتماعاً بينه وبين عدوّه، يحضره من هؤلاء وهؤلاء، مَن كان له، ومَن كان عليه؟

٨ ـ لماذا لم يستعن بغيره في حلّ قضيّته ونشر دعوته بين صفوف المسلمين؟

٩ ـ لماذا أقدم على الحرب مع قلّة عدده وقوّة وكثرة عدوّه؟

١٠ ـ لماذا أخرج معه ولده وهو عليل مريض، وما هو غرضه من ذلك؟ وهل كان في إخراج العليل غرض؟ وهل كان إبقاؤه عذراً شرعيّاً لسقوط الجهاد عنه؟ وعدم تكليفه لعدم قدرته على حمل السلاح، وأي رسالة كان ذلك العليل يؤدّيها؟ وأي تكليف كان مكلّفاً به؟

١١ ـ لماذا لم يجتمع بقوّاد الجيش الأُموي ، كابن سعد وأعوانه ، ويدعوهم إليه لينضمّوا إليه ، دعوة واسعة ، وهل كان ذلك عملاً لو فعله الحسين عليه السلام كان نجاحاً ؟

١٢ ـ لماذا اتّخذ أُسلوب الصراحة والجهر والإعلان وهو رجل ثائر مقابل دولة قويّة ؟ وكان المفروض عليه أن يتّخذ من التكتّم والسرّية والإخفاء نصحاً ، كما هو شأن الثائرين ، وهذا ما دعى إليه المنطق الديني : « استعينوا على أُموركم بالكتمان » .

ودرس هؤلاء كلّ تصرفّات الحسين عليه السلام بفكر وموضوعيّة .

فقال لهؤلاء : هذه شريعتي وهذا طريقي في الحياة ، وإذا قدّر لي أن أُقتل فأُقتل ، وقد هتفت للثورة ، وبذلت دمي ، وارتحلت نفسي إلى البقاء ، إلى الله ، إلى الحياة الخالدة .

فما هو عذر الحسين عليه السلام لو تراجع ، ولكن لا يتراجع ولن يتراجع ، وما قيل عنه أنّه طلب من القائد ابن سعد أن يأذن له بالعودة إلى المدينة ، فهو من مفتريات التاريخ الأُموي الذي كتبته الأقلام المضادّة ، أصحيح أنّ الحسين عليه السلام يتراجع ؟ ولماذا لم يتراجع وقد أُخبر بذلك وهو في مسيرته نحو كربلاء بما يلاقيه ؟ ولكنّه أصرّ على المسير والمواجهة ، هذا هو حسين البطولة والفداء .

مسائل حسينيّة .. سياسيّة .. فكريّة

المسألة الأُولى : الحسين عليه السلام قاتل جيشاً أقوى من جيشه ، عدّة وعدداً ، وكان جيشه أقلّ من ذلك بكثير. جيش الحسين عليه السلام نيف وسبعون ، أمّا جيش العدوّ فكان آلافاً مؤلّفة ، رغم ذلك قاتل الحسين عليه السلام وجاهد ، ووقف وتحدّى.

أمّا لو انعكس الأمر ، فكان جيش الحسين عليه السلام هو الأكثر ، وجيش عدوّه أقلّ من جيشه ، فهل يكون الأمر عكسيّاً ، لا يقتل الحسين عليه السلام ، ولا يقتل آله وإخوته وأنصاره ، ويقتل يزيد وابن زياد ، ويحقّق الحسين عليه السلام الأمل المنشود والهدف المقصود له ، قتل يزيد واسترجاع الحقّ ، وتسلّم الأمر وتطهير البلاد من الفساد والجور والحكم الأُموي ووضع الأمّة في طريق جدّه وأبيه ، أم المسألة هي هي كان جيشه قليلاً أم كثيراً ، هو إمام مقتول ويزيد حاكم ظالم مستبدّ قاتل له ؟

مسألة أسباب تغلّب جيش ابن زياد على جيش الحسين عليه السلام في معركة كربلاء ، هل سببه قلّة الجيش الحسيني وكثرة الجيش الأُموي ، أم هناك أسباب ونقاط قوّة وضعف موجودة في القيادة والتخطيط للحرب ؟

وهذه مسألة جديدة لو أنّ الحسين عليه السلام تأكّد من إمكانيّاته في المواجهة ، وأدرك قوّة الدولة الأُمويّة وما تملك من رصيد ومن قوّة ، وبعد ذلك يبدأ الحسين عليه السلام في ثورته في الوقت المناسب لها ، أمّا الوقت الذي بدأ به الحسين عليه السلام ثورته فليس وقتاً

مناسباً له أبداً؛ وذلك لأنّ الدولة الأُمويّة كانت أيّام عنفوانها وأيام جبروتها وقوّتها، وما تملك من مركزيّة في النفوس وهيبةً في قلوب الآخرين. فلو أقبل الحسين عليه السلام وأخّر الثورة لوقت آخر، وانتظر حتّى إذا ضعفت وبان هزالها وظهرت للآخرين عيوبها، وتكشف نواياها عند ذلك يعدو عليها ويفاجئها بثورته لحقّق نصراً أكبر ممّا حقّقته.

هكذا قيل.. يقول المفكّرون اليوم: أمّا الحسين عليه السلام فصارع دولة أقوى منه رغم ضعف جيشه، وقلّة إمكانيّاته عدداً وعدّة.

ورغم ما تملكه الدولة من جيوش وأعوان وأنصار وقوى مختلفة، وإنّ ثائراً بهذا الشكل لا يكتب له النصر والانتصار، ولا يحقّق له هدفاً واحداً من أهدافه. إنّ جيشاً قليلاً كجيش الحسين عليه السلام يقابل جيشاً كجيش ابن زياد في يوم واحد، فإنّه لا يحقّق هدفاً، فقد تكون نتيجته الاندحار والهزيمة والنهاية، كما تحقّق ذلك في كربلاء في خطواته، فإنّ الحسين عليه السلام كان سريعاً.

اتّخذ العجالة مسلكاً في ثورته، وكان القتل نصيبه، وحتّى رضيعه قُتل، أمّا لو بدأ الحسين عليه السلام معركته بالحرب الكلاميّة أوّلاً وأمهل الدولة حتّى إذا بان للآخرين حقدها وجبروتها عليهم، عند ذلك يكون الهجوم بقوّة وجيش وعدّة وعدد.

أمّا الذي قام به الحسين عليه السلام فلم يحقّق بعضاً من طموحاته وأهدافه، فممّا لا شكّ فيه أنّ يزيد كان أقوى من الحسين عليه السلام، وممّا لا شكّ فيه أيضاً أنّ يزيد يملك الأسلحة على اختلافها، ولديه السلطات الكثيرة، والحسين عليه السلام لا يملك إلّا السلطة الروحيّة الدينيّة والحبّ في القلوب التي تعتقد أنّه إمام حقّ.

أمّا يزيد فكان عند الآخرين حاكماً مطاعاً يخشى ويحذر منه المسلمون في شرق البلاد وغربها.

وجاء الحسين عليه السلام ومعه مجموعة قليلة يريد أن يطيح بدولة قويّة، وهذا فعل

لا يقدم عليه أبسط النّاس ، ولذلك هزم الحسين عليه‌السلام ، ولذلك قتل الحسين عليه‌السلام ، ولذلك رجع جيش يزيد يفتخر ويفخر وأصبحت البلاد قاطبة خاضعة ليزيد بعد الحسين عليه‌السلام ، تحذره وتخافه ، وخاصّة بعد رفع رأسه وسبي نسائه في البلدان ، وقد رأى من رأى ، وسمع من سمع ، فسكت الجميع وخافه النّاس هنا وهناك .

وكانت الكلمة التي يهمس بها النّاس : إذاكان الحسين عليه‌السلام وهو ابن عليّ قابل يزيد وقتل وطافوا برأسه وسبوا حريمه ، وماذا يا ترى يصنع في غير الحسين عليه‌السلام لو حدّثته نفسه بمواجهة يزيد ؟ ! ! فهذا حسين عليه‌السلام رغم ما عليه كانت نهايته القتل هو وآله .

والإجابة على هذه المسألة وباختصار أنّه بدأ يدعو ويراسل ويعلن ويتحدّث قبل المواجهة وقبل الحرب ، وكان على الأُمّة أن تلتحق به لحرب يزيد ، أمّا أنّها لم تستجب فهي المذنبة ، وهي صاحبة الكبيرة التي لا تغفر .

وهناك مسألة أُخرى : هي أنّ الحسين عليه‌السلام لو بدأ معركةً في المدينة قبل كربلاء ، فيقتل بني اُميّة مجموعة مجموعة ، ويقتل كلّ أُموي ، ويذهب إلى البصرة ليقتل كلّ أُموي فيها ، ويذهب إلى الكوفة ويقتل كلّ أُموي فيها ، ثمّ يبدأ الحرب في كربلاء . لو كان الحسين عليه‌السلام سلك ذلك فإنّه لم يدع على الأرض أُمويّاً ، ولطهّر البلاد من بني اُميّة ، ولكنّه ارتحل بآله وأنصاره ، وكان اللقاء مع أضخم جيش وأكبر عدد من أعوان بني اُميّة ، ولذلك كانت الحرب ساعات ، ولم تدم الحرب أكثر من ذلك ، حيث لم يملك الحسين عليه‌السلام قوّة المقاومة ، واستمراريّة الحرب مع أعدائه إلّا ساعات . ثمّ تمخّضت عن نتيجة ، وهي قتله وقتل آله .

والجواب على ذلك : لو بدأ الحسين عليه‌السلام الحرب مع بني اُميّة في المدينة لساقوا إليه جيشاً إلى مدينة جدّه ، ويتحوّل الحسين عليه‌السلام إلى شهيد المدينة ، وكذلك الحال في البصرة ، أو في الكوفة ، أو في النجف ، أو في غيرها . وعلم الحسين عليه‌السلام بذلك وعرف النتائج وأدرك أنّه مجاهد ، وأدرك أنّه يلاقي عدوّه ، وعرف أنّ عليه مسؤوليّة

وواجب لا سكوت عليه ولا صبر.

وأحبّ الشهادة عند اللقاء، وأدرك أنّ العدوّ لا يتراجع ولا ينتهي إلّا بقتله عليه‌السلام، وذهب الحسين عليه‌السلام شهيداً صابراً، وذاق طعم السيوف وألم الرماح وضرب الحجارة، وتذوّق طعم العطش.

وهناك مسألة ثالثة هي أنّه لم يتوجّه إلى الكوفة خاصّة أو إلى العراق بصورة عامّة إلّا بعد أن انهالت عليه الرسائل، وهذه عبارة الشيخ المفيد.. وهو لم يتوجّه إليها قبل الرسائل، فهل خدعته هذه الرسائل واستجاب إليها. وهو إمام محنّك ويأخذ بالتجارب السابقة التي مرّت على أبيه وأخيه من قبل، أو مثل الحسين عليه‌السلام تغرّه هذه الرسائل الكاذبة فيكون عندها مطمئنّاً وبها يثق.

وحاشا للحسين عليه‌السلام أن يكون الإمام المخدوع المغرور، أوَما قرأ أقوال أبيه: «المغرور من اغترّ بكم»، وهل اغترّ الحسين عليه‌السلام بتلك الرسائل وتحرّك استجابة لها واطمئناناً بأهلها، وفرح بتلك التواقيع البرّاقة، وهو الذي كان يصوّت أخاف أن أُخدع أو أُغرّ! وأهل العراق عندهم قدرات على خداع الآخرين، فقد خدعوا الحسن عليه‌السلام بالبعثة، وسار بهم، وخدعوا عليّاً من قبل، وانقلبوا عليه، وخرجوا على إرادته وإمامته، وخدعوا زيداً وبايعوه وساروا خلفه.

وخدعوا المختار وانهزموا من حوله، وهذا ما رأيناه اليوم والأمس، منهم قوم الخداع والأيمان الكاذبة والمواثيق. أمّا المؤمن المحنّك، والإمام المفكّر المستبصر بالأُمور لا يخدع ولا يغشّ ولا يخان ولا يغرّر به، وكأنّي بقاتلكم يقول اليوم: أليس حسين وهو إمام قد خدعه أهل العراق، كما خدعوا مسلماً بن عقيل، فأرسل إليه رسالة يحثّه على التوجّه نحو العراق، كما خدعوا زيداً بعدها؟!

الجواب عن ذلك، وهذه مسألة جديدة وهي أنّ الحسين عليه‌السلام دعا أتباعه من أجل ماذا؟ وتوجّه بهم من أجل ماذا؟ هل دعاهم لمواجهة السيوف؟ وهل دعاهم

لتسليم أنفسهم لجيش أقوى منهم ؟ وهل هذا مباح في الشريعة ؟ أنّ إنساناً يسلّم نفسه لعدوّه ، ويدعوه ويقول له هيّا وهلّم افعل ما تشاء وترغب لأُقتل وتكون أنت قاتلي ؟

وهل الإقدام على ذلك من محبّذات الشريعة ؟ أليست هي عمليّة انتحاريّة ، والقدوم عليها ممّا يحرّمه الشرع ، وإذلال النفس وتسليم النفس للعدو ، والاستهانة بالنفس ليس من الشرع ، والشرع هو الذي نادى عليكم أنفسكم ، وقال : إنّها أعزّ الأنفس عليكم ؟

وقد ورد أنّ الحسين عليه السلام في مسيره سمع هاتفاً من بعيد أو قريب ينادي : القوم يسيرون والمنايا تسير بهم ، أو القوم يسيرون نحو الموت . وقد سمع الحسين عليه السلام ذلك الصوت ، وأخبر أقرب النّاس إليه ولده وأخاه ، وسمع الآخرون منه ، فكان عليه أن يتراجع ويأخذ بموكبه نحو الأمان والنجاة والخلاص والحياة .

فلم يتراجع ، وسار مسرعاً ، وسار وهو يقود موكبه ، وسار وهو يتقدّم آله ، وسار بهم وهو يعلم أكثر منهم بأنّ أمامه السيوف والرماح وقطع الأوصال ، وسار والموكب من ورائه حتّى أوصلهم إلى ساحة الموت .

وهل يجوز ذلك في الإسلام ، أن يقود الإنسان قبيلاً من قومه إلى أعدائه هو ، والقوم يطلبونه هو بالذات وليس الآخرين ؟ كما قال هو عليه السلام :

« أمّا بَعْدُ ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أصْلَحَ مِنكُمْ ، وَلا أهْلَ بَيْتٍ أفْضَلَ مِنْ أهْلِ بَيْتي ، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيْراً ، وَهذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً ، وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أهْلِ بَيْتي ، وَتَفَرَّقُوا في سَوادِ هذَا اللَّيْلُ وَذَرُوني وَهؤُلاءِ الْقَوْمِ ، فَإنَّهُمْ لا يُرِيدُونَ غَيْري » .

وكأنّه رجل أخذ بمجموعة من الذين لم يمارسوا السباحة ولم يعرفوا خوض الأمواج ، أخذ بهم إلى بحر عميق وهم لا يجيدون السباحة ، وحبّذ لهم النزول نحو

البحر العميق ، وكانت نتيجة هؤلاء أن غرق الجميع .

أليس هذا هو الإغراء ؟ أليس هذا هو الخداع ؟ وهذا مذموم في الشرع ، ومن فعل ذلك يحمّله الشرع مسؤوليّة الجميع .

وحديثنا عن الحسين عليه السلام الذي أخذ بجمع كبير من أصحابه وأتباعه وآله وفتيانه وسار بهم حتّى توسّط ساحة موحشة وميداناً قاحلاً ، وقد أحاطت به آلاف من الخيول وجحافل من الفرسان ، مَن هو المسؤول عن دماء هؤلاء ؟ أليس الذي أخرجهم ودفعهم وسلّمهم إلى السيوف طعمةً ؟ !

والجواب عن ذلك : هو هل ورد عن الحسين عليه السلام تصريح واحد بأنّه قال : أنا متوجّه إلى تكوين مملكة وخلافة وبلد استقرار ورغد عيش ، وأنّه ذاهب إلى حياة دائمة وأمان ، وأنّ الأُمور سوف تصبح بيده . ألم يأمر الحسين عليه السلام آل عقيل وهو في الطريق بالتفرّق والذهاب والانصراف عنه ؟

الحسين العقل السياسي في الأُمّة

بدأ الحسين عليه السلام أعماله الثورية بلغة التوعية والتعبئة، وغرس في ذهنيّة أُمّة جدّه المفاهيم الثورية، والمحفّزات في الندوات والاجتماعات واللقاءات، واللغة يقال لها اللغة الجريئة، اللغة السياسيّة، اللغة الثورية، وجعل الحسين عليه السلام ينهج نهجاً جديداً أكثر صراحة وجرأة، وسلك الحسين عليه السلام في تلك اللقاءات أساليب متعدّدة، فهذا يناسبه أُسلوب الخطبة، وذاك اللقاء بنفسه، وذاك الرسالة أو يبعث نائبه أو رسوله، وعلينا هنا أن ندرس لغة الحسين عليه السلام، اللغة الثورية السياسيّة كما يقول السياسيّون في عصرنا.

ولمّا نهج الحسين عليه السلام وبدأ يمارس عمله السياسي اتّخذ من اللغة السياسيّة مثلاً لأفكاره، وغرساً لمبادئه في عقليّة الأُمّة، آملاً منها أن تعي وتنضج وتهضم آراءه وما يهدف إليه، فهو إمام، وهو صريح، وهو جريء.

أضف إلى ذلك تجاربه السياسية والزمن لذي عاشه، والأحداث التي واكبها أيّام أبيه، كلّ ذلك خلق فيه إماماً مدافعاً، وبلغة ثورية، وهو يحمل الفكر الأصيل، وهو فكر الأنبياء، وعلينا أن ندرس لغة الحسين عليه السلام.

لغة الحسين عليه السلام السياسيّة:

كتب الفقيه النجفي محمّدحسين مقالاً في الحسين عليه السلام مبيّناً ملامح لغة الحسين عليه السلام، واختلاف لغته عن لغة أبيه عليّ عليه السلام.

فلو قرأنا ما ورد عن الحسين عليه السلام من قول، وقرأنا ما ورد عن أبيه، وعن جدّه وأخيه من خطب وإجابات لوجدنا أنّ للحسين لغة معيّنة تختلف عن لغة أبيه وجدّه، الحسين عليه السلام مختلف في لغته وأُسلوبه وصياغته للجمل، الحسين عليه السلام حماس، والحسين عليه السلام صراحة وتحدٍّ، والحسين عليه السلام إرادة صلبة، هذا ما وجدنا في خطبه السياسيّة، ليس فيها لفٌّ ودوران، وليس فيها خشية من سلطان.

واللغة السياسيّة عند الحسين عليه السلام هي الطابع في كلامه وكلماته، والجرأة هي الطابع الثاني والصراحة والتحدّي وقول الحقّ، فلو قرأنا كلماته لرأينا حسيناً خلّف هذه الكلمات، وهي تمثّل الإنسان الواقعي والصدق وقول الحقّ.

عجيب أمر الحسين عليه السلام، وعجيب منطقه وخطاه وخطواته وصراحته، وكلّه عجب، وكلّه جرأة، هذا تراث الحسين عليه السلام السياسي الساخن الملتهب الذي لم يعرف الوهن والضجر والسأم والاستسلام، فليس هو بالرجل الهيّاب، وقبل يوم عاشوراء وقبل أن يعلو صهوة جواده وقربوس سرجه وبزمن طويل قطعه الحسين عليه السلام كان يطلق الصرخات المدوّية، ويتفوّه بكلمات كلّها شدّة وصراحة، وأصوات الحسين عليه السلام هي الأصوات العالية الجريئة، ولا تزال ترنّ في مسامع هذا الإنسان، كما سمعتها هذه الأُمّة من قبل.

هذا هو الحسين عليه السلام الذي يحمل سيف أبيه، وعزم الأنبياء، فإن كان في الأنبياء ذوو عزم، فإنّ الحسين عليه السلام يحمل عزم وقدرة وحزم واندفاع المصلحين.

هذا هو تراث الحسين عليه السلام السياسي، ارتحل الحسين عليه السلام وخلّف هذا التراث، قال هذا، وأعلنها بصراحة، ثمّ عزم وتوكّل، واندفع ووقف وأثبت وجوده،

وأقام ألف حجّة ، فماذا بعد هذا ، وهل يتراجع أو يستسلم ! أو يقول : أعتزل الحياة السياسيّة ، أو اعتزل وأترك الحاكم ، وأدع الأُمّة تعيش في هذا الميدان تستقبل الضربات من هذا الحاكم وذاك ، وهذا السلطان ، وهذا المستبد ، وكانت لغته لغة الصابرين الثابتين في أشدّ موقف ، وهو القائل : « الموت قنطرة » ، وهو القائل : « صبراً على الموت بني عمومتي »[١] ، وهو القائل : « خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة »[٢] ، هذه نماذج من تراث الحسين عليه السلام ، وهو يقف في الساحة ويتلفّت فلم يجد له عوناً ، ومع ذلك ينصح عدوّه بلغة شديدة : « ما لك قطعت رحمي » ، « قطع الله رحمك » ، وهو القائل : « إنّي أكره أن أبدأهم بالحرب » .

---

(١) ما قاله عليه السلام عند وداعه لآل عقيل .

(٢) خطبة في مكّة رواها ابن أعثم الكوفي .

الحسين عليه‌السلام والسلطة الأُمويّة

السياسة الأُمويّة التي تحدّث عنها الكتّاب من جوانب مختلفة ، وأخذت منهم الوقت ، وملئت الصفحات بالحديث عن الأيام الأُمويّة في التاريخ العربي السياسي ، وحديثنا عن بني اُميّة وسياستهم وقوّتهم .. وموقفهم من الدعوة الإسلاميّة ، وكيف استفادوا من النزاعات الداخليّة التي اُثيرت أيّام خلافة الإمام عليّ لتقوية نفوذهم وبسط سلطانهم على الأمّة ، وحكم البلاد شرقاً وغرباً .

فهل حقّق الحسين عليه‌السلام النصر والانتصار ، أو حقّق بعضاً من أهدافه في مواجهته لتلك السياسة الحاكمة ؟

الحسين عليه‌السلام إمام ، والإمام حكيم ، والحسين عليه‌السلام تلميذ النبوّة ، فهو ذو دراية واسعة ، إمام محنّك مسدّد خطّط وحلّل الأُمور ، وأدرك الربح والخسارة ، وسجّل الخطوط الأُولى في ذهنيّته ، ثمّ رسمها بخطّ أسود ، وأعطاها للدنيا لتقرأ هذه الصحائف الحمراء عنوانها هؤلاء بنو اُميّة الذين أباحوا المحرّمات .

حقّاً أنّ الحسين عليه‌السلام إمام حلّل خصومه ومقاتليه تحليلاً صعباً ، وكشفهم وعرّف الاجيال طباعهم ، نحن لا نقول : إنّ الحسين عليه‌السلام أطاح بالدولة الأُمويّة وهدم عروشها ، وأراح الأُمّة منها من جبروتها ، وإنّما نقول : الحسين عليه‌السلام الانطلاقة الأُولى والتجربة الأُولى للكفاح الفكري لهذه الأمّة ، فقد وضع الأُمّة في مسار ثوري ، وأشار

لها لتسلك ذلك الطريق الذي يوصلها إلى الوجود الدائم ، فهو النذير الذي أنذر الحكّام الأُمويّين ، وأعطى للأُمّة جُرعة إلى الطريق السوي إن هي أرادت أن تبقى أُمّة ويكتب لها النجاح في دنيا الأمم .

إنّ الحكّام من بني أُميّة أطلقوا على أنفسهم صفات وألقاباً ، وسخّروا دعاتهم ولبسوا (جبّة) الزاهدين ، وتظاهروا بالتقوى ، وصفّوا أنفسهم بمصاف المقدّسين ، ورفعوا شعاراً عنوانه أنّهم أوْلى من غيرهم في إدارة شؤون الأُمّة ، وأنّهم أقرب من غيرهم لبيت النبوّة ، وأنّهم أقرب للدين من غيرهم ، ولكن في نفوسهم الشرّ والعداء والحقد والعصبيّة ، وماضيهم وأيّامهم ومواقفهم تدلّ على ما في نفوسهم من شرّ وكراهية للرسول صلى الله عليه وآله وللإسلام ، ولكنّ السؤال الذي نحاول الإجابة عنه :

كيف تمكّن الحسين عليه السلام من كشف واقع بني أُميّة للأُمّة وللتاريخ والأجيال ؟

والسؤال الثاني : كيف كانت الأُمّة من حيث الفهم والإدراك والتحسّس لذلك الخطر الذي يهدّدهم نتيجة وجود الأُمويّين في البلاد وتسلّطهم على الأُمّة ؟

بنو أُميّة قبيلة عرفتها الأُمّة العربيّة قبل الإسلام ، تختلف عن كلّ القبائل العربيّة بنفسيّتها وتطفّلها على القيم الخُلقيّة العربيّة ، وبدأ الرسول صلى الله عليه وآله يقرّب هذه القبيلة ، ويدعوها إلى الإسلام لغسل نفوسها من الدرن والشرك والرواسب والجاهليّة الموروثة .

حاول الرسول صلى الله عليه وآله وأكثر من محاولة أن يقرّبهم إليه ، ويغيّر من نفسيّتهم ، ويكشفهم على واقعهم ، وحاول بنو أُميّة أن يسالموا الشريعة والسلطة الإسلاميّة ، وأن يعتنقوا الإسلام بالألسن ، ويبطن الكفر في النفوس ، كلّ ذلك والرسول قرّبهم وجاراهم ، وهو أعلم بهم وأعلم بما يبطنون .

هذا والرسول صلى الله عليه وآله منحهم الرتب العالية ، والمناصب العليا ، وصاهرهم ، وأعطاهم وأخذ منهم ، فأعطى شيخهم وظيفة الجباية ، وسخّر بعضهم في الكتابة ،

وتستّروا في الصف الإسلامي يجارون الأمّة ويسايروها خوفاً وحذراً ، يتحيّنون الفرص للانقضاض على الوجود الإسلامي ، يصلّون وفي باطنهم العداء الملتهب ، ويحضرون الغزوات وهم سيوف مسلّطة على المسلمين ، ثمّ جاء عليّ عليه السلام وحاول أن يكشفهم ولكنّهم اتعبوا عليّاً عليه السلام ، ثمّ جاء الإمام الحسن عليه السلام وهادنهم وصالح بني أميّة صلحاً مشروطاً ، وصبر بحلم وأناة ، وحبّ للمسلمين ، ورحمة بالأمّة ، وصيانة للدماء ، ولكنّ معاوية لا يهمّه ولا يؤلمه من قتل أو سفك دمه .

يقول عنهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

« وَيْحَكَ يا أَبا هِرَّةَ ، إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَخَذُوا مالِي فَصَبَرْتُ ، وَشَتَمُوا عِرْضي فَصَبَرْتُ ، وَطَلَبُوا دَمي فَهَرَبْتُ ، وَايْمُ اللهِ لَتَقْتُلُنِي الْفِئَةُ الْباغِيَةُ وَلَيَلْبِسَنَّهُمُ اللهُ ذُلّاً شامِلاً وَسَيْفاً قاطِعاً ، وَلَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ ، حَتّى يَكُونُوا أَذَلَّ مِنْ قَوْمِ سَبَأٍ إِذْ مَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ فَحَكَمَتْ في أَمْوالِهِمْ وَدِمائِهِمْ »(١) .

وبنو أميّة قتلة ، وهم الذين تآمروا على أبي بكر وحاولوا إثارة الفتنة عند بيعته ومبايعته ، وهم الذين تآمروا على عمر ، فنجحوا وتآمروا على معاوية ، وتآمروا على عليّ عليه السلام ، وحقّقوا مآربهم ، وهم الذين اتّفقوا مع آل الأشعث في العراق وسخّروا جعدة ابنة الأشعث ، ودسّوا السمّ للإمام الحسن عليه السلام ، ثمّ تآمروا على الحسين عليه السلام ، وهم أعداء الأمّة ، وأعداء الإسلام ، ولكنّ الحسين عليه السلام وأباه وجدّه هم الذين كشفوا عن واقعهم .

والحسين عليه السلام هو الذي عرّى وكشف عن بني أميّة ، وعرّفهم للدنيا أمس واليوم ، هذا ما حقّقه الحسين عليه السلام ، وهذا أثر من آثار ثورته . إنّ الحسين عليه السلام وقف مقابل ذلك الصراع السياسي الشديد ، وأثبت وجوده ، وأنّه هو والسياسة الأمويّة بشدّتها وقوّتها

---

(١) راجع كتب المقاتل القديمة والحديثة.

والحسين عليه السلام مع قلّة أنصاره استطاع أن يقف في وجه هذا التيّار الذي ما تمكّن غيره أن يقف في وجهه ، فكثيرون هم الذين ذابوا وسايروا وداهنوا وذابت شخصيّاتهم وتنازلوا وتغيّرت لغاتهم وأفكارهم أيّام بني أُميّة .

ولعلّك لا تصدّقني إلّا أن تعرف ملامح وطابع ومميزات السياسية الأُمويّة ، ثمّ تقرأ سيرة وحياة أُولئك الرجال الذين كانوا وعاشوا أيّام بني أُميّة السياسيّة الأُمويّة ، كما تحدّث عنها التاريخ السياسي قائمة على التمييز والتقديم والتأخير والتفضيل والقريب والبعيد والحرمان والتهديد والإرهاب والاضطهاد والمحاربة حتّى في الرزق ، أليس الأمر بسبّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنابر كان من سياستهم اللئيمة ؟ يقول الإمام عليّ عليه السلام بهذا الخصوص :

« أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي ؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي ، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي ؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ »[1] .

لقد اعتبر بنو أُميّة النّاس عبيداً مسخّرين ، وأنّ الملك والخلافة لهم ، وأنّ الله هو الذي فضّلهم وجعلهم على العباد ، فهم سادة ، وتجب طاعتهم ، هذا هو الفكر الأُموي ، وهذه السياسة الأُمويّة ، فمن كان له هوىً أو عنده ولاء لعليّ حُرم ، وكان نصيبه الحرمان ، ومن كان له صلة بهم بسبب أو بغير سبب كان هو المفضّل والمقرّب عندهم ، وبذلك استطاع الأُمويّون أن يضربوا سلطانهم في البلاد .

يتحدّث الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حول تسلّمهم السلطة :

« أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ ،

---

(١) راجع نهج البلاغة / ابن عبده.

عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، وَلَا عَلَمٌ يُرَى[١].

---

(١) راجع نهج البلاغة / ابن عبده.

دفاع عن الحسين عليه السلام وموقف فكري بين الخطأ والصواب

الحديث عن الحسين عليه السلام وقراءة حكايته وقصّته ومأساة كربلاء أوقعت الكثير من القرّاء في أخطاء فكريّة ، ونقلها المتأخّرون ولم يحلّلوها تحليلاً معقولاً ، ولم يعطوها حقّها بعدالة معقولة ، ولم يرجعوا الحدث إلى عصره ومتطلّبات الزمن .

فقد قرأنا آراء القدماء وكلّها آراء باطلة ،آراء تمثّل الأفكار المضطربة ، وكلّها بعيدة عن الصواب؛ لأنّ صاحبها بعيد عن التحليل والواقعيّة ، فهذا ابن العربي وهذا ابن خلدون وغيرهما قالوا في الحسين عليه السلام ، وكان غيرهم قد قلّدهم ، وأخذ بآرائهم ، ثمّ جاء محمّد الخضري فوقع في هذا الخطأ أيضاً .

ونحاول أن نخوض في هذه الآراء ، ومعرفة الينبوع الذي استقى منه هؤلاء القدماء (ورأس الخيط) ـ إن صحّ التعبير ـ الذي مسكه المتأخّرون وتعلّقوا به ، وبقيت هذه الآراء الخاطئة على صفحات الكتب المطبوعة ، وسلاحنا هو القول والقلم ، ورائدنا الموضوعيّة والصراحة ومعرفة هذه الهفوات ومصدرها ومأخذها ، وتصحيح هذه الأخطاء التي وقع فيها القدماء والمتأخّرون ، وحتّى المستشرقون من فرنسيّين وألمان وغيرهم ، ثمّ جاء جيل فقلّدهم وسار على خطبهم ، ونقل أقوالهم ، وصدّق ما قالوه ، وردّد تلك الأخطاء كثيرون .

فقد قرأ غيري أفكاراً خاطئة ولم تزل موجودة ولم يزل إلى اليوم من يؤمن بها ،

ويأخذ بها، ويرويها، فيرى أنّ الحسين عليه السلام قد ارتكب خطأً سياسيّاً في خروجه على يزيد بن معاوية، الرجل الفاسق.

والقائل قد ذهب وآمن واعتقد بقداسة الحسين عليه السلام وعظمته، ومقدار غيرته على الشريعة، ويعتقد أيضاً بفسق يزيد وتهوّره رغم ذلك، وهو يقول وبجرأة: إنّ الحسين عليه السلام قد أخطأ هذا الخطأ؛ لأنّه لم يعدّ للأمر عدّته من قبل، وقد سبّب مقتله ضرراً وخسارة وثلمة، وأحدث على المسلمين هذه الثلمة وهي لا تزال موجودة، وكان مقتله خسارة في الوجود الإسلامي سياسيّاً وفكريّاً وقوّةً، وكان بقاؤه أفضل من إقدامه؛ لأنّ في بقائه وحياته ووجوده، والمرجعيّة والرجوع إليه، والأخذ والانطلاق منه وعنه، ورائد هذه الفكرة هو ما ذكره الأُستاذ محمّد الخضري في تاريخ الأُمم الإسلاميّة (١:١٥٧).

وهذا معنى كلامه: إنّ الحسين عليه السلام أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد أُلفتها إلى يومنا هذا. غاية الأمر أنّ الرجل طلب أمراً لم يتهيّأ له، ولم يعدّ له عدّته، فجعل بينه وبين ما يشتهي، وقتل دونه... إلى آخر كلامه، وفي كلامه هذا الجرأة على إمام موفّق، معصوم، مسدّد.

مع الخضري في خطئه:

والخضري الذي ابتكر مثل هذه المقولة، ولكنّه قد تأثّر بآراء المستشرقين؛ لأنّ الحسين المكلّف، والإمام المسدّد.

إنّ الخضري تأثّر بالمستشرق الأب (لامنس) [١].

ثمّ ردّد الدكتور محمّد يوسف موسى هذا الخطأ، وكأنّه يذهب هذا المذهب

---

(١) انظر مادة «الحسين» في دائرة المعارف الإسلاميّة: الجزء السابع. فإنّك تجد فيه مثل هذا الخطأ.

ولا نقل يؤيّد هذا الخطأ، كما قرأنا ذلك في كتابه[1]، فقد ردّد الدكتور محمّد يوسف هذه الكلمة من غير تحليل، ولم يقدّم الأدلّة المقنعة الكافية لمذهبه. إنّ هؤلاء غاب عنهم، وخفي عليهم معرفة شخصيّة الحسين عليه السلام وتكليفه ولم يحيطوا بالخطر الذي يهدّد الوجود الإسلامي، ومن هدّد بخطر فعليه أن يدافع عن ذلك الخطأ بأي سلاحٍ، وبأيّ قوّة، ولو بالكلمة، ولو بالصوت، ليقول لمن يسمع بأنّ خطراً يهدّدني.

هذه اجتهادات قابلة للتحليل لا أن يُأخذ بها من غير معرفة استنباطها ومبانيها، ولا كلّ من اجتهد قد أصاب، ولا كلّ ما قرأناه في الكتب القديمة هو الحقّ، والحقيقة وكم أخطأ القدماء، وكم غاب عنهم، وغفلوا ولم يلتفتوا إلى الجوانب والدوافع والعوامل التي سبّبت ذلك القول أو ذلك الفعل.

فقد نقرأ كلمة أو حديثاً أو خطبة ونقف عندها ونعجب أو نستغرب حتّى القائل، ولكن علينا أن نعرف الزمان والمكان والداعي والسبب والمقتضي، فكلّ حديث له حادث، وله داعٍ، وله ظروف محدودة، ومتطلّبات، فإذا أرجعنا ذلك إلى مقتضيات ودواعٍ عرفنا: لماذا قال هذا القائل؟ ولماذا انطلق هذا وذاك؟ ونحن الآن بين يدي الحسين عليه السلام، وعلينا أن نعرف الدواعي والأخطار والدوافع التي من أجلها قام الحسين عليه السلام ووصل إلى ما وصل إليه.

(١) الحكم في الإسلام: ١٠٦ ـ ١٠٧.

وقفات ومواقف وآفاق جديدة

تحقيقات فكريّة في خطى الحسين عليه السلام

نحن عند رحاب الحسين عليه السلام ، ونحاول أن نحرّك أقلامنا ونسترجع ما قاله ، وما صدر عنه ، وما فعله ، وندخل في آفاق واسعة لعلّ التوفيق يصحبنا ونطرق باب الصواب ويبقى الحسين عليه السلام في معركة الأفكار الحديثة .

ويبقى الحسين عليه السلام يحرّك الأقلام وتتزاحم عند رحابه المقدّس أفكار المفكّرين ، وتتصارع وتصطدم العقول في حوار ، وتنتقل من محور إلى آخر في تحليل وتعليل وتأمّل ... إنّه الحسين عليه السلام !

وهذه هي الأقلام الجديدة في حركة وعمل دائب كلّها حول الحسين عليه السلام في معركته وفي مسيرته وفي موكبه ..

الموقف الأوّل : هل كان للحسين عليه السلام أن يعتزل الموقف الساخن ويميل إلى السكوت ، ويعتزل الحياة العامّة ، وهنا معادلة سياسيّة ، هي أنّ سكوت الحسين عليه السلام واعتزاله معناه الفرار والانهزام والضعف والوهن ، ويترتّب عليه استمرار سلطة يزيد واستقراره ، حيث لا معارض ولا رادع ولا مانع ، وعندها يمضي في تحقيق أهدافه الشاذّة ، هذه هي الصغرى . ويلزم ذلك البقاء واضطهاد المسلمين ، ويفعل ما يريد ، وأوامره ونواهيه كلّها تهدّد الإسلام بالخطر والعدم والسقوط والزوال وانتشار الضلال

وطغيان الجاهليّة التي زالت وأُزيلت . فما هو موقف الحسين عليه السلام ؟

لا بدّ من حركة خيّرة تحرّك ذهنية المجتمع ، وقد قام سيّد الشهداء عليه السلام .

الموقف الثاني : أنّ الحسين عليه السلام إمامٌ ، ومعناه أن يقوم بوظيفة الإمامة ، ولكنّ الفكر الحديث قد يتساءل ، ويقول : هل كان العمل الشرعي منحصراً بالسيف والدم لردع السلطة الحاكمة والوقوف في وجهها ، وقد يقال : إنّ الحسين عليه السلام لو تفاوض مع الدولة وعقد صلحاً أو هدنة أو معاهدة لوصل أو استطاع أن يصل إلى حلٍّ وسط ، وكان ذلك أفضل من قتله وقتل آله بهذه الفاجعة ، ولكان الحلّ الوسط أفضل له ، ولكنّ النتيجة انتهت ، وكانت لصالح الدولة الأُمويّة ، فقد تبيّن أنّها قويّة لا يستطيع أحد مقاومتها والوقوف في وجهها ، وظهر مركزها الشعبي في البلاد الواسعة ، وتبيّن أنّ الأكثرية كانت بجانب الدولة الأُمويّة ، فهل هذا يدلّ على أنّ الأُمّة في قناعة ورضىً وقبول بخلافة يزيد ، ورافضة لشخصيّة الحسين عليه السلام .

أو يقال : إنّ يزيد فيه استعداد لملاقاة الحسين عليه السلام ، ويتوصّل الرجلان إلى حلّ غير القتل والقتال ، أو يقال : إنّ يزيد لم يكن في ذهنه يوماً قتل الحسين عليه السلام ، ولو أراد قتله لقتله يوم كان في المدينة ، أو كان في مكّة ، أو في الطريق ، ولو أراد قتله أو الخلاص منه أو تصفية البلاد من المعارضة والمعارضين الذين رفضوا بيعة يزيد لبدأ بهم واحداً واحداً ، فلماذا حارب الحسين عليه السلام وآله ؟ ولماذا ترك غيره من أولاد المهاجرين والأنصار وأولاد الخلفاء ورسالته التي بعثها كان فيها دعوة إلى جمع الكلمة ، وشدّ الأُمّة بعضها لبعض ، والتفافها حول قيادة واحدة ، فهذه تحمل صورة رجل يريد الخير للأُمّة والتفافها حول قيادة واحدة ، ولو كان يزيد رجل انتقام أو رجل دم أو قتل لبدأ بقتل الحسين عليه السلام والآخرين قبل أن يدعوهم إلى البيعة ليتخلّص منهم إذ كانوا أعداءً له .

فالمستهدف أوّلاً والمقصود بالذات قبل كلّ شيء هو دعوتهم للبيعة لا للقتل ،

ولو كان القتل مقصوداً لبدأ بقتل الحسين عليه السلام بمكّة أو في المدينة قبل أن يشدّ رحله أو يصل إلى الساحة أو يلتحق به من يلتحق، أو يواجه جيش يزيد وجهاً لوجه.

هذه أوهام وشبهات يختلقها الذهن والفكر الحديث. إذن كيف نردّ هذه الشبهات المتصوّرة التي اختلقها الفكر الحديث، أو قالها من قالها، وإن لم ترو بصراحة ووضوح ؟

وندخل في حديث جديد عن الإمام الحسين عليه السلام، الإمام الثائر الذي قاتل قوى الفساد في البلاد، وخاض معارك فكريّة، وصراعاً سياسيّاً قبل يوم عاشوراء، وخرج منها منتصراً، وحقّق كلّ أهدافه، واندحرت القوى الأُخرى، قوى الفساد، أمام البركان الحسيني الذي تفجّر في كربلاء أمام الصرخة المدوّية.

وهنا يطرح السؤال: هل خرج الحسين عليه السلام من تلك المعركة السياسيّة ظافراً منتصراً رغم قتله وقتل آله، فمن هو الغالب ومَن هو المغلوب، ومَن هو المقتول ؟

الموقف الثالث: أنا أعجب من أُمور وأحداث وسطور قرأتها فيما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، وتحتاج إلى تأمّلات متواصلة لا انقطاع فيها، إنّ عجبي من أُمور ثلاثة:

١ ـ لماذا لم يقتل عليّ بن الحسين (السجّاد عليه السلام) في كربلاء أو في الكوفة أو في الشام، والقوم الذين قتلوا أباه وعمّه وأخاه والقوم الذين يظهرون كالذئاب الجائعة، ماذا يمنعهم من قتله للتخلّص منه ؟ لكنّ رعاية الله وعنايته حرسته ليعود إلى المدينة لتبقى الإمامة تؤدّي دورها في الدنيا.

٢ ـ ولماذا لم يمت في الطريق البعيد، وكلّه متاعب وأسفار وتنقّلات ومشاهدات ؟ إنّ الله هو الحارس والحافظ.

٣ ـ لماذا لم تقتل شقيقة الحسين عليه السلام، أو تمت في الطريق، والمرأة كما نقول: قلبها وتحمّلها وطاقتها وضعفها نصف وأقلّ من نصف عمّا هو في الرجل، والمروي

أنّ ابن زياد قد همّ وعزم على قتلها مراراً ؟ وماذا يمنعه ؟ وقتل النساء سنّة أُمويّة موجودة ، مكتوبة معمول بها في القاموس السياسي الأُموي ، ولكنّ الجواب أنّ الحسين عليه السلام ضمن لها السلامة والعودة لترعى أطفاله ، وتؤدّي الأمانة ، وتقوم بالمسؤولية ، ويعلم ذلك من كلمة الحسين عليه السلام لزينب عليها السلام [(١)].

وقد سلمت شقيقة الحسين عليه السلام من كلّ المخاطر ، واستجاب الله دعاء الحسين عليه السلام في حقّها ، وكان المفروض أن تسجن وتزجّ في السجون الأُموية ، ومن الذي يمنع بني أُميّة من ذلك ، فقد سجنوا نساءً وقتلوا نساءً وهتكت النساء في الأسواق والطرقات بذنب الرجال ، إنّها شريعة تتنكّر لها الإنسانيّة وتستهجنها .

الموقف الرابع : ونقف بين يديّ الحسين عليه السلام (الرجل) فهل كان يعلم بالقتل أو لا يعلم ؟ وإذا لم يكن عالماً فقد أعلمه ذوو الرأي والبصيرة في المدينة وفي الطريق .

فإذا قرأنا الروايات والحكايات ، وما نقل في الكتب الأُخرى من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخبره وهمس في أُذنه ، وأوحى إليه بأنّه يقتل في مكان وفي زمان وفي أيّام مقبلة ، ومن هذه الروايات وهي (بألفاظ مختلفة) ، وفيها علم إجمالي أنّ شيئاً قد انطبع في ذهن الحسين عليه السلام ، وأنّه قد سمع أو أُسمع ، أو روي له أنّه رجل مقتول ، وهذا قد تكرّر ، وكلّ ذلك كان قبل واقعة كربلاء قبل ذلك بخمسين عاماً .

والكلام هنا من جهتين :

الجهة الأُولى : إمّا أن نقول : إنّ هذه الروايات والحكايات ليست واردة ، وأنّها روايات قيلت وحكيت ونسبت ، ولذلك نجد من شكّك في صحّتها ، وعدم اعتبارها ، ولم يأخذ بها ، وعلى فرض صحّة الخبر والمحاورة بينها وبين الحسين عليه السلام

(١) «إنَّ اللهَ ناصركنّ وجاعل أمركنّ إلى خير».

فقد يكون ذلك اللقاء في مكّة لا في المدينة[١].

والمنقول في إثبات الوصيّة المنسوب للمسعودي أو لغيره، وذُكر في غيره في خرائج الراوندي (الصفحة ٣٢)، وفي بحار الأنوار (١٠ : ١٧٥) مع قليل من الاختلاف.

أضف إليه ما يقال عن الحسين عليه السلام أنّه قال: «شاء الله أن يراني قتيلاً»، كلّ هذه التصريحات وهذه الأخبار فيها دلالة على أنّ الحسين عليه السلام كان في ذهنه شيء وعلم إجمالي بأنّه في المستقبل سيلاقي ما يلاقي. وأعطف عليه كلامه مع أخيه محمّد بن عليّ حينما توجّه إلى العراق، وكان جواب الإمام عليه السلام:

«أَتاني رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَما فارَقْتُكَ، فَقالَ: يا حُسَيْنُ، اخْرُجْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ شاءَ أَنْ يَراكَ قَتيلاً».

وفي ذلك شكّك وتردّد الكاتب صاحب كتاب شهيدى جاويد، وذهب إلى رفض ذلك، ويذهب إلى المذهب التالي: وهو أنّ هذا الحديث لم يكن موجوداً إلى حدّ النصف الثاني من القرن السابع في الكتب المعتبرة.

وأُدرج في المقاتل الأُخرى، وظهر بعد ذلك، وإذا رجعنا إلى الكتب التالية لم نجد فيها هذا الحديث.

الإمامة والسياسة	الأخبار الطوال	تاريخ اليعقوبي
تاريخ الطبري	العقد الفريد	الكافي للكليني

---

(١) لقد شكّك الكاتب الشهير صاحب كتاب (شهيدى جاويد) الفارسي في حديث القارورة وملاقاة الحسين عليه السلام مع أُمّ سلمة، ولم يعتبر تلك المحاورة بين الحسين عليه السلام وبينها لسببين: الأوّل: من حيث السند، والثاني: أنّ أُمّ سلمة كانت على قيد الحياة أم كانت قد ماتت.

مروج الذهب	مقاتل الطالبيّين	إرشاد المفيد
روضة الواعظين	إعلام الورى	مقتل الخوارزمي
تهذيب ابن عساكر	الكامل لابن الأثير	تذكرة الخواصّ

هذه كتب معتبرة إذا رجعنا إليها وقرأناها لم نجد فيها هذا الحديث الذي نسب إلى الحسين عليه السلام ، فعلى ذلك لم يصرّح الحسين عليه السلام بأنّه يعلم بقتله وبقاتله وبزمان قتله ومكانه.

الموقف الخامس: ما يقال بأنّ الحسين عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه، وقال له، وسمع أمره، واستجاب له، وهل إنّ مثل ذلك يدلّ على أمر تكليفي يجب امتثاله، وقد شكّك في هذه الرؤيا، رؤيا الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله صاحب كتاب (شهيدى جاويد) في الصفحة ٩٨، كما أنّه شكّك في قصّة التربة والقارورة، وله مذهبه ومسلكه في ذلك، وكذلك شكّك هذا الرجل في قضيّة الرؤيا.

ودواعي الشكّ عنده خمسة، وأدلّة التشكيك التي اعتمد عليها هي ما يلي:

١ ـ أنّ كثيراً من المؤرّخين الذين كانوا قبل المؤرّخ ابن أعثم الكوفي لم يذكروا هذه الرؤيا، والذي ذكر ذلك هو ابن أعثم.

٢ ـ من الكلمات المرويّة أنّها تدلّ على أنّها كلمات ابن أعثم وأُسلوبه المعروف.

٣ ـ أنّ ذلك يدلّ على عدم إحاطة الحسين عليه السلام وتدبيره بالواقع العامّ، ونفسيّة هؤلاء ومكرهم وضعفهم النفسي، والإمام ذو عقلٍ وتدبير ومعرفة، وحاشا الحسين عليه السلام أن يكون غافلاً عن مكر هؤلاء.

٤ ـ أكثر المؤرّخين يقول ببقاء الحسين عليه السلام في المدينة ليلة واحدة، أو سافر في الليلة نفسها، فمتى صار ذلك وذهب الحسين عليه السلام وهوّمت عيناه واطمأنّ والتقى وسمع جدّه يقول له كذا..

٥ ـ يوم كان الحسين عليه السلام في المدينة لم تكن بينه وبين شيعة أبيه رسائل ودعوة إلى التوجّه حتّى يتوجّه ويقرّر السفر، ويستجب لأمر جدّه في الرؤيا والكلام لا موضوع له، وكذلك السفر إلى كربلاء؛ لأنّه لا داعي ولا دعوة ولا مراسلة ولم يكن انتشار موت معاوية في الأقطار ليطّلع عليه الخاصّة والعامّة، وإنّما أخذ خبر موته دوائر مختلفة في الانتشار من طبقة إلى طبقة، ومن مدينة إلى مدينة، فأوّل من علم به مجموعة قليلة، ثمّ انتشر موته بين الطبقة المعارضة، أو الذين بعث عليهم ودعاهم يزيد إلى بيعته، فلم يكن أهل الكوفة في الأيّام الأُولى قد علموا بموت معاوية، وحتّى الطبقات الأُخرى من أهل المدينة فكيف يتوجّه الحسين عليه السلام إلى الكوفة ويأمره جدّه بالسفر إلى كربلاء لينال الشهادة؟ مسألة ليست بهذه البساطة، وتحتاج إلى أقلام جديدة، وأفكار جديدة لنصل إلى حقائق بعيدة.

الموقف السادس: قصّة نزول الملائكة على الحسين عليه السلام وهم مهيّؤون لنصرته، وهل الحسين عليه السلام قادم على مواجهة الدولة وعازم على الحرب وذلك يستدعي الإعداد للحرب، والقرآن قد وضع لذلك منهاجاً يجب السير عليه والأخذ به.

القرآن أمرنا قبل المواجهة والالتحام بإحضار القوّة والعدّة والإعداد للحرب لنتمكن من تحقيق الهدف المقصود: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾[1]؛ ولذلك فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يقاتل إلّا بعد الإعداد لمواجهة عدوّه، ولم يعتمد على نفسه أو على الدعاء، أو ينتظر نزول ملائكة مسلّحة للأرض، وإنّما خطّط للحرب وهندس لإعداد القوّة، ودرّب الجند، وخطّط ووضع نظماً عسكرية، فإنّ القرآن فيه منطق عسكري لا بدّ أن نأخذ به، كما أخذ به الرسول ويأخذ به من جاء بعد الرسول: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ**

---

(١) الأنفال: ٦٠.

إيماناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[١].

فإنّ القرآن حذّر القوى العسكريّة والمقاتلين ، وأوجب عليهم الإعداد للحرب وإحضار القوى الكاملة ، فكان على الحسين عليه السلام إذا كان ـ كما قيل ـ عازماً على الحرب أن يعدّ العدّة ، ويهيّئ الجند ، ويكثر من الجيش قبل المواجهة ، ويسير بسيرة جدّه ، فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله ذو صلة بالسماء ، والله سبحانه يرعاه ويحرسه ويسدّده ، وله امتداد واتّصال ، كلّ ذلك كان متوفّراً وحاضراً للرسول ، والله بيده الأسباب ، وهو مسبّب الأسباب ، ومع ذلك الله أمر رسوله بإحضار السبب وتهيئة الأسباب وإعداد القوّة .

وكذلك الأنبياء الذين قاتلوا فإنّهم هيّأوا الأسباب ولم يتخلّوا عن الأسباب في كلّ اُمورهم وتصرّفاتهم ، وحتّى الأسباب الطبيعيّة لعبت دورها في كلّ اُمور الأنبياء رغم صلة الأنبياء بالسماء ، ولا نقول : إنّ الأنبياء لم يتوكّلوا على الله ، وهذه شبهة قد تؤثّر على نفسيّة الضعفاء ، ومعنى التوكّل لا أنّه ينطوي ويجلس في داره وينتظر النصر والانتصار والغلبة بغير سبب ، تعالى الله عمّا يقولون ويصفون ، فلا بدّ من إحضار السبب ، فما هو قولنا في الحسين عليه السلام ، فهل هيّأ الحسين عليه السلام قوّته ، وأعدّ جنده قبل الالتحام إذا صحّ القول إنّه عازم على مواجهة عدوّه ؟

وأمّا ما قيل بأنّ الملائكة نزلت على الحسين عليه السلام وهم عدد غير قليل ، ولكنّ الحسين عليه السلام اعتذر لهم كما نقل ذلك أبو جعفر الطبري في كتاب (دلائل الإمامة) عن رجل من العامّة يقال له : سفيان بن وكيع ، وهو ينقل عن رواة آخرين .

أصحيح ذلك أم هي اُسطورة ، أيُأخذ بهذا أو يطرح ذلك ؟ وهل يناسب ذلك أو يتناسب ، ويليق بالحسين عليه السلام وهو المفكّر العملاق السياسي الكبير ؟ !

والمقاتل بحاجة إلى يدٍ واحدة وسلاح بسيط لمواجهة عدوّه ، محتاج مفتقر إلى

---

(١) آل عمران : ١٧٣ .

الكلمة الواحدة، ومادام الحسين عليه السلام عدوّاً للسلطة الحاكمة وهو يريد الحرب بأي سلاح، وكيفما كان ذلك السلاح يوجّهه إلى صدورهم، فكيف بجيش مسلّح ينزل عليه وبأيديهم حراب من نار، فكيف يرخّصهم ويعتذر لهم، أهذا صحيح؟! أيُأخذ بهذا أم نضربه عرض الجدار.

وكلّ ثائر لا بدّ له من جيش وعدّة وعدد وقوّة لمواجهة عدوّه.

الحسين عليه السلام أهو محارب أو جاء للمفاوضة، أو جاء للإقامة أو الاستقامة، أو خرج خائفاً يجوب الفيافي والقفار؟ أصحيح ما يقال: إنّ الحسين عليه السلام علم وأُعلم وأُخبر بأنّ أهل الكوفة استنفرهم ابن زياد وخرجوا بأسلحتهم لملاقاتك ومواجهتك، وأنّهم لا ثبات لهم ولا وفاء لنصرتك، وأشار بيده إلى السماء، فنزلت الملائكة أفواجاً أفواجاً، وقال: «لولا تضييع أجري لاستعددت من هؤلاء ولكن أعلم مقتلي ومقتل أصحابي ولا يبقى منهم أحد سوى ابني عليّ عليه السلام».

وفي الرواية تأمّلات كثيرة وشكوك، ونحن نعلم أنّه قد بقي بعد واقعة كربلاء غير عليّ بن الحسين، حتّى قيل: بقي عشرة أو أكثر، وحتّى كلمته عليه السلام «تضييع الأجر». ما معنى هذه الكلمة أو ليس أجره إذا دافع وانتصر وأراح الأُمّة من الخطر الذي يهدّد ما بناه جدّه المصطفى؟

أليس الملائكة الذين نزلوا بأشكال بشريّة ورآهم وسمعهم وهم مستعدون لنصرته؟ فإذا كان هو يريد الدفاع والقتال فقد قاتل بهم وأحيا بهؤلاء الجند آثار جدّه، أما كان ذلك هو الأجر العظيم من الله؟ وانصرافهم عنه والاذن لهم بالانصراف أما كان ذلك هو أجر ضايع وتضييع للأجر؟ وفي هذا الحديث تأمّلات ونقاط ضعف.

والأعجب من ذلك أنّ السيّد ابن طاووس رحمه الله يذكر هذه القصّة في اللهوف[1]

---

(١) كتاب اللهوف كتاب جيّد ومختصر، كتبه هذا السيّد الجليل ليقرأه على النّاس أو يقرأوه عند سفرهم إلى الحائر الحسيني، وهو كتاب جليل، ولكنّه فيه نقاط ضعف كثيرة وكثيرة.

في الصفحة ٥٤ بدون تعليق ، وحتّى الذين رووا عنه ونقلوا لم يلتفتوا إلى مسألة ضياع وتضييع الأجر ، مع أنّ ابن طاووس يذهب إلى أنّه قد بقي من أصحاب الحسين عليه‌السلام أو أرحامه وأبناء أخيه عدد غير قليل ، وكيفما كان فقد بقي من بقي ، واعتذر هذا وذاك مسألة دوّنها أرباب المقاتل ، ولكنّ الذي يهمّنا هو أنّ الحسين عليه‌السلام أهو ثائر مقاتل أو هو غير ذلك ؟

الموقف السابع : الحسين عليه‌السلام إمامٌ خاض معركة سياسيّة صعبة ، ودخل في ساحةٍ مليئة بالأشواك والمخاطر ، ودخل في خضمّ الأمواج ، حفّ به خصومه ، وأحاط به أعداؤه ، وضيّقوا عليه ، وزحفوا عليه أمواجاً أمواجاً ، وقبائل ، وكلّها رايات تقطر بالدم ، يجب الدفاع عنه وحمايته فرضٌ ، وهو في حالة كان يجب على من كان معه أن يدافع عنه ، ومن التحق به ومن كان حاضراً عليه أن لا يبرح إلّا أن يدافع عن إمام ، ومن تخلّف يعدّ فارّاً مخالفاً عاصياً ، فإذا عرفنا هذه المقدّمة دخلنا في السؤال الجديد : كيف جاز له أن يأذن لأنصاره بالتفرّق عنه والانصراف ؟ أيجوز ذلك ؟ وهل يجوز إسقاط ذلك عنهم ؟ وهل هم مكلّفون بذلك ؟

« لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَصْلَحَ مِنكُمْ ، وَلا أَهْلَ بَيْتٍ أَفْضَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيْراً ، وَهذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً ، وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ، وَتَفَرَّقُوا في سَوادِ هذَا اللَّيْلُ وَذَرُوني وَهؤُلاءِ القَوْمِ ، فَإِنَّهُمْ لا يُريدُونَ غَيْري » .

أصحيح أنّ قسماً من أصحابه تركوه وانصرفوا ، وهو الذي مدحهم ، وهل تفرّق عنه أصحابه وخذلوه ، إنّها قولة مشهورة بين النّاس تتردّد بأنّهم تفرّقوا عنه في ليلة عاشوراء بعدما أذن لهم .

هذا قول لا مصدر له ولا نصيب له من الصحّة ، ولا دليل عليه ، فإذا رجعنا إلى المصادر لا نجد لهذا الكلام الشائع أثراً ، بل العكس ، نجد الإصرار والثبات

والملازمة والبقاء والتفاني والتضحية ، والمصادر التي نرجع إليها لنقرأها هي تاريخ اليعقوبي (٣: ٢٣٨) ، تاريخ الطبري (٤ : ٣١٨) مقاتل الطالبيّين (١١٢) إرشاد المفيد (٣١٣) أعلام الورى (٢٣٥) روضة الواعظين (١٨٢) الكامل لابن الأثير (٤: ٥٧) مقتل الخوارزمي (١: ٣٤٧) تذكرة السبط ابن الجوزي (٣٤٩) مثير الأحزان (٣٦) تاريخ ابن كثير (٩: ١٧٦) اللهوف لابن طاووس (٨٠) مناقب ابن شهرآشوب (٤: ٩٩) ، وفي هذه الكتب المذكورة أنّ أصحاب الحسين عليه السلام رفضوا وامتنعوا وأبوا أن يذهبوا ويتركوا سيّدهم وحيداً فريداً؛ لأنّهم بايعوه على الموت.

يَابْنَ رَسُولِ اللهِ فَماذا يَقُولُ النّاسُ لَنا وَماذا نَقُولُ لَهُمْ ، نَقُولُ : إِنّا تَرَكْنا شَيْخَنا وَكَبيرنا وَسَيِّدَنا وإِمامَنا وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّنا ، لَمْ نَرْمِ مَعَهُ بِسَهْمٍ وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُ بِرُمْحٍ وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُ بِسَيْفٍ ، لا وَاللهِ يَابْنَ رَسُولِ اللهِ لا نُفارِقُكَ أَبَداً ، وَلكِنّا نَقيكَ بِأَنْفُسِنا حَتّى نُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَنَرِدَ مَوْرِدَكَ ، فَقَبَّحَ اللهُ الْعيشَ بَعْدَكَ .

وإذا رجعنا إلى غيرها من الكتب نجد أنّ بعضاً من الذين التحقوا به فارقوه.

الكتب التي نرجع إليها لتبيّن لنا بعضاً قليلاً معدوداً فارقوه أمّا أصحابه فهم أهل الوفاء والإيمان الثابت ، وأهل بيته المخلصون..

مطالب السؤول ، تاريخ أبي الفداء ، تهذيب ابن عساكر ، الأخبار الطوال ، الإمامة والسياسة ، مروج الذهب ، العقد الفريد ، وفي هذه الكتب لم يذكر شيء إجمالاً أو صراحة أنّهم تفرّقوا عن الحسين عليه السلام .

والذي ذكر ومذكور فيه فقط في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام جاء فيه: « فأمّا عسكره ففارقوه ، وأمّا أهل بيته والأدنون من أقربائه قالوا لا نفارقه » ، وإذا صحّ ذلك وصدق فقد حصل مثل ذلك في الطريق يوم كان الحسين عليه السلام في زبالة قبل المواجهة ، وقبل الالتحام ، وهو قولٌ ليس بصحيح ومرفوض ولا أساس له من الصحّة ، وفي أصحاب الحسين عليه السلام الرجال الأبطال الأفذاذ الذين ثبتوا وواجهوا

الأعداء وأبلوا بلاء حسناً ، ونالوا الشهادة ، وهم ليسوا من أقاربه ، التحقوا بـه بـعد ذلك ، ووفوا له ، وجاوروه وهم من غير أقربائه ،كحبيب بن مظاهر وزهير وغيرهم ، فلا داعي إلى هذا القول الوارد في تفسير العسكري ، هؤلاء فارقوه وأهل بيته قالوا لا نفارقك . .

الموقف الثامن : ماذا انتفع الإسلام والمسلمون بقتل الحسين عليه السلام ؟

أنا لا أفهم هذا القول وليس له أي معنىً ، وماذا يقصد من أن قتل الحسين عليه السلام إحياء للشريعة وخدمة للإسلام .

قتل الرجل خير من بقائه أو بقاء الإمام لا نفع فيه ، وقتل الإمام خسارة وضياع للمسلمين ، واندثار للفكر والحضارة والمثل الإسلاميّة ، فهل كان الحسين عليه السلام يسعى من أجل إقامة حكم إسلامي ، هل إنّ قتل الحسين عليه السلام أنفع للإسلام ؟ يقولون ، ولا أدري كيف يقولون ، كان هدف الحسين عليه السلام أن يقتل ليحيا الإسلام ، هذه قولة سمعناها مراراً ، وهي تردّد على الألسن منذ مئات السنين ، نردّدها ولا نلتفت إليها ، وندخل في خضمّ البحث وبصراحة .

وهذا الكلام يحتاج إلى سلاح فكري وجرأة محدودة ، وأدب لا يتصادم مع الاعتقاد ، ويحتاج إلى معرفة الإمام ومعرفة الإسلام ، أمام الحسين عليه السلام ، وأمام حكم كالحكم الأُموي ، وكيف كان الإسلام ، هل كان مهدّداً بتيّارات وأفكار دخيلة كادت تقوّض ذلك الوجود ؟ !

أنا لا أفهم أنّ قتل الحسين عليه السلام فيه تقوية وإحياء ونشاط وبقاء واستمرارية وانتصار للإسلام ، أليس الإسلام ينتصر برجاله وبقوتها ودفاعها وحمايتها ؟

الإسلام فكرة ومبدأ ونظام يحتاج إلى من يوضّحها ويصحّح الأخطاء التي لها الأثر والتأثير على ذلك النظام فكيف نقول : إنّ قتل النبيّ يحيى كان إحياءً لذلك الدين ، أو قتل عليّ عليه السلام في محرابه كان انتصاراً للإسلام ، وكيف نقول : إنّ قتل الحسين عليه السلام

مع أهل بيته كان إحياء للإسلام وقوّة له وبقاءً له ؟ لماذا لا تتصوّر القضيّة بشكل آخر ؟

وندخل إلى الموضوع من باب جديد ونقول : لو قتل يزيد لكان اندحاراً وهزيمة إلى التهوّر الخُلقي وبقاء الإمام يعمل بوظيفته في صفوف الأُمّة ، ماذا نفهم من قولنا : قتل الإمام كان نصرة للإسلام ، أو إحياءً لما اندثر وعُطِّل من القوانين الإسلاميّة أيّام بني أُميّة .

إلّا أن نقول قولاً آخر : إنّ الحسين عليه السلام حاول إضعاف الحكم الأُموي في تحرّكه وخروجه ، وهل تحقّق ذلك للحسين ، أي هل استطاع الحسين عليه السلام في تلك المقاومة والوقفة المحدودة مكاناً وزماناً أن يضعف ذلك الحكم أو يسقطه ويريح المجتمع الإسلامي من تلك الفئة التي لعبت دورها ، أو نقول قولاً آخر ، حاول الحسين عليه السلام كشف وتعرية مخازي بني أُميّة وإبراز وإظهار ونشر مخازي وأعمال وتصرّفات بني أُميّة ، العمّال والولاة والحاكم (يزيد) ؟ وهل تحقّق ذلك للحسين عليه السلام ؟ اللّهمّ إلّا أن نقول : إنّ ذلك قام به الحسين عليه السلام ونشره بثورته الكلاميّة ونقده الحارّ الساخن ، فقد ترجم تصرّفاتهم وتحرّكاتهم بما صدر عنه من كلام .

إذن ما معنى ما يتردّد على الألسن أنّ الحسين عليه السلام فدى نفسه لحماية دين جدّه .

آراء وأفكار:

وهذا أحد القائلين الناشرين لهذه الفكرة . .

فالحسين عليه السلام قد جاد بنفسه وأهل بيته وعياله وأطفاله في سبيل الله ، فداءً للدين ، ومحاماة عن شريعة جدّه سيّد المرسلين ، حتّى أصبحوا ما بين قتيل وأسير ولولا قتل الحسين عليه السلام ما بقي لهذا الدين أثر ، ولولاه ما ظهر للخاصّ والعامّ كفر يزيد وإلحاده »[١] .

---

(١) المجالس السنيّة ـ محسن العاملي ١ : ٢٣.

الموقف التاسع : هل كان الحسين عليه السلام في كلّ ذلك يريد الحرب منذ البداية ، ومنذ أوّل حركة تحرّك بها وفي أوّل أمر أو هي مجرّد معارضة واعتزال وابتعاد عن الفتنة الجديدة ، أو أراد الحرب بعد ذلك لأنهم أرادوه له ؟ وإذا كان الحسين عليه السلام قد أراد الحرب وصمّم منذ البداية معناه أنّه سيخوض الحرب بعدد قليل من رجاله ، وأبناء أُسرته ، وهم لا يحسنون القتال ، وليس لديهم خبرة عسكريّة أو تجربة قتالية ، أو ممارسة في الحروب ، وهم فتيان وأحداث .

وهؤلاء كما ترى كيف يخوض الحسين عليه السلام حرباً وقد أعدّ الأُمويّون لمواجهته وقتاله ؟ أصحيح ذلك سياسياً ؟ وهل يصحّ في الفكر السياسي أنّ رجلاً يقابل دولة تملك الإمكانيّات الكثيرة بفتيان وشبّان وعدد قليل ؟ وهل يصحّ أن ينسب إلى الحسين عليه السلام ذلك ؟ ونحن بين مذاهب وآراء كثيرة في تعليل هذا التحرّك وهذه الحركة ، وهذه الوجهة التي انتهجها الحسين عليه السلام .

هذا يقول : إنّ الحسين عليه السلام خرج عن المدينة ؛ لأنّه المدينة توجّه إليها الأُمويّون لأهمّيتها ، وهي المركز والمجمع لأبناء المهاجرين والأنصار وأبناء الخلفاء ، وهي أحد الحرمين ، فإذا سيطر عليها الأُمويّون وهيمنوا ونجحت دعوتهم الجديدة فيها واستجاب لهم من في المدينة إذن ثبتت الخلافة الجديدة أقدامها ، واستطاعوا أن يكسبوا غيرها من المدن الإسلاميّة ومن فيها ، فوجّهوا عنايتهم وقوّتهم ودعايتهم ونشاطهم في المدينة .

فصمّم الحسين عليه السلام على الخروج منها بعيداً أو متباعداً عن أعين وأنظار بني أُميّة وولاتهم وأعوانهم ورقابتهم خشية منهم ، ومع ذلك فإنّه عليه السلام ترك أخاه محمّد بن عليّ عيناً له عليها ، لا يخفي عليه شيئاً من أخبارها ، وما يفعله بنو أُميّة في المدينة ، وفي هذا رأي سياسي في تخلّف أخيه حتّى لا يقول القائل : إنّ المدينة استولى عليها الأُمويّون ، وتوجّه الحسين عليه السلام بآله وعياله وثقله إلى مكّة البلد الأمين طلباً

للأمان واللجوء إلى بيت الله ، واستدلّ القائل على ذلك بأنّ الحسين عليه‌السلام كان يردّد ويتلو ما كان يردّده موسى بن عمران : ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ** ﴾(١) .

هذا الرأي نتصيّده من العبارات التي نقرأها في المقاتل التي كتبها المعنيّون بمقتل الحسين عليه‌السلام ، وهذا الرأي مرفوض ونضرب به عرض الجدار مادمنا نتحدّث عن الحسين عليه‌السلام سياسياً ، فإنّ الحسين كان في كلّ مواقفه بطلاً لا يعرف الاستسلام واليأس .

فكيف يقال فيه أو ينسب إليه أنّه كان خائفاً التجأ إلى بيت الأمان ، إلى مكّة ؟!

وهذا يقول : إنّ الحسين عليه‌السلام ذهب إلى مكّة لا هرباً ، وإنّما لغرض أفضل منه ، وهو الإصلاح السياسي ، وبثّ الوعي والتعبئة الفكريّة واستنفار ضمائر المسلمين القادمين إلى مكّة لأداء فريضة الحجّ ، وعندها يتمّ اللقاء؛ لأنّه عليه‌السلام سيلتقي بعدد كبير من الوافدين إلى مكّة في هذا الموسم وهذه عمليّة ليس فيها قصد الحرب أو المواجهة لعلّهم يستجيبون لصوت ويطلعهم على الخطر الذي يهدّدهم ويهدّد وجودهم وحضارتهم .

وقد أشار إلى ذلك برسالته التي كتبها لأخيه محمّد بن الحنفية في المدينة : « إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا ظالماً ولا مفسداً ، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله » . وهو مصلح سياسي ولم يقصد الحرب بداية ونهاية .

البيانات والتصريحات الثورية الصادرة من الحسين عليه‌السلام :

لقد صدر عن الحسين عليه‌السلام البيان بعد البيان ، والتصريح بعد التصريح ، في لغته الملتهبة وسمعها الجميع ، وردّدها أُناس كثيرون ، وتحدّثوا عنها ، ونقلوها ، وكلّها تدور حول نقطة واحدة ، نحن أهل البيت ، نحن أحفاد محمّد ، نحن حملة الشريعة ،

(١) القصص : ١٨.

نحن أبناء النبوّة ، نحن أبناء فاطمة ، نحن أقرب إلى النبوّة ، وأنا أعرف بالشريعة ، وأشدّ التزاماً بها وإحاطة بفلسفتها وفروعها ، وأنا ابن عليّ ، وهذه البيانات المتتالية التي صدرت عنه طابعها الصراحة ، وقد بدأت بثورة نفسيّة وخلقت تيّاراً ثورياً مضاداً ، يمثّل الحسين عليه السلام رجل التحدّي والبطولة ، ويعلنها بصراحة أنّه لا يمدّ يده إلى ظالمٍ مستبدٍّ ، وبهذا وبغيره تدرك موقف الحسين عليه السلام من التيّار الأُموي الجديد ، وأنّه عُرف بذلك ، عُرف الحسين عليه السلام بالثورة الفكريّة ، أو الثورة الذاتيّة ، أو النقد الشديد الصريح ، كما عُرف أبوه بتعصّبه للحقّ ، وهذه وغيرها تدلّ على اتّجاهات سياسيّة كثيرة فكريّة خلقها الحسين عليه السلام .

الموقف العاشر : فإذا كان الحسين عليه السلام كذلك ، وقطع أشواطاً سياسيّة ، وحقّق نجاحات في الميدان السياسي ، كما يقول من اعتقد بإمامته ، وما دمنا نحن في الميدان السياسي والسياسيّون يقولون ويفولون ويكتبون ويخطأون ، وإذا رجعنا للقاموس السياسي وقرأنا هذا المعجم الذي ترجم نماذج كثيرة سياسيّة لعبوا أدواراً سياسيّة ، وكتب عنهم مَن كتب ، ونسبوا إليهم القتل السياسي؛ ولذلك أسباب ومسبّبات ، فهل يصحّ أن يقال في الحسين عليه السلام ذلك كما يقال في غيره ؟ وكما قيل : إن كان الحسين عليه السلام رجل سياسة وقام بنشاطات سياسيّة ، وحتّى في الطريق السياسي فهل هو كغيره قد يكتب له الفشل ، وقد يحقّق النجاح ؟ والرجل السياسي كما صوّره الكتّاب :

صاحب طموحات عالية ، هادئ النفس ، يحمل الثورة النقيّة ، لا يعرف الاضطراب والانفعال ، يميّز بين عدوّه وصديقه ، بعيد كلّ البعد عن الغضب والتسرّع؛ لأنّ الغضب والتسرّع يوقعه وأصحابه في نتائج سلبيّة ، وتعبّد الطريق لأعدائه للهجوم عليه أو الاندحار السياسي ، بعيد عن الانفراديّة أو الاعتماديّة الذاتيّة ، أو السعي لتحقيق مآرب ورغبات ذاتيّة ، وإذا كان سعيه من أجل ذلك فإنّ تصرّفاته توقعه في أخطاء لا يُحمد عليها ، وعندها الانهزاميّة والفرار عنه ، كما قرأنا

في المعجم السياسي سبب اندحار كثير من القوّاد وسقوطه في الساحة .

وهذا الذي أطلق عليه الكتّاب (ضجّة الخطأ السياسي)؛ لأنّ تقديراته وملاحظاته وتأمّلاته كلّها منبعثة عن التسرّع والانفراديّة ، أو المصلحة الضيّقة المحدودة ، وما أكثر الأخطاء السياسيّة التي ارتكبها أدعياء السياسة ، وذهب الكثير منهم ضحية ذلك الخطأ ، أو تلك الانفرادية ، وعدم الاستعانة بآراء المخلصين من ذوي التجارب السياسيّة .

وقد يكون ذلك الخطأ ناتجاً عن تفشّي الأسرار وعدم الكتمان ، وقد ورد في المنطق الديني الصحيح « استعينوا على أُموركم بالكتمان » .

وقد ورد في النصّ المقدّس القرآني : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ ، لماذا وهو صاحب الرأي ؟ إنّ ذلك تشريع سياسي يسير عليه القادة ، وقد شاور الرسول صلى الله عليه وآله المسلمين وهو أفضل منهم رأياً وأصوب فكراً ، وهو الذي يستعين بعقليّة السماء ، وبفيض إلهي ، ولم يفعل هذا الجانب السياسي إلّا في القضايا السياسيّة ، وشؤون الحياة العامّة ، أمّا الجوانب العباديّة ، فلا مجال فيها إلى مشاورة عقليّة الآخرين؛ لأنّها أُمور شرعيّة لا تبديل ولا تغيير فيها .

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله خاض معركة سياسيّة حامية مع المشركين ، وخرج منتصراً وحقّق هدفه ، وهو ما جاء وبُعث وأُرسل من أجله ودعا إليه .

وأخذ آل البيت يمشون على خطاه في تحقيق أهدافهم المقدّسة ، فقد سجّل آل البيت في حياتهم معارك سياسيّة مقدّسة خاضوها ، وكانت ناجحة ، إنّها أعنف المعارك الفكريّة السياسيّة ، خاضوها من أجل كلمة الحقّ ، وعزّة الإسلام ، ونصرة المبادئ ، خاضوها وبذلوا في سبيلها الثمن الغالي ، وخرجوا منها منتصرين ، وحقّقوا اهدافهم ، أهدافهم التي هي ليست من أجل الدنيا أو تحقيق مآرب ذاتيّة؛ لأنّه ورد عنهم أنّنا لم نخلق من أجل الدنيا ، وقد ورد ذلك على ألسنتهم عليهم السلام ،

فقد قال أبو جعفر الثاني : « إنّ الله ما خلقنا لهذا » ، الذي يفكّر بالحياة الشخصيّة هم الذين يعيشون في الحياة الدنيا ، ونقصد بالدنيا الواطئة ، أمّا هم فأهل الحياة الدائمة الروحيّة العليا .

ونبدأ بعليّ ﷺ بطل المعركة السياسيّة في الإسلام ، فإذا قلنا عنه : إنّه رجل عسكري فلا نحتاج إلى دليل ، وإذا قلنا : إنّه بطل سياسي فلا نحتاج إلى معونة ومؤونة ، أو نتجشّم عناء البحث والتفتيش عن أدلّة نسوقها ونطرحها لتثبيت ذلك .

ثمّ ننتقل معك إلى الإمام الحسين ﷺ ولا نستطيع إثبات سياسته ودقّة تصرّفاته إلّا بعد معرفة الحياة التي عاشها ومعرفة طغاة زمانه وعقليّة الأُمّة التي عاشها ومقدار إدراك أتباعه لما حولهم وما يراد بهم ولهم والتعرّف على المتلاعبين بالقيم الإسلاميّة ، واللذين يريدون بهذه الأُمّة الشرّ والمحاولين هدمه ، ويتربّصون بالإسلام الفرص لإذلاله وتشويه حقائقه بشتّى الأساليب ، وإرجاع الأُمّة إلى الوراء ، والرجعة إلى الجاهليّة التي طواها الإسلام .

وإذا درسنا الظرف الذي عاشه الإمام الحسن ﷺ بعد وفاة أبيه ، وما فيه من مفارقات وطوارئ وتيّارات ودعايات عند ذلك ندرك أنّما توصّل إليه الإمام الحسين ﷺ من عقد اتّفاقيّة سلميّة ومعاهدة وصلح بينه وبين معاوية ، ولولا ذلك لبقي المسلمون يعيشون بين القتل والقتال والحروب المختلفة خصوصاً الحرب النفسيّة وظهور الجيشين في البلاد ، والإمام الحسن ﷺ هو الذي صان وحفظ دماء المسلمين . إذن نقول بعد ذلك : إنّ الإمام الحسن ﷺ وما صدر عنه حتّى الصلح ، كان على صواب ، وهي وظيفة شرعيّة ، ولكن عقليّة المسلمين في عصره لم تهضم ذلك ، ولذلك حصل ما حصل .

والسؤال الذي يثيره ويوجّهه عقل اليوم هو : هل خدم هذا الصلح وتلك المعاهدة الإسلام والفكر الإسلامي ، أو حقّق نتائج سلبيّة ، أي هل فيه نقطة ضعف

أذلّ أتباعه وأجبرهم وألجأهم إلى السكون والتحمّل والخضوع ومسايرة الحكم.

وتصرّفات الولاة، أي ألجأ أتباعه وشيعة أبيه إلى الخنوع والاستجابة والطاعة وتحمّل الأذى خلال الحكم الأُموي، والجور والعنف والشراسة والتسلّط على الرقاب، واضطرّوا إلى الصبر وتحمّل الأذى، وهل ذلك هو الصواب في هذا التصرّف، وهذه الخطوة، وهل ذلك خدمة للإسلام وفائدة للمسلمين؟

وبعبارة أُخرى: هل حقّق الصلح نتائج إيجابيّة، وهل رضي المسلمون بصورة عامّة وشيعة أبيه بصورة خاصّة، عمّا فعله مع خصمه أو هم يحملون عقليّة مضادّة؟ أو أنّ الحسين عليه السلام الذي شنّ الحرب وأحبّ المواجهة كان إلى الصواب أقرب، وأنّ الأُمّة رضيت بذلك، فأي الإمامين رضيت عنه الأُمّة؟ والجواب لا عن هذا ولا عن هذا رضيت الأُمّة.

ومن العجب كلّ العجب أن نرى بعضاً من شيعة الحسن عليه السلام اعترضوه على هذا الصلح الذي أبرمه مع معاوية ويرون أنّ ذلك ليس هو الصواب ولو حارب بهم لكان أفضل.

ودارت الأيّام ومضت السنوات، وتغيّر الحال، واستفحل الأمر، وتفاقم الشرّ، وهبّ الحسين عليه السلام للمواجهة. ومن العجب أن نرى بعضاً من شيعة الحسين عليه السلام قد اعترضوه على الخروج وطالبوه بالصلح كما صالح الحسن من قبل[1].

ما هذا وما ذاك، وماذا نقول وبماذا نحكم على هذه العقليّات المتضاربة؟ فهي لم ترضَ عن فعل الحسن بالصلح وتريد منه الحرب، ولو أنّ الحسن عليه السلام حارب بهم فإنّه لا يحقّق شيئاً ولا هم يرضون بالحرب، ولمّا أراد الحسين عليه السلام الحرب والمواجهة اعترضوه وأرادوا منه الصلح، والإمام أعرف بوظيفته الشرعيّة، وصالح

---

(١) وقد ورد هذا على المسألة الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري.

إمامنا الحسن بن عليّ عليهما السلام عدوّه حسب مقتضيات الحاجة والحياة ، ورجع إلى المدينة ، وترك عاصمة أبيه الكوفة ، وترك وراءه أفواجاً من الشيعة .

وهل هذا معناه أنّ في الإمام روحاً انهزاميّة ، أو انطوائيّة ، أو فراراً عن الساحة ، أو هو ما يقال عنه بلغة العصر الاعتزال السياسي ، وكثيراً ما نسمع عن القادة بعد ممارسة الأعمال السياسيّة يعلن للدنيا أنّه قد اعتزل العمل السياسي ، وماذا يقصدون بهذا المصطلح (الاعتزال السياسي) ، ولماذا الاعتزال ؟

هل هناك دوافع نفسيّة وأسباب أدّت لذلك ، أو هو شعور بخيبة الأمل أو سوء ظنّ دفعه لذلك ، أو انكشاف خطأ قد ارتكبه في المسيرة السياسيّة ، وظنّ أنّها تؤدّي إلى نتائج إيجابيّة ، وانكشف له العكس ، ومعنى ذلك هو الفشل السياسي أو الاندحار والهزيمة السياسيّة ، فقد حصل ذلك لكثير من القادة السياسيّين في دنيا السياسة ، وسوح القتال ، ونعود إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام ، لماذا وقف هذا الموقف السياسي ، وتراجع -إن صحّ هذا التعبير- ، وهل كان ذلك خطأً اكتشفه ثمّ تداركه ، فلماذا قام بالحرب ، وتوجّه إلى عدوّه إذا كان غير متأكّد بالنتائج والمستلزمات الإيجابيّة .

الموقف الحادي عشر :

الحسين عليه السلام كان حقّاً رجلاً عظيماً ، إنّه كان ذا صلة وثيقة لم تنفصل بحسّ من آلامها ، وكان عليه أن يستغلّ فرصة مناسبة لحركته ، وهذا تشريع سياسي معمول به عند رجال الفكر السياسي ، حتّى قيل : « الرجل الحكيم يخلق من الفرص أكثر ممّا يجد » ، وهذا درس سياسي عسكري معمول به ، ومأخوذ به ، وقد صوّت به الثائرون ، وهذا هو المنطق السياسي الذي أقرّه الإسلام[1] ودعا إليه .

---

(١) وأقصد بالإسلام هو الإسلام السياسي الذي يتدخّل في شؤون الأمّة ، في حربها وسلمها ، ويعبّد الطريق بها ، لا إسلام الدراويش والمحاريب والزوايا المظلمة .

فلو أنّ الحسين عليه السلام خلق له فرصة مناسبة لكان ذلك أكثر نجاحاً وأكبر حظّاً ، أنا لا أقول : إنّ الحسين عليه السلام أقدم على فعلٍ ليس فيه أثر وتأثير ، الحسين عليه السلام بخطواته ، كان عامل تغيير وتحريك وحركيّة غيّرت من جمود الذهنيّة الجامدة ، وخلق بداية ذهنيّة أُمّة كانت تعيش الرقاد ، ثمّ أفاقت من رقادها ، وتيقّظت ، وبدأ يتّقد فيها لهيب الثورة ، وأمدّت المسلمين بوقود جديد وتيّار من الأحاسيس ، كان من آثارها الإعراض والمعارضة والتباعد والتمرّد على السلطان ، سلطان بني أُميّة ، ونظرت إلى تلك الطغمة الفاسدة الحاكمة باسم العروبة والدين .

إنّهم زمرة وفدت من الصحراء القاحلة والبيداء تشكو الجوع ووجدت مائدة ، وهذا التيّار خلقه الحسين عليه السلام ، وبدأت الكراهة لبني أُميّة وولاتهم ، ومن له صلة بالبيت الأُموي .

إنّ نتائج وثمرات تلك الثورة كثيرة كثيرة ، من يقول : إنّ الحسين عليه السلام لم يحقّق شيئاً فهو على خطأ ، فقد خلق الحسين عليه السلام شعوراً جديداً في ذهنيّة لم تكن تحمل ذلك الشعور؛ لأنّه لم يكن لديهم ذلك التفكير ، فقد أيقظ الحسين عليه السلام أُمّة جدّه ، وحرّك أجسادهم حيث وجدهم سباتاً ، وجدهم رقوداً ، فكانت عملية إيقاظ للأُمّة وهي ليست سهلة ، لكن يمكن القول : إنّها ذات جانبين : سهلة وصعبة ، وهي بداية ، وبدأت الحركة والشعلة تتّقد وتشتدّ في النفوس ، واستمرّت الثورات الداخليّة ضدّ حكم بني أُميّة حتّى أطاحوا بآخر معقل من معاقل بني أُميّة ، وقتلوا آخر خليفة أُموي ، و(هو مروان الحمار) .

كلّ ذلك لأنّ البداية هي بداية الحسين عليه السلام ، وبداية المعارضة ، وبداية التمرّد ، وبداية الجرأة ، وبداية الكشف والتحدّي والمواجهة كلّها من فعل الحسين عليه السلام ، إنّه رجل عظيم ويبقى عظيماً .

عظيم قبل شهادته ، وعظيم بعد شهادته ، ويبقى كريماً في الحياة ، وقد تحدّث

كثير من فلاسفة السياسة ورجال الفكر السياسي فقالوا : لماذا يثور الإنسان ، ولماذا يضحّي ؟

وفي ذلك مسارات واتّجاهات سياسيّة ، ومذاهب فكريّة ، فقد سأل الاسكندر أحد الفلاسفة عن هذا السؤال : لماذا يثور الإنسان ؟ فقال : لأنّه يريد أن يعيش كريماً في الحياة ، وسُئل سياسي مغامر هو في الميدان السياسي قيل له : لماذا يحبّ الإنسان الموت ويواجه الموت ، وهو يرى الموت ولا يتراجع عن الموت ؟ فكان الجواب إذا عرف وشعر أنّ الموت أفضل من الحياة ، فالموت أفضل من الحياة إذا كان في تلك الحياة مذلّة .

إذا كان في الحياة هوان واستعباد ، وكأنّ هذا السؤال سئل به الحسين عليه السلام فأجاب : « **فَإِنّي لا أَرى الْمَوْتَ إلاّ سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلاّ بَرَماً** » .

بهذا المنطق البطولي نكشف شخصيّة الحسين عليه السلام وفلسفة الحسين عليه السلام في الموت ، الحسين عليه السلام يهوى الموت ، الموت الذي رآه وأحسّ به ، وشاهد وسمع وأحاط به الأشباح والصور والكلمات والتهديدات ، كلّها طرحت بين يديه ، وأمام عينيه ، وكلّها تحدّاها الحسين عليه السلام ، عرف الحياة وطريق الحياة ، وكسب الحياة ، واشتراها بالثمن الغالي ، ثمنها الإرادة والثبات ، حياة الكرامة والخلود ، حياة الخالدين وسيبقى مع الخالدين ، وهل مات الحسين عليه السلام كما زعم أعداؤه ؟ قد يموت الإنسان قبل موته وقبل أجله ، وهذا ما يطلق عليه عيش الأحياء ، وقد يموت الإنسان وهو حي يذكر كلّ صباح ومساء ، ذلك الاندحار والهزيمة وخسارة الموقف .

قتل الحسين عليه السلام وأنّ قتله كان لا بدّ منه ، والإنسان يموت ، ومن هو الذي لا يموت ، لقد ماتت أجيال بعدها أجيال ، وتحوّلت إلى عدم وفناء ، ولكن بقيت أفكارهم وعطاؤهم ، منهلاً ومشرعة وشريعة ومناراً يستضاء به في طريق الكفاح .

الموت والحياة بيد الإنسان(١) يستطيع أن يحكم على نفسه بالموت، ويستطيع أن يخلق الحياة حياة الخالدين.

والحسين عليه السلام بموقفه أدرك وحلّل وعرف الموت والحياة، إذا كانت الحياة بالعبوديّة لغير الله والخنوع والركون والذلّة، فالموت أفضل، واختار الحسين عليه السلام ما هو الأفضل وبقي خالداً في سجّل الخالدين، واستمرّ وجود الحسين عليه السلام في هذا الوجود في الفكر والنفس وألسن الثناء وأفكار المفكّرين.

وحياة الحسين عليه السلام ذات وجهين، ذات وجودين، الحياة الأُولى التي عاشها مع عدوّه وصديقه، والحياة الإنسانية، حياة الفكر والمدح والثناء، والحديث عنه وفي الفكر والألسن حملة المبادئ، وآخرون قالوا حياة الحسين عليه السلام السياسيّة ذات وجهين الوجه الديني والوجه السياسي البطولي.

كيف ماكان فهذا هو الحسين عليه السلام، فأين قتلة الحسين عليه السلام؟ أين السفّاكون للدماء؟ أين المتهوّرون في الأرض؟ ضمّهم التراب، وحملتهم التيّارات، ونقلتهم إلى أماكن بعيدة، لا قبور ولا مجد. وأمّا في الآخرة:

فعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ أمر منادياً فنادى: غضّوا أبصاركم، ونكّسوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمة ابنة محمّد صلى الله عليه وآله الصراط. قال: فتغضّ الخلائق أبصارهم، فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نجب الجنّة، يشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثمّ تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن عليّ عليهما السلام بيدها مضمّخاً بدمه، وتقول: يا ربّ، هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به.

فيأتيها النداء من قِبل الله عزّ وجلّ: يا فاطمة، لك عندي الرضا، فتقول: يا ربّ،

---

(١) وقولنا بيده ما دام هذا الإنسان مختاراً، متمكّناً، عاقلاً، فاعلاً، يتصرّف ويميّز بين النفع والضرر.

انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً[١] من النّار، فتخرج من جهنّم بهم إلى النّار، فيعذّبون فيها بأنواع العذاب، ثمّ تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتّى تدخل الجنّة، ومعها الملائكة المشيِّعون لها، وذرّيّتها بين يديها، وأولياؤهم من النّاس عن يمينها وشمالها»[٢].

أمّا الحسين عليه السلام فهو الإمام، وهو البطل، عاش عزيزاً، وقتل في سبيل المبادئ المقدّسة، هذا هو البطل بطل المبادئ المقدّسة.

سنقرأ الحسين عليه السلام من جديد، وسوف تقرأه أجيال جديدة، أمّا الذين زعموا أنّ الحسين عليه السلام ذهب ضحية الاستسلام السياسي فقد خسئوا فيما زعموا.

الحسين عليه السلام متى استسلم لعدوّه، وهو رجل الصراحة ونصير الحقّ وعدوّ الباطل، وبنو أُميّة وزعيمهم يزيد يعرفون الحسين عليه السلام حقّاً، يعرفونه قبل يوم العاشر. عرفوه لا يتراجع ولا يستكين، وقد عرفه أكثرهم.

---

(١) أي قطعة وطائفة منها.

(٢) كتاب الأمالي / الشيخ المفيد: ١٢٩ ـ ١٣٠، المجلس الخامس عشر، الحديث ٦.

طموحات الحسين السياسيّة بين السائل والمجيب

الحسين عليه السلام بين النصوص القديمة والتحليل الفكري الحديث..

الحسين عليه السلام الإمام المقتول بإرادة الله ، ولا مفرّ من القتل ، هكذا قرأناه في النصوص القديمة والروايات المنقولة ، رضي أم أبى ، جلس أم قام ، تحرّك أو خرج ، وهاجر أو بقي في وطنه.. حتّى لو كان في غار أو في سفح جبل أو في مكّة أو في داره لا مفرّ ولا خلاص.. وهو القائل: شاء الله أن يراني قتيلاً.. وهو القائل: لا محيص عن يوم خطّ بالقلم ، هذا قوله أمّا قول أبيه: **روى أبو عبدالله الجدلي ، قال: دخلت على أمير المؤمنين والحسين إلى جنبه ، فضرب بيده على كتف الحسين ، ثمّ قال: إنّ هذا يقتل ولا ينصره أحد ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين ، والله إنّ تلك لحياة سوءٍ ، قال: إنّ ذلك لكائن.**

أمّا أقوال جدّه فكثيرة وكثيرة نقلها الصحابة ودوّنتها كتب المسلمين ، أمّا العقل الحديث الذي ينظر إلى الحسين عليه السلام نظرة جديدة ، فيرى أنّ الحسين عليه السلام إمام تمرّد بعنف وصراحة على الدولة الأُمويّة الحاكمة ، والخلافة الجديدة المزعومة ، وقف يجهر بمعارضته معبّراً عن هدف مقدّس ، إنّه الحسين عليه السلام ، وما أكبر الحسين عليه السلام وقف يحمل هموم أُمّة جدّه ، وآلام تلك الأُمّة وشعورها ، تلك الأُمّة التي ابتُليت وأُصيبت بالذلّة ، وعاشت الرقاد والخنوع لحكّامها ، والحذر منهم ، والخوف

والاستسلام لها ، فإن أمروهم استجابوا لهم وأطاعوهم ، ولو كانت تلك الطاعة معصية لله ، هذا شأن الخائفين والانهزاميّين .

أمّا الحسين عليه السلام فقد حلّل الأُمّة تحليلاً ، وعرف الداء ، وشخّص العلاج والدواء ، فأقدم يحمل دمه على كفّه بجرأة أبيه ، وعزم جدّه ، وإرادة الأنبياء ، يدعو إلى القيم الروحيّة ليطبّق المفاهيم السياسيّة العادلة في دنيا الإسلام .

ويتساءل الفكر الحديث : ماذا كان يطمح إليه الحسين عليه السلام ، هل هو قتل يزيد ، وهو المقصود ، وهدم العرش الأُموي ، وخلاص البلاد وتحريرها وإراحة الأُمّة من التسلّط الأُموي ؟ هل هذا هو المقصود أوّلاً وبالذات ، أو كان له قصد غير هذا ؟

لقد شخّص الحسين عليه السلام موضع الداء الذي يهدّد الأُمّة ووجودها ، وعرف أنّ وجود يزيد وبقاءه وإفساح المجال لاستمراريّته ، والسكوت عنه أنّما هو إعانة للظالم المشهور الأرعن ، ووجوده كان يهدّدها ، ويهدّد ما أشاده جدّه وبناه وغرسه وسقاه ، فعزم وتوكّل على الله أن يقلع هذه الجرثومة الفتّاكة الخبيثة من جذورها . .

ويقول هذا العقل ويسأل : ماذا قصد ؟ هل عزم وقصد أن يقتل يزيد وابن زياد ؟ فإن كان ذلك فلماذا لم يبدأ بقتل والي المدينة أوّلاً ، والوالي الآخر على مكّة ، ثمّ يحرّر الكوفة من ابن زياد ، ويتوجّه إلى يزيد ليقتله وأتباعه ليخلّص الأُمّة من شرّ الولاة ؟ هل هذا هو القصد المقصود له ؟ أو هناك شيء آخر ؟

الحسين عليه السلام لم يقصد الحرب ، وما توجّه ليحارب أو يجرّد السيف ليحارب أهل العراق ، أو كان أهل العراق مستعدّين إلى حربه ، وإذا كان القصد هو الحرب فماذا بعد هذه الحرب ؟ هل هناك شيء آخر غير الحرب ، وقد حارب الحسين عليه السلام وبقي يزيد على قيد الحياة يصول ويجول ، وابن زياد بقي وقد ازداد تهوّراً وصلافة . .

الحسين عليه السلام بدأ رجل فكر وسياسة ، ودفاع عن الأُمّة ليرشد من استمع له .

الصراع السياسي ودور الحسين عليه السلام السياسي:

إنّ فلسفة السياسة في سيرة الحسين عليه السلام وخطواته وتصريحاته ليس معناها العنف والمغامرة، أو عدم المبالاة بقوّة الحكم وسطوته، وهذا ما ترفضه الشريعة الإسلاميّة، والحسين عليه السلام أقرب من غيره إلى معرفة الشريعة؛ لأنه يتّصل اتّصالاً مباشراً بالرسول صلى الله عليه وآله، وهو جدّه، وهو الذي ربّاه، والحسين عليه السلام أكثر دراية من غيره بالحكم الشرعي، فانطلق ثائراً من زاوية إسلاميّة، ومن أجل غاية مقدّسة، ومن حيث كونه رجلاً مسلماً مكلّف بحكم شرعي أن يجهر بالحقّ والثورة على الباطل، والوقوف بوجه التهوّر وانتشار الفساد، فالإسلام هو الذي دعاه للثورة بوجه الباطل.

وبعبارة أُخرى: أقرب إلى الذهنيّة المدركة للمشكلة السياسيّة بين العنف وبين الحوار الفعلي، بين المواجهة المسلّحة وبين العقل والتفكير هذه لغة العصر. أمّا الإسلام فأوّل من دعا إلى ذلك، فإنّ الحرب تتوقّف على خطوات ومراحل، الحرب تتوقّف على إعلام أو بلغة العصر (دبلوماسيّة إعلاميّة)؛ ليفهم الآخرون لماذا الحرب، وبعدها الدخول في المواجهة، وبعدها الوقوف في الساحة، ودور الحسين عليه السلام السياسي واضح ليس فيه خفاء، وهو الرجل المقدام الذي دعا ونادى وصوّت بالأُمّة قبل المواجهة.

الحسين عليه السلام ذو شخصيّتين: شخصيّة دينيّة قرآنيّة، يقول الحقّ ويدعو له، والشخصيّة الثانية شخصيّة جريئة لا تعرف المهادنة والاستسلام والرضوخ والتنازل. خرج من أجل الله، وغضب من أجل الله، خرج يحمل الغضب والتمرّد على الجبّارين المتربّعين على الكرسي الأعلى باسم الإسلام، جلسوا وقالوا وهم يحاولون خداع الآخرين وإغراءهم واسترقاق المسلمين لرغباتهم بلغة مبطّنة من سمعها ظنّ بأنّ القوم حكّام مسلمون، ولكنّ الحسين عليه السلام أعرف من غيره بنفسيّة القوم.

خرج يحمل الغضب الإلهي على الحكم المتأرجح الهزيل ، ومهمّته من عـزمه وعزيمته . مهمّة الحسين عليه السلام كبيرة وعظيمة؛ لأنّه يشعر بضخامة المسـؤولية ، وأنّـه المسؤول ، وأنّه المكلّف دون غـيره ، وهـو أوْلى بـتطبيق هـذا التكـليف ، وهـدف الحسين عليه السلام عظيم بعظمة بطولته ، ولذلك كان الحسين عليه السلام كبيراً؛ لأنّ غرضه كبير ، ولذلك قيل : « كلّما كبر الغرض ، وعظم المطلب ، كثُرت له الأسباب » .

وإذا كانت النـفوس كـباراً　　　تعبت في مرادها الأجسـامُ

ولذلك تعب الحسين عليه السلام وتحمّل تلك الأعباء ، ولذلك كان الحسين عليه السلام أقرب من غيره إلى شريعة جدّه ، وأعرف من غيره ، وأكثر من غيره التزاماً ، فقد كان يحمل الإسلام في فمه وتجسّد في حركاته ، ومثل الحسين عليه السلام يسكت ؟!

فإنّ الحسين عليه السلام البطل الذي قطع الفيافي والقفار ، ومشى على الرمال المحرقة ، وسقط على الأرض ، واستقبل الشمس ، وكسب رضى الله ورضى الأُمّة والتاريخ ، من أجل ماذا ؟ وما هو المقصود منه ؟ إنّه الدفاع والحماية والوقوف في وجه الباطل والضلال ، ولينبّه الأُمّة أنّه من أجل الله ، ولذلك صوّت : « بسم الله ، وبالله ، وعلى ملّة رسول الله » .

ما أعظمك يا بطل الطفّ الخالد ، هذا هو الحسين عليه السلام هو ذلك الرجـل السـيّد الذي لا يهاب الموت ، وهو الذي واجه الموت وتذوّق طعم الرمـاح والسـيوف ، وكانت ألذّ عنده من كلّ لذّة .

الحسين عليه السلام والعقل الحديث:

هل حقّق الحسين عليه السلام نجاحاً سياسيّاً في قتله ؟ وهل قتله خدمة للأُمّة والدين ، أو حياته في ذلّة وخنوع واستسلام للحكم الغاشم أفضل ؟ أوَذلك هو الموت ، والموت في ذلّة هو العدم ، وما هي الآثار المـترتّبة عـلى شـهادته وتـضحيته ؟ وهـل كـان

الحسين عليه السلام ناجحاً ؟ وماذا يعني النجاح السياسي عند هؤلاء ؟ وماذا يعني الفشل السياسي عند هؤلاء ؟ وماذا يراد بالاستسلام السياسي في العقل الحديث ؟ وما هو المقياس في النجاح والفشل السياسي عند القادة الحياديّين ، وماذا يراد بالمساومة السياسيّة ؟ وماذا يقصد بالتراجع السياسي عند الساسة في عصرنا اليوم ؟ وماذا يقصدون بالتحدّي والبطولة السياسيّة ، أو ما هو الفكر السياسي واللغة السياسيّة التي يسلكها رجل السياسة في عصرنا الحاضر ؟ وهل السياسة تعني التدبير والتفكير في إدارة الأُمّة بعدل وكرامة ؟ وهل كان ذلك موجوداً في الحكم الأُموي ؟ أو هي الغدر والخداع والتفاضل والتفضيل والتقريب والتسلّط والخداع والكذب والفتك والغدر والأخذ على الظنّة والتهمة ، وأخذ من لا ذنب له بذنب غيره ؟ فإذا كانت كذلك فما هو موقف الدين من هذا السلوك ؟ وما هو موقف رجل العدل وحامل الدين من هذا التهوّر الأخلاقي في الأرض ؟

وقد يظنّ هؤلاء السطحيّون أنّ الحوار وحريّة الفكر والنقاش السياسي والأخذ والردّ كان مباحاً أو أمراً مألوفاً في الحكم الأُموي ، وأنّ الرجل المسلم له حقّ أن يقول بصراحة وكلّ واحد له الحقّ أن يواجه الحاكم ويحاوره ويردّ عليه ويحاسبه أو يقوّمه أو يتحدّث في شؤون الأُمّة وقضاياها ، مَن يستطيع ذلك ؟ ومن يتمكّن ؟ وأين هم رجال الفكر الإسلامي السياسيّون المعنيّون بشؤون الأُمّة ؟ ومن له الحقّ أن يقف ويقول : أيّها الحاكم ، هذا مباحٌ ، وهذا مخالف ، وهذا من الدين ، وهذا خطأ ، وهذا صواب ، ومن بقي من رجال المسلمين ليقول ذلك ؟ وهل ترك الأُمويّون واحداً من هؤلاء ؟ وهذا شاعرنا العلوي الصريح يتحدّث بصراحة :

لم أدرِ أين رجال المسلمين مضوا وكيف صار يزيدٌ بينهم مَلِكا

إنّهم قتلوا ، ولم يترك الأُمويّون منهم واحداً ليقول الحقّ ويجهر به ، ولكنّ الذي قال ووقف وتحدّث وما أُصيب بالوهن والاستسلام هو الحسين عليه السلام ، فقد قابل

الحسين عليه السلام ما كان يهدف له أعداء الإسلام من تغيير الدين والأحكام حسب رغباتهم وأهوائهم ، ومقتضيات عصرهم ، موقف الحسين عليه السلام له وقفة خالدة جريئة ، وقف من أجل الأُمّة في كلّ عصورها ، وخطوات أباحها وقال وصرّح وتحدّى وأعلن ، وقف بين تيّار سياسي شديد وصراع سياسي حول الخلافة وإدارة شؤون الأُمّة ، بلغة سياسيّة قويّة ، لا وهن ولا تراجع ولا خوف ولا طمع . ولكن الطرف الآخر هو المغلوب سياسياً ، والحسين عليه السلام حقّق نجاحاً سياسياً ، وأثبت وجوده .

وقد تسأل أو تقرأ في القاموس السياسي ماذا يقصد بالهزيمة السياسيّة ؟ أو من هو المهزوم سياسيّاً ؟

أهو يزيد الذي حكم الأُمّة ثلاث سنوات ومات ، أم الحسين عليه السلام الذي بقي في قلب الأُمّة وأفكار الأحرار ، وما هو المقياس في الهزيمة والاندحار السياسي ؟ وكيف يعرف المهزوم سياسيّاً ؟

إنّها مسألة سياسيّة يردّدها الإعلام السياسي الحديث ، ولها نتائج وآثار ، ليست مسألة خلافة ، أو مسألة بيعة ، أو قضيّة عداء موروث ، ولسنا نتحدّث عن الحسين عليه السلام أو نكتب عنه لأنّه إمام ، أو مسألة عداء أو عداوة شديدة أو ولاء وحبّ لأهل هذا البيت ، فنقول في هذا وعن هذا ، ولسنا ممّن يكره يزيد ؛ لأنّه يزيد ، ونقول عنه لأنه أُموي ، أو نكتب عن الحسين عليه السلام ونقول فيه لأنّه هاشمي أو علوي .

صحيح ذلك أنّه الحسين عليه السلام ، وهو الحسين له شخصيّة ونسب ، وهو فرع من شجرة مباركة ، وهو نجل إمام شريف من الأشراف وسيّد من السادة ، كريم النسب ، ذو شخصيّة في الأُمّة ، ولكن نقول عنه لأنّه ذو جانب آخر وشخصيّة أُخرى ، فرد من الأُمّة يحمل لها الخير ، ويدعوها للفضيلة : «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته» ، فعليه أن يتدخّل في مشاكلها ، وما هو المفيد .

وكان الحسين عليه السلام لسان الأُمّة وهاديها ، وهو لولب في حركتها للأفضل ،

وهو صورة أُخرى عن أبيه وعن جدّه تحكي معالم النبوّة في الأرض ، وتتحدّث عن قضايا الإنسانيّة وسعادتها ونجاحها في الأرض ، هذه هي وظيفة الحسين عليه السلام ، وهذا هو الحسين عليه السلام الذي نتحدّث عنه اليوم أنا وأنت في هذا الحديث المقبول ، الذي لا نملّ منه ، وإن كانت الأقلام قد كتبت وكتبت ولا يزال هو الحسين . .

موقف فكري بين الخطأ والصواب
بين الحسن والحسين عليهما السلام

الحسن والحسين عليهما السلام بين النصوص المرويّة وبين التحليل الفكري الحديث ، نحن بين سيّدين إمامين علويّين من نسب واحد ، وسلالة واحدة ، أبوهما عليّ ، وأمّهما الزهراء ، هذا موقف بين إمامين كلّ له مساره ومسلكه في معترك الحياة ، أخذ الحسن عليه السلام بالصلح ، وجاء الحسين عليه السلام وأخذ بالحرب .

لماذا الحرب ؟ ولماذا الصلح ؟ وأيّهما أقوى من الآخر ؟ وأيّهما أفضل ؟ وهل بين هذا أو ذاك تعارض بالسلوك واضطراب بالمنهج ؟ هذا ما نودّ الدخول فيه .

الحسن والحسين عليهما السلام إمامان قاما أو قعدا ، الحسن والحسين إمامان شريكان في الثورة وإعلانها على بني أُميّة ، على معاوية أوّلاً ، وعلى يزيد ثانياً ، هما إمامان لا ينفصل هذا عن ذاك ، كلاهما يسيران في صراط واحد ، ولا ينفرد ذاك عن هذا ، كلاهما في نهج واحد ، وفي موقف واحد ، وهو قول الحقّ ونصرة الحقّ .

إمامان لا اختلاف ولا خلاف بينهما ، وإن اختلفا في القيام والقعود ، والتحمّل والصبر ، والتحدّي والجهر ، ولكن لا فرق بين ذلك القعود وبين هذا القيام ، ، وكلا الإمامين اشتركا في عمل واحدٍ ، وهو الوقوف في وجه الفتن والتيّارات السوداء التي هبّت تهدّد المسلمين ، كلّ منهما تحمّل الآلام بصبر ، وواجه مخاطر ومشاكل من

بني أُميّة ، فالأوّل خطّط بصبر وتحمّل ، وذلك أيّام الصلح ، ثمّ جاء الحسين عليه السلام ونفّذ ذلك المخطّط ، وجرّد السيف ، فلا فرق في قعود هذا بالأمس ، وقيام هذا في الغد ، كلاهما إمام يعمل ما فيه خير الأُمّة .

ليس الحسين عليه السلام بأكرم من أخيه في العطاء والفداء والتضحية وبذل الدماء في سوح الجهاد .

فالحسن عليه السلام إمام عُرف بالكرم المادي والعطاء ، وعُرف بـالبذل ، أمّـا الحسـين عُرف بالتضحية في سبيل خدمة الشريعة ، الحسن عليه السلام مهّد الطريق وعـبّده لأخـيه ليأتي الحسين عليه السلام فيما بعد ليسلك طريقاً معبّداً ، وأي طريق ؟ ! وما أشدّه ؟ ! مليء بالمخاطر .

الحسن عليه السلام كشف الستر المرخى على وجوه أُمويّة ،كشف معاوية أوّلاً الذي كان يحمل شارة ومسحة (صحابي) ويتظاهر بالقداسة والحنكة ، ولكنّه الإنسـان الذي يريد السيطرة على العراق والشام والحجاز ، وكلّها تصبح في قبضته ليسير بهم مسيرة أُمويّة يبعث فيها صورة أجداده المقبورين .

أمّا الحسن عليه السلام فكشف هذه النفسيّة ، وفعلاً قد كشفها بوضوح وجلاء ، وعـرّاه للأُمّة ، وأنّ معاوية ذو قصد معيّن ، ويريد الوصول إليه ، وهو الملك وتحويل الخلافة إلى سلطة ، إلى ملك ، وإلى دولة ، ومن ثمّ تحويلها إلى وراثة محصورة في أُسرته دون غيرهم . رضي المسلمون أم أبوا ، عارضوه أم سكتوا أو هزموا أو انطووا على أنفسهم ، وكيف كان ، وكيفما كان ، حتّى لو كان من يأتي من بعده يهزأ بالأُمّة ويسخر بالدين ، وهذا ما حصل ووقع ، وقد لا تصدّق إذا قلنا لك : إنّ الحسن عليه السلام عقد صلحاً وفيه فلسفة ، وفلسفته كشفت عن دوافع معاوية ونفسيّته المستترة . وقد ظهرت بعد الصلح ، وقد صرّح بنواياه .

وبعد ذلك أحسّت الأُمّة وأدركت ما قام به الحسن عليه السلام من فعل عندما اكتوت بنار

معاوية ، وعندما جاء يزيد خلفاً لأبيه ، عرفوا أنّ الذي نصّ عليه ومهّد له وفرضه وأجبر الأُمّة وأرغمها هو أبوه ، وعندها هبّ الحسين عليه السلام ليقلع هذه الجرثومة التي تحمل الخطر الشديد ، فالحسن عليه السلام قد كشف نفسيّة الأب ، والحسين عليه السلام هبّ في وجه الابن يزيد الفساد الشديد ، فهما شريكان في الجهاد ، في الصبر ، في الدعوة والتضحية ، وتحمّل المسؤوليّة . إنّهما إمامان قاما أو قعدا .

لا نستطيع القول : إنّ الحسين عليه السلام أقوى وأشدّ جهاداً ، أو : إنّ الحسن عليه السلام أقرب منه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهما إمامان ليس هذا أقرب للنبوّة ، ومسيرتهما في الكفاح ، وأداء الوظيفة الشرعيّة متّحدان ، إنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في مستوى واحد ، في طريق واحد ، فهما حفيدان ، وهما نهلا من منهل النبوّة ، وقد تربّيا في حجر واحد ، وليس من الصواب القول : إنّ هذا أقرب إلى قلب جدّه ، أو أحبّ إليه من أخيه ، أو ذو مركزيّة وشدّة من مقام النبوة ، إنّهما إمامان قاما أو قعدا ، والذي ربّى الحسين عليه السلام هو الذي ربّى أخاه ، وقد سألت أُمّهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن مسألة ، وهنا نسمع السؤال والجواب ، وهنا نسمع هذه الكلمة التي وردت عن الرسول لمّا سئل عن الحسن والحسين عليهما السلام : أيّهما أفضل وأحبّ عند الرسول صلى الله عليه وآله ، وأيّهما ذو المنزلة في قلبه ، والسائل عن ذلك هي فاطمة ، قالت فاطمة لأبيها عند زيارته لها ، والحسن والحسين عليهما السلام حوله : يا أبتِ ، كأنّ الحسين أحبّهما إليك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ما هو بأحبّهما إليّ ، وإنّهما عندي سواء ، وإنّي وإيّاك وإيّاهما وهذا الراقد ـ يقصد عليّاً عليه السلام ـ في الجنّة ، لفي منزل واحد ودرجة واحد .

ولكن الفكر الحديث يتساءل ، ومنشأ السؤال الحسين عليه السلام جرّد السيف ، والحسن أغمد السيف ، فهل هناك فرق بين مسلك الحسن والحسين عليهما السلام ؟ ويتفرّع منه سؤال آخر : الحسين عليه السلام جهاد وكفاح ومواجهة ، أمّا أحفاده الذين جاءوا من بعده فلم يسلكوا مسلك المواجهة والوقوف في الساحة ، وكان مسلك الأئمّة في الحياة

السياسيّة والسيرة مع السلاطين والحكّام من بني أُميّة وبني العبّاس مبنيّاً على الصبر والتحمّل والعناء والآلام ، ولو كان في السجن لماذا هذا وذاك ؟ وهنا نجد مسار الحسين عليه‌السلام يختلف عن مسلك ومنهج أخيه ، ونجد مسلك ومسار الأئمّة في ما بعد يختلف عن مسلكه هو.

أمّا الجواب عن ذلك فإنّه لم يُعرف الحسين عليه‌السلام والظرف الذي عاشه الحسين عليه‌السلام ، والخطر الذي يهدّد الأُمّة أيّام الحسن والحسين عليهما‌السلام ، كما صوّرته الأقلام والأحاديث والمواقف ، هو حصيلة أمواج سياسيّة شديدة محتدمة ، وهو يحمل أفكاراً قرآنيّة ونشأ في ذلك الظرف وفي تلك البيئة يحمل أفكاراً من النبوّة وصراحة من الإمامة وجرأة لا تقف عند حدّ ، وتلك الأفكار تزاحمه واحتدمت بعدما أثمرت ، وبعدما اجتمعت في ذات اسمها الحسين عليه‌السلام ، الإمام الحسين عليه‌السلام الذي لا يهادن ولا يستسلم ولا يرضخ ولا يتّبع إلّا مصلحة الأُمّة العزيزة ، أُمّة جّده يغذّيها بدمه ، بوجوده ، إنّه هو الحسين عليه‌السلام ، إنّه الإمام الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يثني عزمه الآخرون ، ولا يتراجع عن قصده ، وهو رضا الله ، ولو كان فيه بحر من الدماء يجري على أرض يسير عليها ، ويسقط عليها.

لقد كان شديد التعصّب من أجل الحقّ ، كما كان أبوه من قبل ، إنّه هو الحسين عليه‌السلام الذي وقف وحده يجول في الساحة ، يلوّح للأُمّة من هنا طريق العزّة والكرامة ، فهيّا نسلكه ونقطعه ، تعالوا إلى مسلك الهداية ، هلمّوا ، إنّه الحسين صوّت للأُمّة ، وأعاد صوته ، وهو في المدينة قبل أن يتحرّك ، وقبل أن يبدأ مسيرته ، وبدأ أوّل تجربة له وهو في المدينة قبل أن يتحوّل منها إلى مكّة ، حيث أدرك أنّ المدينة لا تصلح للإعلام والتوضيح ونشر رسالته فيها صادحاً منادياً موعدكم الجنّة وحياتكم عزّة وكرامة إذا اتّبعتم الطريق الذي أنا سالكه عن قريب.

هذا هو الحسين عليه‌السلام ، هو ذلك المولود الذي ولد ونشأ بين الآيات القرآنية

الثوريّة ، وربّته النبوّة تربية ، وأعدّته إعداداً خاصّاً .

إنّه الحسين عليه السلام الذي نما في ظلال الإمامة المجاهدة ، إنّه حسين المسلمين الأبطال ، ومدرسة الثائرين ، وسيّد الشهداء ، وقدوة الأجيال ، وهو كذلك لأنّه الحسين عليه السلام ، وسيبقى حسين الدنيا ، أوَليس جدّه محمّداً الذي قال لعمّه سأمضي في هذا الدين الجديد ، والذي كسّر أصنام قريش ؟ هذا هو حسين التحدّي ، هذا هو حسين البطولة ، هذا هو الحسين العظيم .

وسيبقى سيّداً في دنيا البطولة والكفاح ، هو سيّد وابن سيّد ، وسنعود ونقول : هل هناك فرق وجهة اختلاف بين السيّدين الهاشميّين الشريفين ؟ هل هناك فرق بين الحسن والحسين عليهما السلام ، وكلاهما من نسب واحد ،كلاهما في نشأة واحدة ، هذا تربّى في حجر فاطمة وفي أحضان الإمامة وهذا كذلك ، وكلاهما استقيا المعرفة من منهل واحد ، وكلاهما أخذا واغترفا وتخرّجا من مدرسة النبوّة ، وكلاهما رويا عن جدّهما ما سمعا ، ولكنّ الحسين عليه السلام له إعداد ونشأة وغذاء كلّه التعصّب للحقّ ، فقد نشأ في كلّ أدوار حياته في محيط سياسي ومعترك للأحداث ، وواكب التقلّبات والانقلابات .

ونشأ الحسين عليه السلام في هذا المحيط الملتهب المتفاعل المتحرّك السريع بالموجات المختلفة ، يوماً بعد يوم ، وآناً بعد آن ، ونما الحسين عليه السلام في هذا الزمن المستطيل هو والمستقبل ، هو والقضايا الحادثة ، ونما نموّاً سياسيّاً ، وتحوّل هذا الفرد بين أحداث العراق والحجاز والخلفاء المتعاقبين ، ونما الحسين عليه السلام نموّاً لا يعرف المهادنة والرقاد والانطوائيّة ، وتحوّلت شخصيّته وتألّقت ، هو الفرد العلم الذي يشار إليه بذلك . إنّه الحسين عليه السلام الذي لا يعرف السكون ، ولا يقبل الضيم ، ولا يخضع للذلّ ، وفي كلّ هذه المراحل الزمنيّة والأيّام المتواصلة كان للحسين عليه السلام دور سياسي معروف ، الدور الواضح الذي عرف بالجرأة ، وهو الذي كسر هذا الحاجز ، وهذا الطوق الذي كانت الأمّة تهابه وتخشاه ، ولا تجرأ على الاقتراب إليه ،

تخاف مواجهة الدولة الأُمويّة ولا تستطيع نقدها بكلمة واحدة، ولكنّ الحسين عليه السلام جرّأ الأُمّة، وأعطاها دفعة أو شحنة، ودعاها للإطاحة بها، والحرب عليها، لأن تشهر كلّ الأسلحة بوجه هذه الدولة، الدولة الحاكمة التي حكمت الحجاز والعراق والشام، ولكنّ الحسين عليه السلام فتح الباب على مصراعيه للثورة، ودعا المسلمين وحفّزهم..

وقد ورد في زيارته هذا المقطع:

«اللّهُمَّ إنّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَصَفِيُّكَ الثّائِرُ بِحَقِّكَ، أَكْرَمْتَهُ بِكَرامَتِكَ، وَخَتَمْتَ لَهُ بِالشَّهادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السّادَةِ، وَقائِداً مِنَ الْقادَةِ»؛ لأنّه قاد الأُمّة نحو ساحل النجاة.

الحسين عليه السلام قائد جماعة نحن نسمّيهم أصحاب الحسين عليه السلام الشهداء، أو المستشهدين بين يديه، إنّهم هم الأحرار أصحاب الفكر، والذين يمتلكون الإحساس بالخطر الذي يهدّد الأُمّة ومقوّماتها ومصالحها وشعائرها، وما معنى قولنا: الحسين عليه السلام أبو الأحرار، وما معنى قولنا: الحسين عليه السلام سيّد الأُباة، الحسين أبيّ الضيم، وما معنى الأُباة، ولماذا قرأنا هذا العنوان في التاريخ الإسلامي. إنه الحسين عليه السلام رجل التاريخ، رجل الحزم والعزم، وفي طليعتهم، وبقي التاريخ وسيبقى يتحدّث عنه، هو رجل الإقدام، رجل التضحية، رجل التخطيط للحروب، وهو الذي رسم الخريطة السياسيّة في فكره وتفكيره، وخطّط الخريطة العسكريّة للحرب، وقف بنفسه ومشى على قدميه، وهو القائل لصاحبه هلال بن نافع البجلي: «خرجت أتفقد هذه التلال أخشى أن تكون مكمناً للقوم يوم تحملون ويحملون».

الحسين عليه السلام خطّط وفكّر، ثمّ أقدم، وهذا رجل السياسة، كما يقول عنه السياسيّون اليوم، الذي يخطّط للحرب ويفكّر، ثمّ يرسم الخطوط البيانيّة وبعدها يحمل السلاح، هذا هو الرجل الناضج في خطواته، والحسين عليه السلام كذلك، ولكنّ

الحسين عليه السلام رجل حركة فكريّة، فكّر ثمّ تحرّك، وارتحل، وسار في طريق الكفاح، ورحلة الحسين عليه السلام الفكريّة السياسيّة أوسع زمناً ومكاناً، وقطع الحسين عليه السلام رحلة واسعة طويلة وسيبقى في حركة وفي مسار سياسي فكري وحركته تشبه جريان الفرات، وسيبقى يتردّد على الشفاه الحرّة، وهو عطاء دائم وينبوع في أفكاره أعطى الكثير وأخذ عنه كثيرون، ونهج نهجه أبطال، استشهد مفكّرون هنا وهناك، وأصبح مقياساً وعطاءً لكلّ ثائر مفكّر يأخذ من كلماته، ومقياساً وقدوة له في الحياة السياسيّة.

الحسين عليه السلام إمام سياسي جريء، هيّأ مخطّطاً لثورته في عقليّته وذهنيّته، والسياسة تعني عند الحسين عليه السلام إرشاد الأُمّة والأخذ بيدها نحو الأفضل، وعند غيره السياسة إغراء الأكثريّة، أو جذب الأكثرية نحو الحكم، وبأي وسيلة كانت، وما دام الحسين عليه السلام إماماً ويرى له علاقة بالأُمّة، فلا يصاب بالوهن والسأم أو يتراجع أو يرهب من عدوّه، وهو إمام شرعي.

والسياسة في سيرة الحسين عليه السلام ليس معناها الاعتكاف في المعابد، أو الاعتزال في الجمرات، وليس معناها تقديم مصلحة الفرد على مصلحة الأُمّة، والسياسة عند الحسين عليه السلام هي البذل والفداء من أجل المقدّسات، والسياسة عند الحسين عليه السلام هي الانسلاخ عن مادّيّات الحياة وحطام الدنيا أو الأطماع الذاتيّة، أو البعد عن مادّة الحياة وقشورها، أو التجرّد عن الحياة المادّية التي تكالب من أجلها هذا البشر الجائع، إذ ترفّع عن حياة المادّة التي معناها ملء البطون ثمّ الفراغ والتفريغ. ليس هذا شأن إمام الأُمّة، الإمام معناه القائد الذي تأتمّ به الأُمّة في مسيرتها، وهو الذي يأخذ بيدها نحو شاطئ الخير والسعادة.

ثورة الحسين عليه السلام بين السلب والإيجاب في الفكر الحديث

هل الحسين عليه السلام إمام يدعو إلى الحقّ ويعمل به ، وهو من أجل الحقّ وفي سبيله ؟ أو هو إمامٌ ثائر يسلك طريق العنف مهما كلّف الأمر واستدعت الحياة ؟ فماذا يقال فيه ، أو يصحّ القول إنّه ثورة ، ويبقى وسيبقى كذلك إماماً وقدوة للثائرين في وجه الباطل ؟ فأي القولين يأخذ به ؟

فالحسين عليه السلام ثورة كما قالوا عنه وكتبوا ومجّدوا ، وهو ثورة ورجل ثوري وستبقى ثورته خالدة ، ويبقى التاريخ يقدّسها ويذكرها ، والمؤرّخ السياسي يؤرّخ ويكتب ويتحدّث عن الشخصيّة الثورية في الإسلام ويتحدّث عن خطى الحسين عليه السلام وثورته ومسارها ، وما أكثر الثورات قبل الحسين عليه السلام وبعده ، ولكن ليست بهذا المستوى ، فقد نجدها بين السطور وما أكثر الثوّار لكن ما لها وما لهم هذا المستوى وهذه القداسة كثورة الحسين عليه السلام .

الحسين عليه السلام الإمام الثائر ، الإمام الداعي ، أو الرجل المصلح ، أو رجل الإرشاد والتوعية ، فما هو الأفضل أن يقال في الحسين عليه السلام ، هل هو دعا أو ثار ؟

فإذا صحّ ذلك فهل الحسين عليه السلام رسم الهيكل العامّ لثورته وخطّط ثمّ أقدم ؟

وهل استعان الحسين عليه السلام بغيره من المفكّرين ومن المسلمين ، أو هو غنيّ عن ذلك ، لا حاجة له بالاستعانة بغيره ؟ ومَن هو أكثر وعياً من الحسين عليه السلام ؟!

في حياة الحسين عليه السلام نقرأ فصلاً ، وهو الفصل السياسي ، أو الثوري ، أو قل : هو الدرس الثوري الديني الذي قام به الحسين عليه السلام ، فإذا قرأنا ذلك ننطلق إلى عالم آخر ، ما هي الدوافع والمحرّكات والأهداف ؟ فلو سألنا الحسين عليه السلام عن يزيد أو سألنا يزيد عن الحسين عليه السلام فهل يجيب الخصم عن خصمه ، والعدوّ عن عدوّه ؟ فهل ثار الحسين عليه السلام لأنّ يزيد عدوّ للحسين عليه السلام ، أو بالعكس ؟ وهل يصحّ القول : إنّ يزيد قتل الحسين عليه السلام لعداء بينهما ؟ هل المسألة محدودة بين إنسانين ، أو بين شخصين ، هذا في الحجاز وذاك في الشام ؟

أو هي مسألة عامّة لا مسألة زعامة أو منفعة ذاتيّة ؟

فهل في ثورة الحسين عليه السلام -إن صحّ أنّها ثورة ـ تقرأ المعاني الإنسانيّة أو المُثل العليا أو القيم الخالدة ؟ هذا مقتل الحسين عليه السلام وهذه رواية الحسين عليه السلام ، تعال معي لنقرأ سويّة الهدف الأوّل والأخير للحسين عليه السلام ، وهل هي أهداف معيّنة مناسبة له ، ومحرّكة لذاته كانت ، أو هي أهداف للأجيال وللأُمّة ؟

ما هو هدف الحسين عليه السلام ، أو ما هي أهداف الحسين عليه السلام ، هل نستطيع أن نتلمّس الأهداف من هذه الثورة المباركة ، هل كان الحسين عليه السلام يطلب مغنماً أو يسعى لمنصب ؟ وهل أراد الإطاحة بحكم بني أُميّة وإبعادهم عن مجال الحكم وكفى وحسب ؟ ولو قدّر للحسين عليه السلام أن يقتل يزيد وابن زياد وابن سعد وشمراً ويمشّط البلاد ويطهّرها من بني أُميّة ، فلو فعل ذلك ، ثمّ ما بعد ذلك نتساءل عن الأبعاد والأهداف ، فهل كان له أهداف أبعد من هذا ، أو نظرة بعيدة وأشمل ممّا نتصوّر ؟

يقول الباحثون والنقّاد والدارسون : ماذا فعله الحسين عليه السلام ؟ هل حقّق شيئاً ؟ وماذا حقّق للأُمّة ؟ صحيح تقول وتقول : الحسين عليه السلام عرّى وكشف الواقع الأُموي

المستتر عن الأُمّة ، وهو أوّل هدف تحقّق له ، وأحسّت به الأُمّة ، فإنّه هدف كشف فيه حقيقة هذه الزمرة للآخرين ، وواقع الحكّام المتسلّطين؛ لأنّهم كانوا متستّرين بأثواب وواجهات وشعارات ، وخلفها وجوه وقلوب ونفسيّات متوحّشة تدّعي شيئاً وتتظاهر بشيء ، وتحمّل غير ذلك ، فكانت مساجد ومآذن وصلوات ، ويحضرون ويشدّون الرحال ويجلسون مع النّاس وبنوا مساجد وتنسب إليهم[1].

الجذور الأوّلية والأُسس والبداية التأريخيّة لثورة الحسين عليه السلام ولكلّ ثورة من الثورات ، قديماً وحديثاً ، ولكلّ حركة من الحركات ا لسياسيّة لا بدّ لها من جذور ودوافع ومحرّكات ، وهذا السؤال تقرأه هنا ، فما هي هذه الجذور والدوافع ؟ فقد قرأنا بعض السطور التي كتبها بعض المتطفّلين على التاريخ أو المستشرقين عن الموضوعيّة ، فجعل الجذور الأُولى والدوافع أنّما هي شخصيّة بين هذا أو ذاك ، أو عداء بين رجل هاشمي وحفيد أُموي؛ لأنّ الأُسرة كانت تعيش في منطقة متقاربة الحياة البدويّة ، وتعيش الصحراء القديمة ، فهؤلاء بنو أُميّة وهؤلاء بنو هاشم ، وكان بين هذه الأُسرة وتلك القبيلة عداء قد نجهل أسبابه ، وورث الأبناء العداوة والأحقاد التي كانت حتّى قبل عداوة الآباء وصداقة الآباء ، يرثها الأبناء .

ليس هذا وليس من أجل هذا يتقدّم الحسين عليه السلام رجل الفكر يقف وهو رجل يحمل المُثل والفكر الصافي والاستقامة ، ومثله لا يقدّم هذه التضحيات الثمينة من أجل أحقاد كانت قبل عشرات من السنين والإسلام يجبُّ عمّا قبله ، والإنسان يتطوّر ، ومقتضيات الحياة ومتطلّبات الزمن ، فما كان بالأمس يختلف عمّا يكون عليه اليوم ، وفي غدٍ ليس هذا ، وإنّما القضيّة أوسع وأبعد وأشمل ، فلم يقم

---

(١) فهذا المسجد الأُموي في الشام لا يزال ، وأمّا الحكام الأُمويّون المتأخّرون فتنسب إليهم أُمور كثيرة من البناء والأعمال ، وللحديث صلة .

الحسين عليه السلام بثورته ويقف هذا الموقف لوجود أحقاد قديمة كانت .

الجذور الأوّلية لثورة الحسين عليه السلام إنّما هي الخطر المحرّك والأشباح المخيفة والأفكار التي تهدّد الوجود الإسلامي ، ولذلك فإنّ زمن الثورة وولادة الثورة وولادة هذا الشعور عند الحسين عليه السلام لم تكن عند يزيد أو عند تسلّق يزيد ذروة المنبر الإسلامي ، أو عند جلوسه على قمّة الخلافة ،كما ادّعى هو لنفسه ، فإنّ الحسين عليه السلام لم يتحرّك ولم يثر عند وصول خبر موت معاوية أو مجرّد دعوته للبيعة ، وإنّما كان الحسين عليه السلام ثائراً من قبل سنوات ، ومنذ زمان سابق ، ومنذ زمان معاوية ، وفي أيّام معاوية كان ثائراً ، ولم يعرف الصمت والسكون والانعزال ، وإنّما كان يلاحق معاوية ويتابع خطواته ، واشتدّ الخطر ، وتفاقم الأمر ، واشتدّت العاصفة الأُمويّة أيام يزيد ، فكانت عاصفة حمراء عنيفة تحمل معها الخطر الأسود الذي ينسف الأُمّة ويهدّدها بالزوال ، ومن يقف في وجهها غير الحسين عليه السلام ، وإن كانت الأُمّة لم تدرك ذلك الخطر وتحسّ به ، أو أنّها مغلوبة على أمرها ، أو أنّها لم تعرف آثار ذلك الخطر وقوّة تلك العاصفة ، أو لم تميّز بين عدوّها المبطّن وعدوّها المتجاهر بالعداء .

إذن هل يسكت الحسين عليه السلام أو يقوم وينهض ويتحرّك ويخطّط ، فماذا خطّط ؟ وماذا فعل ؟ وحاشاه أن يسكت مادام السكوت ضرباً من الحرام ، والساكت عن الحقّ يرتكب إثماً قد لا يُغفر ، وهو أوْلى بتطبيق تعاليم جدّه ، ومتى سكت الحسين عليه السلام ؟ هل سكت في زمن معاوية ؟ وهذه رسائله قد أنكر فيها على معاوية كلّ ما قام به ، فكيف يسكت أيّام يزيد ، فإنّ الحسين عليه السلام بدأ ثورته الكلاميّة ، الثورة العنيفة منذ سنوات .

إنّ الحسين عليه السلام لم يحمل سيفاً ابتداءً ، ولم يغفل العمل السياسي قبل السيف وقبل المواجة ، وقبل القيام بالثورة المسلّحة ، وقبل الاندفاع العنيف ، وقد بعث الرسائل الكثيرة الشديدة الصريحة ، وخطب وصوّت ، واستغلّ المناسبات ، وبعث

الرُّسل. هذا كلّه قبل أن يتحرّك، وبدأت ثورته في رجب الحرام، واستمرّ طوال ثمانية أشهر، ففي رجب الحرام كان الحسين عليه السلام ثائراً، وفي شهر شعبان كان الحسين عليه السلام في حركة، وفي شهر رمضان كان الحسين عليه السلام في مكّة صائماً، وفي ذي القعدة وذي الحجّة كان ثائراً أكثر صراحة، وعندما اقترب شهر محرّم الحرام بدأ كرجل معارضة، ورجل صراحة، ورجل وقف مقاوماً للدولة التي ضربت أجنحتها وفرضت سيطرتها على البلدان، في مشارق الأرض ومغاربها، على الحجاز، على الشام، على اليمن، على العراق، واشترت ضمائر القوم، وسخّرت الرجال، وتحوّلت إلى دولة العيون، وشراء الضمائر، تأخذ على الظنّة والتهمة، وأكثرت من السجون والطوامير.

أمّا الحسين عليه السلام فهو إمام، فما هو دور الإمام؟ فلو سكت واعتزل فما هو الدليل على إمامته؟ وثورة الإمام الحسين عليه السلام، وتحرّك الحسين عليه السلام كان هو الدليل، وخير دليل على إمامته، لم يسكت الحسين عليه السلام؛ لأنّه أقرب من غيره إلى هذه الأُمّة، وهو منها وإليها ولها، وهو إمام هذه الأُمّة، أمّا غيره فهو الرجل الفارغ الأجوف من هذا الشعور، وهذا الحماس، وهذا الحبّ، لا يشعر بهذا الشعور، أمّا الحسين عليه السلام فهو ابن جدّه وابن أبيه، وينسب إلى الأُمّة.

أُمّة جدّه التي أوجدها وبناها وصاغها وبلورها وكوّنها ومدحها وحافظ عليها وأشاد بها، وهو حفيد جدّه، وجدّه هو الذي أراد لها الخير والسعادة، وأتعب نفسه من أجلها، ولذلك شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونعود من حيث ابتدأنا وبدأنا، فما هو هدفه؟ وما هي قوّته؟ وما هو المحرّك القوي؟ وكلّ ثورة وكلّ حرب بحاجة إلى عدّة وقوّة فاعلة، يشارك ويعمل في أداء الوظيفة العسكريّة، فلا بدّ من قوّة فاعلة، فما هي قوّة الحسين عليه السلام؟ وما هو محرّكه؟ ولماذا اندفع وتحرّك وهو لم يملك تلك القوّة الفاعلة، ولا بدّ من الإعلام

والتعبئة الذهنيّة ؟ وإذا لم تكن فإنّ اللقاء والمواجهة والحرب إن لم نقل لا يحقّق شيئاً فهو محكوم عليه بالفشل ، وكلّ محارب لا بدّ له من القوّة والتعبئة والهدف والسبب المبرّر ، فهل قام الحسين عليه‌السلام بالتعبئة ؟ وهل يملك ذلك قبل التوجّه وشدّ الرحال إلى العدوّ ؟

قيل : إنّ ثورة الحسين عليه‌السلام ثورة مباركة ، وحركة موفقّة ، استطاعت أن تخلق مجموعة كانت منتشرة هنا وهناك ، استطاعت أن تجمعهم وتوحدّهم ويطلق عليها المجموعة المعارضة المعادية المتجاهرة بعدائها للدولة الأُمويّة ، وبعبارة أُخرى : استقطبت كلّ القوى المعادية للدولة الأُمويّة ، وفتحت أمامهم آفاق واسعة ، ودفعتهم نحو التكتّل والعمل والنشاط للإطاحة بالدولة الأُمويّة فيما بعد ، ولكن كان يعوزها التصميم والتخطيط والعمل الموحّد ، ووضع برامج معيّنة لها .

ولو سلك الحسين عليه‌السلام غير هذا المسلك الذي يسلكه لحقّق نتائج عسكريّة أكثر من ذلك ، ولا نستطيع القول أكثر من ذلك ، وفي القاموس السياسي والعسكري قد نقرأ ما يلي . . الأخطاء السياسيّة التي يقع فيها العسكريّون ، فقد يعترف الساسة بأخطائهم وتسجّل عليهم مجموعة من الأخطاء لأسباب ومقتضيات ، فإذاكنّا نملك حريّة القول فنقول ونتساءل : هل سجّل التاريخ الإسلامي أخطاءً سياسيّة ارتكبها الخلفاء ، أو وقع فيها الساسة المسلمون ، وهل وقع هؤلاء القادة بأخطاء كان الأفضل أن يلتفتوا إليها قبل الوقوع فيها ؟ وهل اعترف هؤلاء بما وقع فيه ؟ وهل وقف هؤلاء أمام الملأ واعترفوا بأخطائهم ؟ إنّها مسألة تحتاج إلى جرأة وموضوعيّة في القول والتعبير والعمق الفكري .

وهنا يقدّم العقل الثوري هذه اللائحة من بنات أفكاره ويحلو له أن يقول في الحسين عليه‌السلام بعد أن قرأ رواية الحسين عليه‌السلام قراءة فكريّة ، وأطال الوقوف عندها ، وتوصّل إلى أنّ الحسين عليه‌السلام شديد صريح ، يحمل التعصّب للحقّ ، لم يتراجع ولم يعرف الوهن ، فهو ثائر صريح ، لغته الصراحة ، ولكنّه كان عليه أن يعمل في إطار

ثوري منظّم ، هكذا يقولون ، فعند أصحاب الثورات مرحلتان : مرحلة ما قبل الثورة ، مرحلة الإعداد قبل المواجهة والتخطيط ، قبل اللقاء والتنفيذ ، وهي المرحلة الأُولى ، وتحتاج لعمل فكري لإعداد نفسيّة وروح وعقليّة تتقبّل الفكرة وتهضم الأفكار الثورية ، والثائر عليه إيجاد عقليّة تدرك أهدافه ، وما يدور حولها ويتسلّق ويخطو ويتّخذ ويعمل ويصارع ويتابع الأحداث السياسيّة التي تحيط به ، والمستجدّات ، وما يقوم به الخصوم من إعلام أو حرب إعلاميّة ، كلّ ذلك قبل الخطوة الثانية ،أو المرحلة اللّاحقة ، فإذا استطاع رجل الثورة السياسي تنفيذ ذلك أو إيجاد أرضيّة له ، واستقطب أتباعه فعند ذلك يستطيع القيام أو التحرّك ، أو التنفيذ ، وهذا يتوقّف كلّه على إعداد جيل ثوري وعقليّة تحمل أفكاره يدعو ويتحرّك من أجلها ، وهي مرحلة الإعداد ، فهل قام الإمام الحسين عليه السلام بذلك ؟

الفكر الحديث باختلاف جوانبه يتساءل ، وهو في حركة فكريّة للحسين عليه السلام ، وعن الحسين عليه السلام ، وحول الحسين عليه السلام فيقول : لماذا ضحّى الحسين عليه السلام هذه التضحية ، وهذا العطاء الذي لم يسبقه أحد من قبل ؟ من أجل مَن ؟ ولماذا ضحّى ؟ هل من أجله ؟ ومَن يريد المنصب يحتاج إلى أقاربه وأعوانه وآله ، فكيف يقدّمهم للساحة إذا كان يريد المنصب ؟ أو هو ضحّى من أجل شيعته وشيعة أبيه دفاعاً عن وجودهم ودفاعاً عنهم من أجل حياتهم ، من أجل أهل الكوفة بالذات؛ لأنّهم ينسبون إلى أبيه في ولائهم كما يدّعون أو كما يقال عنهم .

أصحيح أنّ الحسين عليه السلام يذبح من أجل حياة أهل الكوفة ؟ !

أو من أجل أُسرته من بني هاشم الذين اضطهدتهم الدولة الأُمويّة ، وحرمتهم حقوقهم ، وطاردتهم هنا وهناك ؟ !

أو من أجل الأُمّة المضطهدة التي شطرتها الدولة ، وقسّمتها ، وفاضلت بينها من أجل الأُمّة الكبيرة ، أُمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ؟

أو من أجل الأجيال الآتية ، من أجلنا ، أو من أجل مَن يأتي فيما بعد ؟ !

أصحيح أن يقال : أن يذبح الفاضل ليتنعّم المفضول ، أو يموت الإمام ليعيش الدين في استقرار وتطبيق وطاعة ؟ وهل الدين إلّا أفكار وأوامر ونواهٍ والإمام أداة منفّذة موضّحة مبيّنة مطبّقة حاكمة تأمر بأمر ، وتنهى عمّا نهاه الله ؟

فماذا حقّق الحسين عليه السلام لهؤلاء ؟

وهل كانت حياته أو جلوسه خسارة وضرراً للدين ، أو كان جلوسه أفضل من اندفاعه وذبحه ؟

الحسين عليه السلام أفضل المسلمين ، وأفضل من غيره ، أفضل من السماء وأهلها ، الحسين عليه السلام أفضل من الأرض ومن مشى عليها .

الحسين عليه السلام مؤمن وللمؤمن حرمة أفضل من حرمة البيت .

أفضل من الكعبة ، أفضل الصحابة ، فلا بدّ أن يكون ذا فكر وقلب مليء بجوهر الإسلام ، فذبحه خسارة ونكسة ، كما صرّحت بذلك بعض فقرات زيارته الواردة على لسان أحد أحفاده ، فقد رزئ المسلمون والإنسانيّة جمعاء بخسارة ، وهي الخسارة التي لا تعوّض ، الحسين عليه السلام عالم ، وإذا مات العالم قالوا له أثر على المسلمين للحاجة إليه ، حتّى قيل : موت العالم يثلم في الدين ثلمة .

ونعود ونقول : ماذا حقّقه الحسين عليه السلام ؟ وماذا حصل بذبحه ؟ وما هي غايته ؟ ولكلّ إنسان غاية في حياته وفي تصرّفاته ، وتختلف بمن يدركها ويندفع من أجلها ، فقد تكون ذات ثمن ، وقد تكون لا ثمن لها ، هذا هو البشر ، وهذه حركاته وتحرّكاته ، والحسين عليه السلام إنسان تحرّك واندفع وسافر وشدّ الرحال ، فما هي غايته الأُولى والثانية والأخيرة التي من أجلها شدّ رحله ، ومن أجلها بذل وأتعب نفسه ؟ هل غايته الموت ، أو الذبح ؟ فإذا كان ذلك معناه يكون الحسين عليه السلام قد أقدم على عقليّة تشبه بعمليّة المعاصرين ، أو الذين يقدمون على علميّة انتحاريّة .

الحسين عليه السلام والنقد السياسي

كثيرون قرأوا قصّة الحسين عليه السلام، وعقّبوا عليها، وحلّلوا فصولها سياسيّاً بما لديهم من نقاط سياسيّة؛ لأنّ السياسة عندهم علم تفكير سياسي وتطبيق في الميدان العملي، أمّا أنا وأنت فنعتقد به إماماً، مسدّداً مصوناً لا يعمل إلّا الصواب، ولا يتحرّك إلّا بما يرضي الله، ونحن بين يديه وبيننا وبينه حواجز وحدود وموانع وآداب إنسانيّة، تمنعنا وتردّ عنّا من الجرأة عليه، أو من يقول فيه لأنّه إمام، وعلينا أن نعرف تكليفه، وكيف قام بذلك التكليف، فإذا أدركنا ذلك وصلنا إلى النتيجة، وهي الصواب.

أمّا النقّاد السياسيّون، فهم مختلفون فيه، وفيهم غير المسلمين، ولكنّهم قرأوا قصّة الحسين عليه السلام ومصرعه، وحلّلوا الفصول سباسيّاً ودرسوه سياسيّاً ثوريّاً، وقالوا فيه هو إمام ثائر، وأثنوا عليه سياسيّاً، وكلّ سياسي يقرأ سيرة الثوّار ويقف عندها ويدرسها صفحة بعد صفحة، قد يأخذ، وقد يقتبس، ويتأمّل، وقد يحكم على هذا بحكم له أو عليه، والنقد السياسي شأن السياسيّين، ومذهبهم ونهجهم، وعمل الثائر ينقد غيره، أو يستفيد منه، وهم درسوا الحسين عليه السلام، وقالوا فيه كثيراً، وأقوالهم جريئة صريحة، ويحلو لهم أن يقولوا فيه..

١ ـ لماذا استعمل الحسين عليه السلام الجهر والإعلان في كلّ خطواته، ولم يأخذ

بالتكتّم، وهو سنّة متّبعة وسيرة مشرّعة ؟

٢ ـ لماذا لم يتراجع وغيّر وجهة سفره إلى قطر آخر، وتحوّل في سفره من الكوفة إلى اليمن أو غير اليمن ؟

٣ ـ لماذا لم يأخذ برأي مشيريه الذين أشاروا عليه، الذين حكموا على أهل الكوفة بحكم بأنّهم أهل كذب وأُناس لا ثبات لهم، وأنّهم انهزاميّون ؟ هذا هو رأي الذين أشاروا على الحسين عليه السلام.

٤ ـ بعض العقول السطحيّة التي تدّعي النضج السياسي تقول في الحسين عليه السلام، وفي ثورته، ومن أقوالهم : ليس بين القوّتين تكافؤ، فليس بين الجيشين أي تعادل بين جيش الحسين عليه السلام والقوّة الأُخرى، فلماذا ثار الحسين عليه السلام ومعه سبعون رجلاً ونيف ؟

٥ ـ وقالوا : لماذا لم يجازف الحسين عليه السلام ويغامر ما دام قصده نحو الكوفة ؟ فلماذا لم يغامر في الدخول إليها ويكسر الحصار المضروب عليها، شرقها وغربها ؟ فإنّه لو دخلها لسلم من القتل، وكان نجاة لأتباعه، وكان أكثر نجاحاً وتحقيقاً له بالذات ولآله ولشيعته، وأقلّ ما يتصوّر أنّه يعدو على أميرها ابن زياد ويتخلّص منه ومن شرّه.

٦ ـ وقال هؤلاء النقّاد وما أثبتوه من نقاط وضعوها في سجلّ الحسين عليه السلام السياسي : لماذا نزل كربلاء، وانحاز إلى هذه الفلاة، وأنزل نفسه في هذا الوادي ؟ فهل كان ذا دراية ؟ وهل حقّق الحسين عليه السلام غرضاً من أغراضه في هذه البقعة الجافّة النائية المتطرّفة عن مجتمع وتكاثر شيعته الكوفيّين ؟

٧ ـ لماذا لم يبعث إلى شيعته الكوفيّين المختصّين في قراهم وبساتينهم ودورهم لينفروا ويتسلّلوا ويلتحقوا ويخرجوا إليه، ولو ليلاً ؟

٨ ـ لماذا لم يستعمل الحسين عليه السلام اللغة السياسيّة المبنيّة على التوعيد والتهديد، كما استعمل عدوّه ذلك ؟

فقد وعد وهدّد وخوّف وأرهب الآخرين؛ بأنّ جيشاً سيدخل الكوفة، وهذا معناه الحربّ بكلّ معناها: من قتل، وجرح وهدم منازل... ومثل هذا الأُسلوب مباح ومتّبع في المنطق السياسي، قديماً وحديثاً، وإن كان القائل لا يملك قوّة ولا دعماً ولا أنصاراً، ولكنّ لغة الشدّة والتوعيد أو لغة المطامع المحرّكة للضمائر تحرّك النّاس ديناميكيّاً والطمع يحرّك الوجدان!

وكان باستطاعته أن يستعمل ذلك الأُسلوب ليجلب أكبر عدد ممكن من النّاس إليه، ويبعد أكبر عدد من أعدائه، ولكنّه استعمل لغةً أُخرى، فقال لأتباعه: وصلنا إلى ساحة الموت كما يروى عنه، هاهنا محطّ رحالنا، هاهنا تسفك دماؤنا، ثمّ انطلق يقرأ لهم ويتحدّث معهم عمّا يحدث عليه، كما ورد ذلك عنه وتفرّق عنه الكثير، ومن يريد الحرب ومواجهة عدوّه، كيف يفرّق من جاء إليه، والتحق به؟ إنّ هذا النهج عند الساسة الذين يريدون تحقيق أغراضهم وأهدافهم بكلّ جسر يعبروه إلّا الحسين عليه السلام.

٩ ـ وكان باستطاعة الحسين عليه السلام أن يدخل الكوفة قبل عدوّه، فلماذا توانى واستقرّ واستقام في الحجاز في مكّة أو في الطريق، وكان باستطاعته أن يسرع في سيره ويدخل الكوفة قبل أن يدخلها غيره، ولو ذهب هو بنفسه يخطّط للموقف لحقّق الغايات الكثيرة، فلماذا بعث ابن عمّه أوّلاً، ولم يذهب هو بنفسه، ولم يتوجّه هو عليه السلام، ولم يبعث غيره؟ فلماذا استعان بغيره؟ هكذا يقول الساسة والقرّاء في الحسين عليه السلام والساسة من شأنهم وسيرتهم أن ينقد بعضهم بعضاً، والساسة يمدح بعضهم بعضاً، ويأخذ اللّاحق من السابق، وعندهم هذا أقوى من هذا، وإذا ترجموا قالوا هذا قدير واستطاع أن يختصر الزمن.

أمّا الحسين عليه السلام فهو إمام يقولون عنه ثائر، وقالوا سياسي، هكذا نسمع عنه إذا قرأنا الكتب الأُخرى العربيّة وغيرها.

الحسين عليه السلام في الدراسات العالميّة ، الحسين عليه السلام في الكتب الأُخرى ، الحسين عليه السلام عند المستشرقين ، هو سياسي ثائر ذو مواقف وأصبح مادة وموضوعاً للدراسات السياسيّة ، وأصبحت قصّة الحسين عليه السلام كتاباً يقرأها هؤلاء في كلّ لغة ، قرأوا رحلته ومسيره من الحجاز إلى العراق ، وموقفه ، وأهملوا الجوانب الأُخرى ،

ما قرأوا حياة الحسين عليه السلام وأفكاره ، وما قرأوا حلقات حياته وفصولها ولم يحلّلوا شخصيّة الحسين عليه السلام وبعد ذلك يحكمون عليه بحكم ، لكنّهم قالوا : الحسين عليه السلام رجل سياسي ثائر ، وعطفوه على غيره ، ووضعوه في قاموس الساسة ، وظنّوا أنّ الحسين عليه السلام كغيره .

ووضعوا علامات التعجّب في سجلّه ، ونقاطاً مؤشّرة حوله ، وأصبح الحسين عليه السلام بين عقليّتين .

الحسين عليه السلام بين عقليّتين :

أصبح الحسين بين العقليّة الدينيّة أو المنطق الديني وبين العقليّة السياسيّة والمنطق السياسي .

١ ـ المنطق الديني متقوّم على الصدق والإخلاص والواقعيّة والأمانة ، فيقول الحسين عليه السلام إمام معصوم لا يصدر منه الخطأ ، ولا يُقدم على الضرر ، ولا يعمل غير الصالح ، يأمر بالمعروف ، ويدعو إلى الخير ، ويسلك مسلكاً فيه رضا الله وطاعته مهما كلّف الأمر ، ومهما كان الطريق !

٢ ـ أمّا المنطق السياسي فيرى الحسين عليه السلام رؤية أُخرى ويدرسه دراسة سطحيّة أنّه بشر والبشر يخطئ ويُصيب ، وشأن السياسي قد يخطئ ، والسياسي عند السياسي قد يخطئ والسياسي عند السياسي ينقد ويوجّه إليه النقد ويحاسب ، إنّ هؤلاء درسوا الحسين عليه السلام دراسة بحتة ليس بها عمق .

الحسين عليه السلام والأُمّة

ما هو موقف الأُمّة من موقف الحسين عليه السلام ؟ فهل هي معذورة أو مغلوب على أمرها أو أُصيبت بأمراض ؟

وهنا نتحدّث عن موقفين؛ أحدهما أقوى وأشدّ من الآخر.

ما هو موقف الحسين عليه السلام من الأُمّة ؟

وموقف الأُمّة من الحسين عليه السلام وتحرّكاته وخطواته وأصواته التي أطلقها داعياً لهم..

فرأيناه يقول لابن عبّاس : ماذا تقول في أُمّة اتّفقت كلمتها على قتل ابن بنت نبيّها ؟ ! أصحيح أنّ الأُمّة حصل عندها وفيها هذا الاتّفاق ورضيت وأجمعت على قتل الحسين ؟ وكيف اتّفقت كلمتها وفيهم من يعرف الحسين عليه السلام ، وفيهم مَن له صلة بالحسين عليه السلام ؟ فما هو عذره ؟ وما هو السبب في كلّ ذلك ؟ !

ويقول عليه السلام في مورد آخر : إنّ الله اشتدّ غضبه على اليهود ، فهل كانت الأُمّة بهذا المستوى من الانحدار والسقوط فيصفها الحسين عليه السلام بمستوى الأُمم الأُخرى التي شذّت وخرجت واعتدّت ، ويوم قال الحسين عليه السلام ذلك لم يصدر منها كما صدر من الأُمم الأُخرى من قبل ؟

وهل تلك الأُمّة لم تكتوِ بمكاوي الدولة الحاكمة ولم تذق آلام الولادة ،

ولم تسلب منهم أموال ولم يدركوا ظلم الدولة والحسين كان ينادي للعدل والعدالة ولتطبيق العدل الإسلامي ، فلم تميّز بين الحسين وغيره . وهو الذي قال وصرّح : « أمّا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه » ؟

وهل تلك الأُمّة تعيش الإرهاب والخوف فاعتزلت صوت الحسين عليه السلام واعتكفت في البيوت تنظر كيف يؤول أمر هذا أو ذاك ؟ وهل كانت الأُمّة بهذا المستوى من التخلّف الفكري فلم تميّز بين ما يدعو إليه الحسين عليه السلام وما يدعو إليه ولاة بني أُميّة ، فأجابت صوت بني أُميّة ، وخذلت حسيناً وغدرت به وأسلمته في الساحة ؟

وهل الأُمّة جمعاء تستحقّ اللعن والذمّ ، كما ورد على لسان الحسين عليه السلام ذلك ولسان أصحابه : « اللّهمّ العنهم لعناً وبيلاً ، إنّهم خذلونا . . . » ، ودعا عليهم في أكثر من موقف له ؟ !

أصحيح تلك الأُمّة كما تتصوّرها في الكوفة والبصرة والشام رضيت بحكم يزيد ، وأعرضت عن دعوة الحسين عليه السلام ، وآمنت بالدولة والخلافة الأُمويّة وبايعت يزيد بسكوتها وتخاذلها ؟ وهل ذلك رضا بخلافة يزيد أم هناك عذر ، وأنّها أُمّة لا تمتلك لنفسها قوّة ولا سلطاناً مغلوب عليها أمرها ، أو كانت أُمّة مغفّلة ساذجة لم تعرف نوايا بني أُميّة ،كانت تظنّهُ خلافاً بين بيتين ، بين أُسرتين عربيّتين ، سوف ينتهي نهاية حسنة ، فلم تدرك الأُمّة إلّا أنّ ابن زياد عجّل بقتل الحسين عليه السلام ، أو كانت أُمّة جاهلة لم تدرك مَن هو المقتول ومن هو الحسين عليه السلام ، أو لم تعرف مستوى الحسين عليه السلام وذرّيّته ، وأنّه على حقّ ، إذن هي أُمّة معذورة ، والجاهل الغافل يعذر عند الله وفي التاريخ ؟

والإمام الحسين يرى نفسه ـ وهو كذلك ـ يحمل المسؤوليّة الكبرى مسؤوليّة الأُمّة وهموم الأُمّة وآلامها ويحسُّ بجراحها ، وهو المحامي والمدافع عن مقدّساتها ، وهو المسؤول عن نجاحها وفوزها وتخلّفها ، وهو أقرب من غيره إلى هذه الأُمّة ، وجدّه

هو الباني لوجودها ، ولأنّه القائد الشرعي وحامي حماها ، وكان الحسين عليه السلام كذلك ، وبهذا الشعور خرج الحسين عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله .

خرج حفيد النبوّة من مدينة الرسالة لينشر الوعي في دنيا المسلمين ، خرج يعلن الحرب على البذخ والتبذير ، خرج يحمل سيف أبيه عليه السلام وتراث جدّه صلى الله عليه وآله وعلى شفتيه لغة جدّه ، اللغة التي دعا بها ، ولكنّ الأمّة لم تكن بالمستوى الذي أرادها الحسين عليه السلام ، فقد أُصيبت بانتكاسة ، وأثّر فيها الانقلاب بعد رحيل نبيّها ، وأُصيبت بأمراض نفسيّة وتمزيق في كلمتها ، وتشتّت الشمل .

إنّ الأُمّة كانت نائمة وأُصيبت بإغفاءة وركود ، وجاء حفيد محمّد صلى الله عليه وآله يهزّها ويحرّكها ويوقظها من هذا النوم الذي كانت تعيشه أيّام بني أُميّة ، وبعد صلح الحسن عليه السلام وعودته إلى المدينة ، وأيّام حكم معاوية واستفحال الولاة الأُمويّين في البلاد ، وبعد أن نهبوا وأحلّوا وفعلوا ما فعلوا ؟ !

وقام الحسين عليه السلام يحرّكها ويدعوها وهو إمامها ودفعها وهداها وصوّت فيها ، وكان في النّاس في زمانه قسم بقي راكداً ، وقسم اندفع مع الحسين عليه السلام ، وقتل الحسين عليه السلام ورجعت الأُمّة إلى نومها وركودها ، فجاء حفيد الإمام الحسين الإمام الصادق عليه السلام مقابل التيّارات الجديدة وهو يحمل الثقافة الإسلاميّة ، فثار ثورة فكريّة تحرّك وحرّك الأُمّة ورصّ صفوفها ، ورفع من مستوى الفكر الإسلامي .

يقول التاريخ الإسلامي :

وبقيت الأُمّة الإسلاميّة نائمة تعيش الركود ، ولم يتحرّك أي مسلم ، كلّهم سمع وعلم بأنّ يزيد سيكون خليفة بعد أبيه ، خليفة سوء لخليفة دهاء ، فما حال المسلمين بين هذا وذاك ، فإذاكانوا قد ذاقوا الويلات واكتووا بنار الحروب وويلات المطاردات وسياسة التجويع أيّام معاوية ، فماذا سيكون أيّام يزيد الشرور ، يزيد التهوّر ؟ ولم يتحرّك المسلمون ولم يقل أحد كلمة واحدة ، ولم تصدر منه كلمة لا ،

إلّا قلّة قليلة في الكوفة حركة غير منظّمة ، حركة ذات طموح[١] مقدّس ، لم يتحرّك إلّا الحسين ، ولم يرفض إلّا الحسين ، ولم يقل إلّا الحسين عليه السلام .

الحسين عليه السلام خلق مستوىً عقلي جديداً وتفكيراً جديداً لتغيير الأمّة فكريّاً ونفسيّاً وأخلاقيّاً وثقافيّاً ، وهذه هي مهمّة الأنبياء من قبل (تكييف عقليّة الأمّة وتغييرها) ، ومن أجلها جاء الأنبياء ، وقد فعلوا ذلك فغيّروا الأمم ، وأوجدوا أثراً ولا يزال ، ولولاهم لكانت الأمم تعيش الجمود الفكري والتخلّف الخُلقي ، وهذه هي وظيفة الإمام؛ لأنّه خلف وخليفة بعد النبيّ ، وهو وارثه فيؤدّي ويقوم بأداء هذه الفريضة ، وهو الذي يغيّر ويحوّل ويكيّف الأمّة تكييفاً للأفضل والأصلح ، ويأخذ بيدها إلى الأفضل .

فجاء الحسين عليه السلام ليؤدّي رسالته بعد أبيه وأخيه ، فدعا الأمّة ، فمن استجاب والتحق به تذوّق طعم الإيمان ، ولكنّه غرس حبّ الخير في نفوسها وغرس فيها حبّ التضحية والبذل في سبيل المبدأ ، وغيّر نظرة الأمّة لتلك الدولة ، التي كانوا يخشونها ويخافون ويهابون سطوتها ، أو يتعاملون معها بلغة الحذر والنفاق والحيطة والخشية من سطوتها ، فجاء الحسين عليه السلام فرفع الحجاب ، فجعل في قلوب الأمّة الجرأة والصراحة وبدأت اللغة تتغيّر ، فقالوا فيها ما قالوا ، وبدأ النقد وبدأ الذمّ ، وبدأ الحساب والمتابعة ، يأخذ شكلاً واضحاً .

إنّ هذا لم يكن قبل الحسين عليه السلام مطلقاً إلّا عند أفراد معدودين ، فكان الناقد الجريء المجازف يقول بهمس أو في الزوايا المظلمة وهم نفر قليل ، أمّا بعد الحسين فكان النّاس يقولون ويشتمون يزيد وأباه وآله ، إنّ هذا لم يكن من قبل ، وبدأ هذا التيّار ينمو ويسير في صفوف الأمّة وطبقاتها ، ويسمع ويسمعه الموالي لبني أميّة ، وحاولوا مكافحته ، أوكمّ الأفواه ، إنّه تيّار أقوى ، إنّه شيء جديد ، مَن كان يستطيع أن

---

(١) أقصد حركة سليمان بن صرد وجماعته ، الحركة الكوفيّة .

يشتم معاوية في زمانه ؟ ومَن كان يستطيع أن يقول في بني أُميّة : إنّهم أكلوا أموال الأُمّة ، أو سرقوا الإسلام ، أو تحوّلوا إلى طبقة مترفة متنعّمة بثروة الإسلام ، وتحوّلوا إلى طبقة تعيش فوق رؤوس الأُمّة .

إنّه من فضل وبركة الحسين عليه السلام ، إنّه الحسين !

الحسين أيقظ الأُمّة وأعطاها فكراً جديداً ، ودفعها للقوّة والدفاع عن نفسها ، ودعاها للنور حيث كانت تعيش بالظلام ، كانت تعيش الخوف هيّابة ، ويُعلم ذلك من رسالته للبصرة ، وكأنّه يقول : تعالوا هلمّوا هيّئوا أنفسكم يا أُمّة جدّي .

وكان الحسين عليه السلام يشعر بشعور الأُمّة وما أصابها ، فيحاول إعدادها وإنهاضها وتقويتها بعد سقوطها واحتضارها؛ لأنّه يحسّ بآلام تلك الأُمّة ، وهو الذي أدرك الخطر الذي كان يهدّدها ، وكان إماماً حقّاً ، وهو الذي يقودها ويهديها ويأخذ بيدها إلى الصواب ، وهو هاديها :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾(١) .

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾(٢) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٣) .

هذا هو الإمام الذي يقود الأُمّة ، ويتحمّل مسؤوليّاتها ، وهو كفيل بنجاح هذه الأُمّة ، ويأخذ بها لساحل السلامة وإلى سلّم الرقيّ ، وهذا هو الإمام الشرعي .

---

(١) الأنبياء : ٧٣.

(٢) القصص : ٥.

(٣) السجدة : ٢٤.

وهو الذي يتحمّل المسؤوليّة ، والمسؤوليّة كلمة نردّدها ونجدها ثقيلة ، كلمة مخيفة ، والمسؤوليّة لا يطيقها كلّ أحد ، ولا يطيقها إلّا من تأكّد من نفسه ووثق بها ، وأدرك القدرة من نفسه بالقيام بها ، ولا يقوم بها كلّ أحد ، ولا يطيقها كلّ فرد إلّا من كان أهلاً وجديراً بها ، فإنّ الله يختار لها الكفوء ، ويصطفي لها الفرد الأكمل ، ويختار لها مَن كان قويّاً في عزمه وعزيمته ، ولا يسأم ولا يضجر ولا يتردّد ولا يهاب . هذا هو الإمام .

وهو الذي يؤدّيها ، ويبلّغ كما يريد من الله عزّ وجلّ ، وهي الأمانة التي عليه أن يؤدّيها ، وهي الأمانة المقصودة بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾[١] .

وهنا أدرك الحسين عليه السلام أنّه صاحب المسؤولية ، وعليه القيام بها ، فاستجاب لاستغاثة الأُمّة ، فهبّ بآله واستجاب لهم ، وقد أشار سفيره مسلم بن عقيل برسالته للحسين عليه السلام .

وكان الحسين عليه السلام يحمل هذا الشعور ، ويدرك المسؤوليّة الملقاة على عاتقه ، وأنّ أُمّة جدّه لا يمكن أن يتركها تتخبّط وتعيش كما كانت عليه ، أراد أن ينتشلها ، فكان يخشى عليها من الضياع ، وهو المسؤول عن ضياع هذه الأُمّة ، وعن كلّ ما يهدّدها ، وهو أعرف من غيره ، فأدرك أنّ الخطر قد أحدق بها ، فدعاها إليه برسائله ورسله؛ لأنه رآها والطوفان الأُموي قد طغى ، وكاد يفرّقها ، فأراد أن يسلك بها في طريق الهداية والنجاح ، اللّهمّ اشهد أنّهم سمعوا ووصل إليهم صوت الحسين عليه السلام وبلّغهم دعوته ، فسكتوا لذلك ، قال الحسين عليه السلام قولته : « مَن سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبنا أكبّه الله . . . » .

---

(١) الأحزاب : ٧٢ .

العجب كلّ العجب أن يسكت المسلمون ويتركون الحسين وحده ، هبّ صارخاً مصوّتاً هاتفاً وأوصل صوته لكلّ مسلم ومسلمة ، ولو كان بعيداً عنه ، وهو ينادي : تعالوا هلمّوا إن كنتم مسلمين ، اتّبعوني ، لنكن أُمّة واحدة لحرب يزيد ، فإنّه عدوّكم وعدوّ شريعتكم ، إنّه يريد أن يعيد مجد جدّه وعصبيّة سلفه .

أيّها المسلمون ، والله إنّهم سمعوا صوت الحسين عليه السلام وسكتوا ، وأسلموه ، وهم يعلمون أنّه صادق وأنّه على حقّ .

والعجب كلّ العجب أنّ المسلمين ظهرت منهم بوادر تدلّ على إحساسهم وروحهم الثوريّة ضدّ الباطل ، وشكّلوا ثورة ضدّ حاكم بذّر وأسرف وتلاعب بأموال المسلمين ، فنقرأ صفحة إسلاميّة عنيفة أنّ المسلمين في الكوفة والبصرة ومصر وحتّى الحجازيّين تكتّلوا ضدّ عثمان وتصرّفاته وتفاقم الأمر واشتدّت حرارة نفوسهم وتتّحد كلمتهم ويهاجمون معاوية ، ولولا موقف الإمام عليّ عليه السلام ؛ إذ كان وسيطاً بينهم وبين عثمان .

لكن ترى المسلمين سكتوا عن يزيد ، وهو يقوم ببدايات تنذرهم ، وزّع الشياطين في البلاد ، وبثّ الأبالسة في أطرافها ، وأخذوها عرضاً وطولاً ، والحسين عليه السلام وحده في الساحة ، يصول ويلوّح ويهتف ، الحسين عليه السلام ما طالب الأُمّة أن تلتفّ حوله لأنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وادّعى بالنسب والقربى ، لا ... بل الحسين طالب الأُمّة بالالتفاف حوله لأنّه يدعو للحقّ ، ويحارب الباطل ، وصوّت الحسين عليه السلام في هذه الأُمّة النائمة ، فلا مجيب ولا سامع ، وبقي لوحده يصول ويجول ، وينادي ويكثر من النداء ، « ألا من ناصر ينصرنا » ويسمع الجميع صوت حفيد الأنبياء وبقيّة الرسل في الأرض ، وكلّهم سكون والحسين في حركة .. ولوحده في الساحة وفي الميدان فأين أبناء الخلفاء ، وأين أبناء المهاجرين والأنصار ، وأين أبناء الصحابة ؟ ولا كلمة حقّ ولا صوت ! كلّهم خوف وحذر ، وكلّهم يخشون ، وكلّهم أغلق عليه بابه وكأنّه

غير مكلّف أو غير مدرك للخطر الذي يهدّد الأمّة ، أو هو يدرك ولكنّه يتكلّم بهمس وفي الزوايا المظلمة .

وقف الحسين عليه السلام يلوّح للأمّة ويردّد اسم جدّه ، ويشرح سياسة بني أميّة ، ويضع المؤشّرات وعلامات الخطر لتدرك هذه الأمّة أنّ هناك مخاطر ، فعليها أن تلتفّ حول هذا الثائر ، وانقسمت الأمّة صنفين؛ القلّة كانت مع الحسين عليه السلام ، والكثرة مع يزيد ، ولذلك أسباب كثيرة ، والعجب في كلّ ذلك ، كأنّ الأمّة لا تعرف حسيناً ، أو كأنّها لا تعرف يزيد ، أو لا تميّز بين الحسين عليه السلام ويزيد .

إنّهم يعرفون الحسين عليه السلام ، الذين راسلوه وخذلوه وانقلبوا عليه .

الحسين عليه السلام وعقليّة المجتمع الإسلامي السياسيّة

ويوم تحرّك الحسين عليه السلام واندفع هل كان المجتمع الإسلامي بمستوى المسؤوليّة والنضج السياسي ؟ وهل أدرك المسلمون الحجازيّون والعراقيّون المستوى السياسي والأبعاد السياسيّة لفكر الحسين عليه السلام ؟

وقبل الدخول بالموضوع والجواب عن ذلك نقدّم مقدّمة تمهيديّة : هل في الإسلام تربية سياسيّة ؟ وهل استطاع الإسلام أن يخلق في الإنسان المسلم ثورة ضدّ الباطل وحماساً وشجاعة سياسيّة ليقف بعنف أمام الرياح السوداء والتيّارات المضادّة ، وهو دين يدعو إلى العبادة والاعتزال والحياة العامّة بما فيها وما عليها ، وما يحدث ؟ وهل في الإسلام فكر ثوري ؟ وما هو الدليل على ذلك ؟ وهل خلق الإسلام نماذج تقول وتتحدّث وتندفع ضدّ ما يهدّدها ؟

هذه مسألة من أهمّ المسائل الفكريّة التي عالجها القرآن ، فشرّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكون أُمّة تدعو للخير وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وفي ذلك مستويات في الإيمان والبطولة السياسيّة ، فمن يأمر بيده يختلف عمّن يأمر بلسانه ، ودونهما من يأمر وينهى في قلبه ، وذاك أضعف الإيمان ، كما في الحديث النبوي المتّفق عليه .

فالإسلام منذ أيّامه الأُولى دين نشر الوعي السياسي ، وبثّ المفاهيم الثوريّة في

ذهنيّة الإنسان المسلم، وقد قرأنا نشاطات جديدة وآيات قرآنية تدعو المسلمين للوقوف في وجه الباطل، والمسلمون من حيث قوّة وضعف الشخصيّة أنواع وأمزجة، فهذا قد أدرك المحتوى الشرعي لمعاني الآيات، ومفهوم السنّة النبويّة، وطبّق، وقام بتنفيذ الأحكام، ودعا غيره من المسلمين أن يتأثر ويدعو غيره إلى محاربة الباطل، والحديث النبوي الذي يردّده المسلمون: «من رأى منكم سلطاناً جائراً...».

النشاطات السياسيّة في عصر النبوّة وما بعدها:

تغيّر الفكر العربي بالإسلام، فبدأ المسلم بالحاكم والحكم، والعدل والعدالة، ويتابع الحاكم من حيث ما له وما عليه، وعندها يحاسب وينقد الحاكم إذا وقع في هفوة أو مخالفة شرعيّة، ولم يمنع الإسلام من الثورة على الحاكم الشرعي لو تصرّف تصرّفاً فيه مخالفة شرعيّة، كما حصل في العصور الإسلاميّة، فكيف بالظالم المشهور المتسلّط المتربّع؟ إنّ على الأُمّة محاسبته، وإعلان الحرب عليه، والآية القرآنية صريحة: ﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1].

ولادة الفكر الثوري وعقليّة المسلم السياسيّة ظهرت في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعد رحيله، مجموعة من المسلمين عرفت بالثورة والوقوف بوجه الباطل، وهذا أشدّ من الآثار الإسلاميّة، فقد خلّف الإسلام أُمّة قويّة في أفكارها ونفوسها ومواقفها، وقوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ...** ﴾ أمر يدلّ على الوجوب.

فكلّ تيّار جديد يهدّد أو يُشمّ منه رائحة الخطر لا بدّ من الوقوف ضدّه والإطاحة به، وبدأ التكتّل الإسلامي والإرادة العامّة الشرعيّة والرأي العامّ المسلم يظهر على

(١) آل عمران: ١٠٤.

المسرح السياسي بعد رحيل النبيّ ، وكان المسلمون يحافظون على وحدة الصفّ .

وظهرت على المسرح السياسي نشاطات سياسيّة جديدة الشورى والتشاور ، وذوو الرأي ، وأهل الحلّ والعقد ، ورأي الجميع خير من رأي الفرد ، والتحكيم ، وأصبح المسلمون يميّزن بين ما هو في مسار الإسلام وما هو الغريب الشاذّ المخالف الجديد المضادّ ، واشتدّت الحركة السياسيّة بعد مقتل عثمان ، ثمّ اشتدّت تلك الحركة السياسية ، حيث انشقّ المجتمع على صعيد المسرح السياسي ، وبدأت تظهر على ذلك المسرح تيّارات أُخرى وأفكار متضادّة ، هذا يفكّر بشكل مخالف عمّا يفكّر به الطرف الآخر ، فأهل الحجاز وأهل مصر وأهل الشام وأهل العراق في كلّ ذلك المجتمع الواسع فئات متناحرة ، فانحاز هذا لعليّ عليه السلام ، وآخر لمعاوية ، وحتّى الصحابة انشقوا على أنفسهم ، منهم سكن الحجاز ، ومنهم هاجر إلى العراق ، وانحاز قسم من الصحابة إلى هذا أو ذاك ، وبدأت تظهر أفكار جديدة بين الهدم والبناء ، وهذا التنافس الفكري ضدّ فكر إسلامي جديد يُطلق على الفكر الإسلامي الذي كان من قبل في عصر النبوّة وعصر الخلفاء ، وسمعنا كلاماً جديداً ، وأحاديث جديدة ، وقرأنا رسائل سياسيّة لعليّ عليه السلام ولخصمه ، وقرأنا أجوبة للصحابة تدعم هذا وذاك ، وظهرت كتل جديدة ومجموعة من المسلمين حول هذا وذاك ، إنّ هذا النشاط السياسي لا يخلو من سلبيات وإيجابيات ، فتحوّل المجتمع الإسلامي إلى مدارس فكريّة متناقضة ، كلّ مدرسة لها طابعها ولها أهدافها .

هذه المرحلة هي الثانية ، وهي مرحلة النموّ الفكري السياسي للإنسان السياسي ، فبعدّ ما ولد الفكر الثوري السياسي نما ذلك الفكر وتبلور بالأحداث السياسيّة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي والنشاطات السياسية التي مارسها المسلمون هنا وهناك ، وأصبحت عقليّة المسلم ذات قدرة على التفكير والنقاش والحوار والمتابعة ومعرفة قضايا الساعة ، وأصبح الحاكم يحذّر ويعدّ العدّة لنفسه ، كما حصل ووقع ، فقد وقف الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري ، الذي قال فيه

رسول الله صلى الله عليه وآله مقولته المشهورة.

الرجل الثائر الذي وقف في وجه التصرّفات الجديدة التي ظهرت أيّام الخليفة الثالث.

ومن هنا نرى عليّاً عليه السلام وهو الإمام الشرعي يدافع عن نفسه، حيث وجّهت إليه انتقادات سياسيّة في تصرّفاته، وردّها وأجاب عنها، إنّ في المجتمع الإسلامي رجالاً عُرفوا بالغيرة والبطولة والتصلّب للحقّ، وكانوا حرباً على الباطل، ومن هنا نرى معاوية كان قد خشي هؤلاء المسلمين عندما نصّ على ولده من بعده، وحوّل الخلافة إلى وراثة.

ومن هنا نرى الحسن بن عليّ عليهما السلام وهو الإمام الشرعي عندما أبرم الصلح مع معاوية استخبره شيعته، وقالوا له، وسألوه، وأرادوا أن يعرفوا أبعاد هذا الصلح، إذن كان في الأُمّة كتلة لها وجودها وقدرتها وجرأتها على الحوار والدفاع عن الأُمّة.

ومن هنا نرى الحسين عليه السلام عندما قرّر التوجّه إلى العراق يعترض جمعٌ من الصحابة على عزمه على المواجهة والعنف السياسي؛ لأنّ لهذا رأياً سياسياً شديداً مستقلّاً، وهو جوهر الإسلام، وكان يواجهه رأياً آخر، فحواه أن يبدي الصبر ويتحمّل الأذى ليثاب عليه؛ لأنّ رأي الحسين عليه السلام يتمثّل بالسيف والعنف، ولا وسيلة للنجاة إلّا به، وهناك الرأي الثالث **﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾**[(١)]، أي بين التفاوض والمهادنة، وبين القوّة والعنف.

إنّ الأُمّة كانت تحمل شعوراً سياسيّاً جريئاً، وفيها من يملك الجرأة على القول مهما كان، فإنّ في الأُمّة من ينذر الحاكم المستبدّ، ويقول له بجرأة، وفيهم من ذهب شهيداً أو سجيناً، وفيهم من سكت، وفيهم المقصّر، وفيهم الانطوائي... وشأن

---

(١) النساء: ١٤٣.

المجتمع الإسلامي كغيره من المجتمعات متكوّن من شرائح وطبقات اجتماعيّة وفكريّة ، ويحاول علماء الاجتماع تقسيم المجتمع طبقيّاً من حيث الحركة ومن حيث المعرفة ، ومن حيث الصدق في حبّه ووظيفته وانفصاله عن الأرض وعن الآخرين . .

والمجتمع الإسلامي أيّام الإمام الحسين عليه السلام لو أردنا دراسته من حيث الوعي والمعرفة والإحساس لا يمكن الحكم عليه بأنّه مجتمع راكد . . صامت . . انطوائي ، كيف وقد حاول الإسلام خلق شعور فيّاض ملتهب في نفوسهم ، وألقى على عواتقهم تكليفاً مهمّاً وهو رعاية الأُمّة ومشاركتها في أحزانها ، وعدم الانفصال عنها ، ووحدة الصفّ ضدّ المخاطر التي تواجهها ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد خلق الإسلام كتلة مسلمة قويّة جريئة تقول بجرأة وتهدّد الظلم والاستبداد والتسلّط والانحراف ، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله عشرات الأحاديث في هذا الخصوص أعلنها بصراحة .

وهل هناك كلام بعد كلام الله ، وهو القائل : ﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[١] .

وإذا عرفنا أنّ في الآية دلالة وصراحة على الوجوب والمجتمع الإسلام كان فيه مَن يقول كلمة الحقّ وقد قالها ، وهو مجتمع فيه القابليّات ، وفيه الاستعداد والوقوف والمواجهة والردّ على الباطل والدفاع عن الكرامة ، وقد عرف التاريخ الإسلامي رجالاً أبطالاً صحّحوا ووقفوا واستشهدوا ، وفي كلّ المجتمعات ـ القديمة والحديثة ـ فيها الإنسان الميّت الذي يعيش في الأُمّة ، وفيها الإنسان العضو النافع الذي يدافع عن كرامته وأفكاره ومقدّساته ، والوجود إنّما هو الوجود الذي فيه الكرامة والمبادئ المصانة ، ومَن يصونها ويدافع عنها غير أهلها الشرعيّين ، وأبنائها الذين نشطوا فيها

(١) آل عمران : ١٠٤ .

وإليها ينتسبون ؟ ومَن هو أوْلى من الحسين ومن أبيه وجدّه عليهم أفضل الصلوات والتحيّات ؟

ما هي الوظيفة الشرعيّة للأُمّة ؟ وهل تعذر هذه الأُمّة بسكوتها وانهزامها وتخاذلها ؟ وهل كان لها وجود أيّام الحسين عليه السلام يوم أصبح يزيد خليفة ؟ وهل يعذر مَن سكت أم هو محاسب ؟ ومَن هم الساكتون ؟ وما هي نيّتهم ؟ وما هو عددهم ؟ ولماذا سكت هؤلاء ودخلوا بيوتهم وأغلقوا الأبواب عليهم ، وكأنّهم ليسوا من الأمّة ، ولا هم مأمورون ومكلّفون بواجب ، وليس هناك خطر يهدّد وجودهم ؟ إنّهم خائفون .. هيّابون .. انهزاميّون ، وأمّا الأُمّة التي سكتت وخذلت حسيناً عليه السلام وهو في الساحة يجول ويصول ويصوّت ويهتف ويطلب ناصراً ومعيناً فلم يجد إلّا القليل .

إنّها اُمّة لا تعذر .. إنّ الأُمّة خذلته بعد ما دعته وبايعته ، وأكّدت له وأقسمت له وأعطته التزاماً من نفسها ، ثمّ خذلته واستسلمت عند المواجهة بعدأن دعاها وكرّر دعوته ، وصوّت فيها عدّة أصوات ، هل تعذر ؟ أو يأتي مَن يدافع عنها أو يبرّر موقفها السلبي[١] ، إنّها أمّة لا تعذر ، إنّها أُمّة ارتكبت خطيئة لا تغتفر ، ولكن الأعجب كيف خذلته الأُمّة وهرعت تركض وراء بني اُميّة ؟ ! والأغرب من ذلك كيف تربّع بنو اُميّة وحكموا وطال حكمهم واتّسعت رقعته وهم هم ؟ !

الجواب : إنّهم وجدوا من يؤازرهم ، ويعطيهم شرعيّة لحكمهم ويسبّح بحمدهم ، ومال إليهم حتّى الصحابة ! !

فماذا ترى من الأمّة وهم يرون الصحابي جليساً للأُموي ويأكل على موائدهم !

وقوي سلطان بني اُميّة ، وحكموا ، وسادوا ، وهل يعذرون ؟ وكيف يعذرون ؟ وأنّى يعذرون ؟ وبماذا يعذرون ؟ قد يقول القائل : إنّهم اُخرجوا وأُكرهوا على ذلك ،

---

(١) كما وجدنا بعض الأقلام تدافع عن أهل الكوفة ، وتضع مبرّرات ، وكلّها مبرّرات سخيفة هزيلة .

وزجّهم سلطان الكوفة وهم غير راغبين..

يقول سماحة السيّد السبزواري في حاشيته على الجزء العاشر من بحار الأنوار الطبعة الحجريّة القديمة في تعليقته على رسالة الحسين عليه السلام إلى بني هاشم التي بعثها وهو في الطريق:

١ ـ مَن لم يبلغه الدعوة أصلاً، ولا إشكال في كونه معذوراً.

٢ ـ مَن بلغته الدعوة وكان لا يقدر على نصرته بالجهاد معه، وهو أيضاً معذور إن كان عذره مقبولاً شرعاً.

٣ ـ مَن بلغته الدعوة ويقدر على نصرته، ولكن كان يعلم أنّه لا ينفعه النصرة، ولكونه مغلوباً على أي حال، وفي تحقيق الوجوب حينئذٍ إشكال، بناءً على أنّ الوجوب طريقيّة إلى احتمال الظفر. نعم، لو كان له موضعيّة خاصّة لوجب حينئذٍ، ولكنّه أوّل الكلام.

٤ ـ يحتمل الظفر ويقدر على الجهاد، وبلغته الدعوة قبل إذنه عليه السلام في الانصراف من معه مع العلم بأنّه لا يأذن بالانصراف لا إشكال في الوجوب حينئذٍ.

٥ ـ هذه الصورة مع كون ذلك بعد الإذن في الانصراف أو مع العلم بأنّه يأذن راجع لدليل فيهما على الوجوب، فتأمّل.

وخبر عمر بن قيس كان قبل الإذن في الانصراف وقبل القطع بالمغلوبيّة بحسب الأسباب الظاهريّة، فإنّ أخبار الأنبياء بقتله عليه السلام يمكن أن يكون من الأُمور السماوية».

مَن هو الغالب؟ ومن هو المغلوب؟

بدأ الصراع الفكري منذ أقدم الأزمنة بين قدرتين أو بين قوّتين، بين الحقّ والباطل، ولهذا أنصار وبالعكس، وبين الخير والشرّ، وبين الكتلة المؤمنة المعترفة، وبين أعدائها، كما نجد ذلك في صور قرآنية يصوّرها ويعكسها، وهو مرآة وحكم بين عقليّتين متصارعتين، وبين منطقين وفكرتين، وقد يكون الصراع في محور ديني أو سياسي، هذا ما قرأناه وسمعناه.

أمّا الحوار والنزاع بين الحسين عليه السلام وبني أُميّة الذي يبدأ بالحسين عليه السلام وبأبيه وجدّه من قبل، واشتدّ بالحسين عليه السلام فمن هو الغالب ومَن هو المغلوب؟

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل معاوية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن عليّ عليهما السلام، والسفياني يقاتل القائم عليه السلام»[1].

ومَن هو الخالد بالأفكار الخيّرة، والقلوب المؤمنة، أهذا أم ذاك؟! ويقول أنصار

---

(1) معاني الأخبار / الصدوق: ٣٤٦، باب: معنى قول الصادق عليه السلام: إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين، تعادينا في الله عزّ وجلّ».

الحسين عليه السلام : إنّ الحسين عليه السلام هو الغالب. ويقول أنصار يزيد : إنّه هو الغالب ، فما هو مقياس الغَلبة ؟ وما هو الحكم والدليل على غَلبة هذا ومغلوبيّتة ذاك ؟ أهو الحسين عليه السلام المقتول ، أم هو يزيد القاتل ؟ والغلبة قد تكون مادّيّة زمنيّة ثمّ تتلاشى ، وقد تكون الغلبة بالعنف والدم والسيف والقوّة ، وهذه غلبة الأشرار عشّاق الدماء ، وقد تكون الغلبة بغرس الأفكار الخيّرة والطمأنينة في النفوس وحماية الإنسان.

الحسين قدوة للساسة والمفكّرين

الحسين عليه السلام كلمة عربيّة وفيها ألف معنى ، تردّدت هذه الكلمة على ألسن المستشرقين والساسة ، وقد ألّفوا في ذلك كتباً كثيرة ، ومقالات كثيرة ، مئات من الكتب والدراسات والتصريحات التي سمعناها وقرأناها .

ما يروى عن محمّد جناح الرجل الباكستاني ، قال : « لا يوجد مثال للشجاعة والبطولة مثل الحسين عليه السلام » .

وقال محرّر الهند غاندي : « إنّ الهند إذا أرادت أن تنتصر يجب أن تقتدي بثورة الحسين » .

وكذلك تحدّث الكاتب كورد في كتابه عن شخصيّة الإمام عليه السلام ونهضته ، نشره في أوربا .

وقال سياسي معاصر : « الحسين أصلب المدافعين عن الحقّ » .

وقال زعيم الصفويّين : « اصمدوا واصبروا فسوف تفوزون ، وثبّتوا في قلوبكم روح الشجاعة من نور الحسين عليه السلام كما صبر الحسين وأنصاره وفازوا » .

وقال أحد الكتّاب المعاصرين مؤلّف كتاب في رحاب الحسين عليه السلام[1] ،

---

(١) مطبوع في مصر .

ما موقف أهل الكوفة عند وصوله بناءً على دعوتهم ؟ وهو نفسه يجيب عن هذا السؤال ، تنكّروا له ولم يتقبّلوه ، بل حاصرته جند بني زياد من كلّ جانب » انتهى كلام المؤلّف .

ويقول الساعدي : مع العلم أنّهم سمعوا بقدومه وعلموا به أنّه قد قارب الكوفة وراسلهم وأخبرهم بأنّه قادم إليهم ، ودعاهم ولكنّهم أخفوا أنفسهم من الاعتداء عليه ، وهذا هو نداء الأنبياء ، وقد بذلوا في ذلك الثمن الغالي والمتاعب الجسدية والنفسيّة ، والقرآن خير شاهد على ذلك ، فأي نبيّ عاش في أمن وراحة ؟

وهذه الغلبة إذا نظرنا إليها من منظور مادي محدود زمنيّاً فإنّ يزيد القاتل المتهوّر الطائش العنيف هو الغالب ، وهذه الغلبة إذا نظرنا إليها من المنظور الروحي الفكري واستمعنا لصوت العقل ودعوةالحسين فإنّالحسين عليه السلام هو الغالب ، وهو صاحب الخلود ، وله البقاء الأبدي ، فالأفكار والقلوب والمدح والثناء ؛ لأنّه دعوة الخير.

وهو كما قال والده عليّ عليه السلام عندما بادره أحد الأُمويّين (محمّد بن طلحة) حين قال له : مَن هو الغالب ؟

فقال عليه السلام : « يا هذا ، إذا سمعت الأذان فستعرف مَن هو الغالب » ، ويقصد عليه السلام بذلك أنّ جدّه المصطفى يُذكر في الأذان ، وهذا هو البقاء ، وهذا هو الخلود والغلبة ، ومن أجل ذلك وقف الحسين عليه السلام يدافع عن هذا الشعار: « أشهد أنّ محمّداً رسول الله » ، هذا الشعار الذي حاول الأُمويّون إزالته وحذفه كما قرأنا محاولاتهم لطمس اسم أهل البيت عليهم السلام ، وسبّ الإمام أمير المؤمنين على منابر المسلمين !

ولكنّ الأحلام الأُموية تلاشت وذابت وبقي اسم محمّد صلى الله عليه وآله يتردّد ، واسم عليّ عليه السلام يُسمع ويقرأ ، وتردّده الأفواه ، وتلهج به الألسن .

إنّ الحسين عليه السلام هو الغالب ، وقد شاء الله ذلك ، وهذا هو الحسين ، والحسين عليه السلام

بالأمس هو حسين اليوم ، هو النشيد الذي يردّده الإنسان المتعطّش للكرامة والعزّة ، لماذا ؟ لأنّ الحسين رجل المبادئ والعقيدة.

فهو أعظم إنسان برز ووقف على المسرح السياسي في القرن الأوّل من المحيط الإسلامي ، وقف وتحدّى وقال وتحرّك وبادر ، وأعلن تمرّده على العنفوان الأُموي.

لقد قام الحسين عليه السلام بنشاطات سياسيّة لفظاً وعملاً وتحرّكاً ، وكلّها صراحة وجهد ، وكلّها مبنيّة على أهداف وفهم جديد ، الحسين عليه السلام ثورة في نفسه ولسانه وألفاظه ، الحسين عليه السلام ثورة فوق زمانه ، ولا تزال ثورة الحسين عليه السلام ، إنّه رجل الإباء ، فقد اقتدى به الرجال الأُباة ، ورجل الكرامة ، ورجل المبدأ ، وأخذ الرجال بمادئه في عصره وفي عصرنا الحاضر وفي المستقبل ، إنّه رجل دعوة الخير لتكريم الإنسانيّة وخلاصها من القيود والذلّ والمهانة. إنّه قدوة ونشيد في الحياة السياسيّة ، وقد اقتدى به الكثيرون من العرب وغيرهم ، وقالوا فيه ما قالوا ، وما أكثر الأقوال في الحسين عليه السلام ، وما أكثر القائلين عنه ، وكلّها لا تؤدّي ولا تحكي عظمة الرجل الثائر السائر في دروب الإيمان ، وكم أخطأوا وحسبوا أنّهم قالوا صدقاً؛ لأنّهم لم يعلموا ما هو ؟ ومَن هو ؟ ولماذا قال وفعل ؟

إنّه الحسين عليه السلام ويبقى لغزاً وهو حقيقة في ذات الوقت ، حقيقة قابلة للتحليل والتعليل. قال أحدهم : « الحسين بن عليّ تحرّك واندفع إلى الحرب وقاوم ، وكلّ تصرّفاته كانت مرتجلة بغير تخطيط ، والعمل والبناء من غير هندسة فكريّة وتخطيط وتأمّل وتروٍّ لا يحقّق نجاحاً ، والحسين كذلك ».

أقول : إنّه رأي خاطئ قاله صاحبه من غير تأمّل ولا إدراك ، ولو عرف القائل من هو الحسين عليه السلام ما قال ذلك ، إنّ الحسين عليه السلام ليس ذلك الإنسان السطحي والساذج كما يزعمون ، ليس رجلاً سطحيّاً يقدم على فعل أو يقوم بحركات مرتجلة ، أو يعمل عمل لم يخطّط له أو يرسم هدفاً له ، إنّما خطّط وقرّر ورسم وفكّر

ودبّر وتأمّل وانتشر..

ثمّ أقدم، وكلّ كلمة من كلماته، وكلّ تصريح من تصريحاته له معنى وهدف، وكلّه ثورة، وكلّ كلمة وكلام وخطبة وحركة من حركاته تحمل المعاني الثورية، لكن أين العقل الثوري ليفهم ثورة الحسين عليه السلام ؟ وفي كلّ موقف من مواقفه هدف، وفيه ألف معنى، والحسين عليه السلام لغز سياسي لم يفهم، وحتّى الآن الحسين عظيم، الحسين عليه السلام معجزة في المسار السياسي، وهو يحمل المعجزة في لغته وأفكاره وتصرّفاته والبطولة في تصدّيه لدولة كبيرة حاكمة.

وكان عليه السلام كبيراً في حجمه في زمانه وأهل عصره وعقليّة زمانه؛ لأنّه الحسين عليه السلام حسين الدنيا وحسين الأجيال، ليس لعصر أو فئة كما يزعمون.

وهكذا يبقى الحسين عليه السلام ويبقى الإسلام ويبقى محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّه دعا للإسلام ونجل من حامى ودافع وقاتل في سبيل الإسلام، وهو الذي فدى الإسلام وبذل نفسه، وأعدّ ما لديه، وأرخص كلّ ما لديه في سبيل الإسلام، ويبقى الحسين عليه السلام لأنّه ضحية من أجل الحسين عليه السلام، وهو ابن مَن ضحّى من أجل إعلاء كلمة لا إله إلّا الله، وحفيد من حرّر البشريّة من الخرافات القديمة، وهو أعرف وأحقّ وأوْلى من غيره بهذ الشريعة الغرّاء، ومَن هو أحقّ من الحسين عليه السلام بالاستجابة لصوت الإسلام وحماية الأُمّة ؟!

ثورة الحسين عليه السلام في الميزان السياسي

ونحاول معرفة حجم هذه الثورة التي قام بها إمام الأُمّة وقائدها ، حسين الرسالة ، وحسين الإمامة ، ونستطيع القول وبجزم : إنّ ثورة الحسين عليه السلام هي أكبر الثورات في التاريخ السياسي ، أو في تاريخ الثورات في العالم من قبل ومن بعد .

إنّ ثورة الحسين عليه السلام ذات حجم ضخم وذات عطاء عامّ ، وأهداف لا حدود لها ، وأبعاد كثيرة ، إنّها ثورة صادقة في أهدافها ، وصادقة في أفعالها وخطواتها ، وفي كلّ شيء ، وستستمرّ كذلك في الحياة السياسيّة ، وستبقى في أفكار حملة المبادئ .

ونحاول في هذا البحث أن نتحدّث عن الواقع السياسي الذي يعيشه الحسين عليه السلام ، وللحديث السياسي عن قادة هذه الأُمّة أهمّية كبرى ، ودراسة فيها العطاء لهذه الأُمّة لتستلهم العبر من سيرة عظمائها وقادتها .

ونتناول في حديثنا هذا عن الإمام الحسين عليه السلام سياسيّاً ثائراً ، غاص في واقع الأُمّة ، وعرف واقعها ، وتحسّس آلامها ، واندفع من أجلها شاهراً سيفه ، محامياً عنها ، وذاباً عن مبادئها المغروسة في نفوسها ، ولكن يمكن القول : إنّ الحسين عليه السلام كان بحاجة لدعم من تلك الأُمّة ، لكنّ الأُمّة لم تكن تعرف الحسين عليه السلام كما هو ، ولم تدرك هدف الحسين عليه السلام كما أراد هو !

ولكنّ الحسين عليه السلام الثائر الصريح لم يأل جهداً إلّا وبذله في سبيل تحريك الأُمّة

نفسيّاً، وتنفتح ذهنيّاً لتدرك خطوات الحسين عليه السلام، وماذا يحاول القيام به لتندفع من ورائه قائداً لها، وندخل في حديث طويل.

ونبدأ بالسؤال الجريء: إنّ الحسين عليه السلام أقدم وتحرّك من نقطة معيّنة، إنّه أقرب لجدّه صلى الله عليه وآله، وحمل اللواء، واندفع من زاوية القيادة الشرعيّة، وصوّت للأُمّة، والأُمّة تعرف الحسين عليه السلام نسباً وسيرة وفضائل، وتعرف طهارته الذاتيّة، وأنّه صاحب الحقّ دون غيره، كما عرفت أباه وجدّه من قبل، وبدأ الحسين عليه السلام يدعو لنفسه بأنّه الإمام الذي على الأُمّة أن تجيب دعوته، وهو صاحب الحقّ الشرعي، وراثة أو كفاءة أو نصّاً أو قيادة لأخذ الأُمّة لساحل السعادة والخلاص من الهوّة التي وقعت وسقطت فيها بعد غياب نبيّها، ورفع صوته، إنّه الحسين بن عليّ عليهما السلام ورفع صوته عالياً في سماء الدنيا الإسلاميّة.

ماذا يريد الحسين عليه السلام من هذا الإعلام الكلامي، أو التحرّك الإعلامي، الذي بدأ به الحسين عليه السلام واستعان بغيره من أصحابه؟

١ ـ يريد الحسين عليه السلام أن يعرّف الأُمّة مَن هو، ومَن هو يزيد، رغم إدراك الأُمّة، ومعرفتها بهذا أو ذاك.

٢ ـ ولكنّ الحسين عليه السلام أراد أن يعرّف العالم كيف تهان الإنسانيّة المؤمنة، الإنسانيّة الكريمة بالإسلام، وكيف بدأ بنو أُميّة، وكيف تقاموا بإهانة المؤمنين من المسلمين؟ وفعلاً كانت الكرامة مهانة ولا ثمن لها في عصر بني أُميّة، بدأ معاوية بقسط، وجاء يزيد بدور آخر، وجاء من بعده بنو أُميّة وبنو مروان بأدوار أُخرى في تذويب كرامة المسلم بشتّى الأساليب والمغريات، وبشتّى أساليب الإرهاب والتخويف والهدم والتحذير.

ولكنّ الأُمّة لم تكن بمستوى فكري متفتّح تدرك من هي، وماذا يراد بها، ولها؟

وحاول الحسين عليه السلام أن يحرّك الأُمّة فكريّاً، وإذا قلنا: إنّ الحسين عليه السلام تحرّك وعلم بكلّ النتائج، وكلّ ما يحدث عليه وعلى أتباعه وأنصاره.

ولكنّ القول : إنّ الحسين عليه السلام علم بذلك ، أو كان لا يعلم بتلك التطوّرات السريعة ، وإذا كان الحسين عليه السلام عالماً بأنّ الأُمّة المغفّلة لا تستجيب له ، وسوف تخذله وسوف لا تقف معه في نفس الصفّ الذي يقف معه الحسين عليه السلام ، ويأخذ مكانه السياسي فيه ليؤدّي رسالته كاملةً وعلى أكمل وجه ، ورغم ذلك وهو يعلم .

وأقدم الحسين عليه السلام على اقتحام هذه العقبات السياسيّة ،كيف يقدم الحسين عليه السلام على تلك المخاطر مع قلّة الناصر والأعوان ؟

الجواب : الدوافع والمحرّكات في نفس الحسين عليه السلام كانت قويّة ، يريد تحقيق غرض معيّن ، يريد الحسين عليه السلام تعرية الأُمّة وكشفها على واقعها ، وإقامة الحجّة عليها ، وكشف واقع الحاكم والمحكوم .

ونجح الحسين عليه السلام بكلّ محاولة قام بها ، وقام الحسين عليه السلام ولم يقم غيره ، وتكلّم الحسين عليه السلام وسكت غيره ، وتحرّك الحسين عليه السلام وسكن غيره ، وغاص الحسين عليه السلام بأعماق الشعب ، واعتكف غيره في زوايا الحجرات ، وبهذا وذاك سدّد الحسين عليه السلام الضربات المتتالية لبني أُميّة ، وليس ليزيد وحده .

بنو أُميّة المتربّعون على أعلى المناصب على قمّة الهرم الإسلامي . ولكنّ الحسين عليه السلام أرهب يزيد وهو في مضجعه وهو على العرش ، حتّى هزّه وأخافه وتحوّل ذلك الجسد الخشبي والتمثال القائم إلى جسم هزيل ، تحرّكه الرياح أنّى شاءت ، وإذا بذلك الهيكل المغرور خاف من السحاب واضطرب من الرعد ، وأُصيب بمفاجاءات شديدة سلبت قواه وأخذه الخوف ، والأوهام أحاطت به ، وخضع لسلطان الضمير القاسي ، فانثال عليه بالتأنيب .

ولماذا قتل الحسين عليه السلام ؟ لعن الله ابن مرجانة .

وماذا ينفع والمقتول هو الحسين عليه السلام ؟

مَن هو الحسين عليه السلام ؟

الحسين عليه السلام كلمة ، وما أعظمها ؟ كلمة كانت تتردّد على شفتي النبيّ صلى الله عليه وآله .

.. حسين منّي وأنا من حسين .

.. حسين سبط من الأسباط .

.. أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً .

الحسين عليه السلام كلمة وما أعذب هذه الكلمة .

إنّه حفيد محمّد وشبل عليّ ، فهو بين النبوّة والإمامة ، هذا هو الحسين عليه السلام .

وليس الحسين عليه السلام بحاجة إلى تعريف ، هو معرفة بنفسه .

الدنيا تعرف الحسين ، الحسين بن عليّ ، الدنيا تعرف الحسين ، إنّه ابن مَن وطأ جماجم الشرك برجله ، وطهّر الأرض من جحافل النفاق ، وهو ابن مَن كسّر الأصنام وقاتل الأحزاب ، إنّه عليّ عليه السلام .

الحسين عليه السلام كلمة لها صداها في التاريخ السياسي العامّ ، ولا تزال هي كذلك .

إنها كلمة تحمل كلّ معاني البطولة والفداء والتضحية .

كلمة تتألّف من حروف تتلألأ بين الحروف الهجائيّة .

وكلّ حرف من هذه الحروف له معناه ، ويحمل كلّ المعاني السياسيّة الشديدة .

الحسين عليه السلام كلمة تحبّها البشريّة.

الحسين عليه السلام احتلّ القلوب، واستقرّ في ضمير الإنسانيّة الحرّة، ولكنّ الذي يثير النفوس عجباً: لماذا يحبّ النّاس الحسين عليه السلام؟ ولماذا يبغض الآخرون حسيناً؟

الحسين عليه السلام هو الفتى الذي ولد وهو بين النبوّة والإمامة، سمّاه رسول الله حسيناً[(١)]، ولم يعرف هذا الاسم من قبل عند العرب، لا في الجاهليّة ولا في الإسلام، ولم يسمّ بهذا الاسم في عهد الرسول إلّا هو فقط[(٢)].

نشأة الحسين عليه السلام:

ولد الحسين عليه السلام ونشأ عبر سلسلة ثورات عقائديّة متلاحقة قام بها جدّه المصطفى في الأيّام الإسلاميّة، وهي تمثّل العمر الزمني السياسي للإسلام.

فالقرآن بمجموعه ما هو إلّا مجموعة ثورات تشريعيّة، والرسالة في مجال التشريع والتطبيق، والهدم والبناء ما هو إلّا ثورة جبّارة فجّرت في خطوات ونقلات ومراحل.

وفي هذه الأجواء، وفي هذه الظروف السياسيّة وُلد الحسين ونما. ونشأ الحسين عليه السلام نشأة ثوريّة أحبّ الصراع مع الباطل لنصرة الحقّ.

ولد الحسين عليه السلام ولادة ونشأةً في أحضان جدّه صلى الله عليه وآله، ولم ينهج الحسين عليه السلام هذا النهج الثوري صدفةً، وإنّما ولد ونما وترعرع في أحضان الثائرين: جدّه وأبيه وأخيه من قبل...

فولد ونما وتفاعل ونشأ في ظلّ القرآن، وهو الكتاب الثوري تشريعاً،

---

(١) يظنّ الكثير من النّاس أنّ كلمة حسين اسم مصغّر من حسن، وليس كذلك.

(٢) وهذا من الخواصّ التي امتاز به الحسين عليه السلام وأخوه وأبوه من قبل فإنّ اسم عليّ والحسن والحسين أسماء لم يعرف بها أحد من قبلهم.

ونما الحسين عليه السلام في المحيط السياسي الثائر وهو المحيط الإسلامي ، الذي بناه وحدّده ووضع إطاره الرسول صلى الله عليه وآله ، وفي هذا المحيط ولد الحسين عليه السلام ، فهو بين جدّه الثائر وبين أبيه المكافح المجاهد ، وبين أخيه الثائر ، وفي هذا الجوّ الملتهب شبّ هذا المولود الثائر !

فأحبّ الثورة ، واتّجه اتّجاهاً ثوريّاً منذ طفولته ، وبدأ يخطّط للثورة لكسر قيود الباطل ، وإثبات مجراه وتغييره مهماكان لديه من قوى ، وأخذ الحسين ـ هذا الوليد ـ مسلك أبيه في نهجه في الكفاح السياسي العنيف دفاعاً عن الوجود الإسلامي في مسيرته وخطواته في الحياة السياسيّة .

وعليّ عليه السلام كما وصفته الصدّيقة في خطبتها الثائرة ، وهي التي ترجمته الترجمة السياسيّة الملائمة لذات عليّ عليه السلام :

« قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها [١] ، فَلَا يَنكَفِيءُ [٢] حَتّى يَطأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ [٣] ، وَيُخمِدَ لَهَبَها بِسَيفِهِ ، مَكْدُوداً فِي ذاتِ اللهِ ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ ، سَيِّداً فِي أَوْلِياءِ اللهِ ، مُشَمِّراً ناصِحاً ، مُجِدّاً كادِحاً ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ . وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ ، وادِعُونَ [٤] فاكِهُونَ [٥] آمِنُونَ ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوائِرَ [٦] ، وَتَتَوَكَّفُونَ [٧] الْأَخبارَ ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ ، وَتَفِرُّونَ مِنَ الْقِتالِ .

---

(١) **اللهوات** : وهي اللحمة في أقصى شفة الفم .

(٢) **ينكفئ** : يرجع .

(٣) **الأخمص** : ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٤) **وادعون** : ساكنون .

(٥) **فاكهون** : ناعمون .

(٦) **الدوائر** : صروف الزمان ، أي كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا .

(٧) **التواكف** : التوقّع .

ليس بالرجل الثائر على المحيط ، وليس هو بالرسول الذي ثار على قوى الشرك ، أوَ عليّ ليس هو الإمام السياسي ، أو الحسن عليه السلام ليس هو ذلك الإمام السياسي .

فالحسن عليه السلام في طليعة الثوّار ، بل الرسول وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم هم الثوّار في الإسلام ، الإسلام في واقعه ما هو إلّا مجموعة خطوات ثورة . الإسلام يوم يظهر هو ثورة ، والقرآن في تدرّج نزلت آياته حسب مقتضيات الحاجة الزمنيّة ، ما هو إلّا سلسلة من الثورات التشريعيّة . فالإسلام هدم وبناء ، والحسين عليه السلام هو الوليد الذي ولد في هذا المحيط ، فكان في طليعة الثوّار الذين ثاروا على أعداء الإسلام حقّاً .

وثورة الحسين عليه السلام تمثّل ثورة الإسلام على أعدائه ، وهو رجل الإسلام وقائده .

وهنا نتساءل : هل كان الحسين الثائر ناجحاً سياسيّاً ، وهل كانت ثورته في الخطّ الإسلامي ؟ وهل كانت لصالح الإسلام والمسلمين ؟ وهل الإسلام تشريع سياسي ؟ وهل الإمام ومن قبله الدين قيادة سياسيّة ، وهو رجل سياسي في الحياة العامّة ؟ وهل الإسلام يدعو لسياسة الشعوب وتنظم المجتمعات بالعدالة المجرّدة عن الخدع والأكاذيب ؟

والجواب على ذلك : إنّ الحسين عليه السلام إمام تفاعل مع الأحداث السياسيّة في المحيط الإسلامي ، وهو نتاج ذلك التفاعل الثلاثي : الإمام + الأُمّة + أعداء الإسلام ، فكان الحسين نتاج ذلك التفاعل الفكري الإسلامي مع الفكر المعاكس ، ووقف الحسين عليه السلام ورام الوقوف لوحده مع ذلك التيّار المضادّ يوم اشتدّ هذا التفاعل ، فهو بحقّ مخاض لحركة فكريّة حرّكت الأُمّة ، فكان الحسين عليه السلام وليد تلك الحركة يوم كانت وبدأت واشتدّت ، وكان الحسين عليه السلام البداية وكان النهاية ، وهو لولب تلك الحركة ، وهو الذي أجّج نارها ، وهو الذي أمدّها بالشحنة ، وإن ساهم معه أحد فليس هو الفاعل المباشر ، وإنّما الحسين عليه السلام الفاعل الذي دفع الأُمّة إلى الميدان ،

ووقف هو في الميدان، وهنا عرفنا أنّ الحسين عليه السلام هو الإمام.

وقد يسأل أحد كيف عرفتم الحسين عليه السلام إماماً؟ وهل كان إماماً قبل يوم المعركة أو هو إمام أيّام جدّه وأبيه؟

والجواب: عرفنا الحسين عليه السلام سياسيّاً ثائراً داعياً الأمّة ومحامياً عنها بثورته وشهادته وموقفه، وهو خير دليل مقبول.

وإذا كان هناك نصّ ورد فهو دليل آخر[1]، وقبل هذا الدليل يتردّد هذا السؤال: هل أوصى الرسول ونصّ على إمامة الحسين عليه السلام وهو في ذلك السنّ.

نعم، وردت في ذلك روايات، ولكنّ الدليل الأكبر وهو الدليل السياسي أنّ الحسين عليه السلام ثار من أجل الأمّة لأنّه إمامها وقائدها والمسؤول عنها، ولأنّ الإمامة منصب سياسي اجتماعي لرعاية شؤون الأمّة ومن صالحها، وجوداً ومسيرةً.

فهو إمام للأمّة ولحركة الأمّة في مدارج الحياة، وتكييف وجودها السياسي.

والأمّة لا تستطيع القيام بذلك وحدها بغير إمام يرعاها، ويدفعها، وهو راعيها وهاديها، وهو الذى يسيّرها نحو الأفضل.

---

(١) ويقال: هل كانت إمامته عليه السلام بالنصّ عن جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام؟ قرأنا في ذلك روايات كثيرة، وفي ذلك إثبات لإمامته، وهو ابن خمس سنين إذا ثبتت تلك الروايات، وإذا ثبت أنّ الرسول صلى الله عليه وآله نصّ عليه كما نصّ على أبيه عليّ عليه السلام. يقول عليّ عليه السلام في خطبة له: «**وَإِنَّهُ لِيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا. يَنْحَدرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفقْتُ أَرْتئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبيرُ، وَيَشيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ!**

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرتُ وَفي العَيْنِ قَذىً. وَفي الحَلْقِ شَجاً، أَرى تُرَاثي نَهباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلانٍ بَعْدَهُ».

فالدليل على إمامة الحسين عليه السلام أنّه كان يشعر بأنّه إمام هذه الأُمّة ، فلم يعتزل المعترك السياسي ، أو لم يشارك مع الأمّة في أزمتها السياسيّة ، وما أحدق بها من زوابع ورياح ، وما أحاط بها من غيوم ومشاكل ، ولكنّ الحسين عليه السلام خاض ذلك المعترك ، ووقف وبرهن على صلته بالأُمّة ، وتحدّى خصوم جدّه وأبيه صلوات الله عليهما .

حديث عن الخارجين إلى حرب الحسين عليه السلام

النّاس نوعان:

الأوّل: خرج إلى كربلاء لحرب الحسين عليه السلام.

الثاني: أُخرج إلى كربلاء ليحارب الحسين عليه السلام.

وفرق بين الأوّل والثاني، أحدهما مختار، والثاني رجلٌ أُجبر إجباراً، ودفع دفعاً، بمغريات وتهديدات، وتحت ضغوط خاصّة وأشباح أخافته.

وخرج مكرهاً، ومَن أُكره على فعل محرّم هو عند الله معذور، معذور في التاريخ وعند الله، طبق ما روي عنه صلى الله عليه وآله، حيث قال: «وضع عن أُمّتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، وما استُكرهوا عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكّر في الخلق، والحسد مالم يظهر بلسان أو يد»[1].

والسؤال: هل ابن سعد أُخرج إخراجاً، وكذلك شبث بن ربعي الذي دفع دفعاً؟ كذلك القول إنّ ابن سعد أُخرج طمعاً وإغراءً لا لعداءٍ دفين بينه وبين الحسين عليه السلام، وكذلك حرملة أُخرج أملاً بزعامة عشائر، غيره بنفس الدافع، أو لغيره يشملهم الحكم المزبور.

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٧٠/١٥، باب جملة ممّا عفي عنه، الحديث ٢٠٧٧١/٣.

هل دوّن التاريخ حادثة كربلاء كما هي؟

مَن هو المؤرّخ الذي دوّن الحادثة كما وقعت ويوم حدثت ؟

وهل أباح الأُمويّون تدوين الحادثة أو التحدّث بها علناً ؟

كيف والحديث عن حادثة كربلاء معناه طعن السياسة ، وشتم الحكومة ، ولعن القاتل . نعم ، بدأت بشكل قصص سريّة . وكان نفر من الكوفيّين يقصّون هذ الحوادث ، وقد ينسى القاصُّ فصلاً ! ولكنّ السؤال : هل بقي شيخ كبير عمّر طويلاً وأدرك العصور المتأخّرة ليكون راوية كربلاء ؟ وهل بقي كوفي إلى زمن العباسيّين يقصّ حوادث كربلاء ؟ وهل أخذ عنه الآخرين وسمعوا منه ونقلوا عنه ؟ من نصدّق ؟ وهل نصدّق الشيخ الكبير الراوية الذي طال عمره ، أو نصدّق المؤرّخ الذي اعتمد على السماع ؟ !

قلوبهم معك !

وسيوفهم عليك !

كيف خلّفت الكوفة !

والحسين في الطريق يسرع نحو الكوفة ، ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام سارَ قاصِداً لِما دَعاهُ اللهُ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَهُ الْفَرَزْدَقُ الشّاعِرُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقالَ : يَابْنَ رَسُولِ اللهِ ، كَيْفَ تَرْكَنُ إلىأَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُمُ الَّذينَ قَتَلُوا ابْنَ عَمِّكَ مُسْلِمَ بْنَ عَقيلٍ وَشيعَتَهُ ؟

قالَ : فَاسْتَعْبَرَ الْحُسَيْنُ عليه السلام باكِياً ، ثُمَّ قالَ : « رَحِمَ اللهُ مُسْلِماً ، فَلَقَدْ صارَ إِلى رَوْحِ اللهِ وَرَيْحانِهِ وَجَنَّتِهِ وَرِضْوانِهِ ، أَما أَنَّهُ قَدْ قَضى ما عَلَيْهِ وَبَقِيَ ما عَلَيْنا » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَإِنْ تُكُنِ الدُّنيا تُعَدُّ نَفِيسَةً ... فَإِنَّ ثَوابَ اللهِ أَعْلا وَأَنْبَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَبدانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ ... فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ تكُنِ الْأَرْزاقُ قِسْماً مُقَدَّراً ... فَقِلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي السَّعْيِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها ... فَما بالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ

كان الحسين عليه السلام يروم السؤال عن طبيعة الموقف بالكوفة ، وكان السؤال موجّهاً عن الكوفة دون غيرها من المدن والقرى الأُخرى في العراق .

وكان الجواب ، خلّفت الكوفة قلوبهم معك ، وسيوفهم عليك . هذا ما حصل عليه من نتيجة .

هل يصدّق هذا ؟

وهو خبر واحد ؟

وهو خبر يحتمل الصدق والكذب ، وقد كان صادقاً .

وهو كذلك؛ لأنّ نهاية الأمر كانت كذلك . والكوفة كانت كذلك ، وهي كذلك منذ زمن عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، ولو كان السائل هو الإمام عليّ عليه السلام لكان الجواب هو الجواب . وليس الحسين عليه السلام وحده القلوب والسيوف عليه ، وكيف يكون ذلك . القلوب معك والسيوف مشهورة عليك ،كيف تهواك القلوب يا حسين عليه السلام ؟ وكيف تشهر السيوف عليك يا حسين ؟

القلوب معك . . تهواك القلوب . . إنّك في القلوب . . أنت حبيب النّاس .

وهل يقوم أحد على مثل هذا الفعل يقدم أحد على ضرب حبيب له بالسيف ويطعنه بالرمح ويرميه بالسهام ، وهو يحمل الولاء له ، وحبّه مطبوع في قلبه ؟ !

وكيف يكون الرجل عنده ولاء في باطنه ولا يترجم هذا الولاء الكامن المطبوع ، معناه يخالف باطنه ظاهره ، لا يترجم هذا الولاء في العمل ، هو يوالي الحسين عليه السلام ولكن لا يشهر السيف في وجه عدوّ الحسين عليه السلام ! وهذا معناه : إنّ القوم يعرفون الحسين عليه السلام معرفة واقعيّة ويحبّون الحسين عليه السلام ولكنّهم جبناء ضعاف نفوس ، ليس لهم موقف في الساحة ، ولا اتّحاد لهم في الصفّ .

وهل يقصد بهذا التصريح بأنّ المسؤول عنه كان مزدوج الشخصيّة ، ذو وجهين ، ذو جانبين ، ليس بالرجل الجبان ، ولا الرجل الهيّاب ، ولكنه أقرب للنفاق الظاهر ، وهو السلوك المعاشي والباطن ، وهو الجانب العقائدي ، هو عارف بأنّ الحسين عليه السلام إمام يجب أن يطاع ، وهو يعرف أنّ يزيد هو السلطان للدنيا ويجب أن يساير للدنيا والمعاش .

ولكن هناك معنى ثالث ، هو أنّ القوم بسطاء ، وصلت بهم السذاجة والبساطة أنّهم يحبّون الخير ويهوون الحقيقة ويثقون بالإمام قائداً للإسلام وداعياً لله تعالى ، القلوب بسيطة ، فيها ولاء مغروس ، غرس في قلوب آبائهم ، وورثوه ، وعرفوا الحسين وأباه من قبل ، فكانوا يحبونه ويقدّسونه ويعتقدون به ، هو لا مثيل له ، وهو بعد أبيه .

هكذا كان أهل الكوفة ، يحبّون الحسين عليه السلام ، ويتلهّفون للقائه ، ويعرفون عدوّه ، القوم يميّزون بين الحسين عليه السلام ويزيد ، ولكنّهم لا يملكون شجاعة قلبيّة ، هم يقدّسون الحسين عليه السلام ويثقون به ، ولكن ليس عندهم مواقف صادقة ، وليس عندهم تطبيق لوازم هذا الولاء ، وهو الدفاع عن الإمام وحمايته .

ولكن هنا نافذة :

إنّ القوم أهل معرفة وتمييز بين الحسين عليه السلام وغيره ، فهم يعرفون الحسين عليه السلام ، ولذلك راسلوه ، إذن الحسين عليه السلام خرج لحرب قوم كانوا يعرفونه ويعرفون أباه ، وهو الإمام الذي احتلّ القلوب ، وتمركز في قلوبهم ، ولمّا وصل ابن زياد وسمعوا به

ركضوا إليه خفافاً ، وتحوّل المجتمع الكوفي كلّه إلى جواسيس عملاء باعوا الشرف والسمعة ، وباعوا تاريخهم المشرّف ، تاريخ مشرّف في المعارك الإسلاميّة ، وما اكتفى هذا الشعب إلّا أن يسرع لحرب الحسين عليه السلام .

كانت ثورة الحسين عليه السلام ثورة هادئة في النفوس وتحوّلت إلى ثورة كبرى ، بدأ الحسين عليه السلام بثورة هادئة ثمّ تطوّرت وتحوّلت إلى ثورة السيف والرمح ، وثورة الميادين ، وتحوّل الحسين عليه السلام إلى كلمة ثائرة تحمل في طيّاتها وحروفها كلّ معاني الثورة والرجولة ، وكلّ مفاهيم البطولة .. بطولة الحقّ .

إنّ الحسين عليه السلام لم يكتب الآيات القرآنيّة أو يخطّها على صفحات لغرض قراءتها والترنّم بها بينه وبين نفسه أو بينه وبين ربّه ، أو يتلوها ليسمعها غيره ، وإنّما بدأ بخطّ آيات القتال في لسانه وطبّقها في سوح القتال ، فهو تطبيق ومحاولة لتطبيق العنف في حالات معيّنة ليفهم الآخرون أنّ الثورة هي من جوهر الإسلام ، وأنّ الإسلام يدعو للحرب في مقام الدفاع والعلاج .

وجاء الحسين عليه السلام يردّد آيات القتال ويحمل ثورة القرآن على لسانه ، وتحوّل الحسين عليه السلام كلمة تتردّد على لسان كلّ مسلم .

في الأمس وحتّى اليوم وفي الغد هو الحسين عليه السلام .

فكان الحسين حديث النّاس قبل قتله يوم كان في كلمة وأعلن معارضته ، ويوم بعث رسائله ووصلت كتبه إلى البصرة والكوفة يدعو فيها النّاس ، ويوم بعث رسله يدعون النّاس ويهيّئون الأُمّة للثورة ، والالتفاف حول الحسين عليه السلام جيشاً واحداً ، وأصبح الحسين عليه السلام الحديث الذي شغل النّاس وأخذ أوقاتهم ، وكثر السؤال عنه ، فالعراقي والحجازي والشامي لا يسأل إلّا عن الحسين عليه السلام ، ولا يتابع إلّا أخبار الحسين عليه السلام ، ولا يفكّر إلّا بالحسين عليه السلام ، ماذا فعل الحسين عليه السلام ؟ ، وماذا سيفعله الحسين عليه السلام ، أم سوف يتحوّل إلى بلد آخر ؟

هل يتوجّه إلى العراق ؟ ومتى يتوجّه ؟ وهل يبدأ القوم بالحرب ؟ وكم ترى ستكون هذه الحرب بين الحسين عليه السلام ويزيد ؟ وحتّى أعداء الحسين عليه السلام بدأوا يتابعون الحسين عليه السلام ويسألون عن الحسين عليه السلام سؤال حذر، سؤال متابعة واستعداد لمواجهته ؛ لأنّه يملك أضخم مركز اجتماعي ، إنّه الرجل الكبير العظيم الذي يشار إليه ، وبدأ خصوم الحسين عليه السلام يتابعون الحسين خطوة خطوة ، هنا وهناك ، ولم يكتف أعداء الحسين عليه السلام بذلك ، بل بثّوا رسلهم يحملون الأكاذيب ويحملون التخويف والتحذير بأنّ يزيد يهدم الدور ، ويقتل على الظنّة والتهمة ، وسوف يبعث جيشاً للبلد الذي يستقبل الحسين عليه السلام ويؤيّد ويستجيب لدعوته ، وإنّ جيشاً توجّه من الشام إليكم ، تفرّقوا عن الحسين ، فأخذوا يزرعون الرعب في القلوب وبثّوا العيون ، وملأوا البلدان من المراقبين والجواسيس وبأشكال مختلفة ، وصور شتّى ، وملأوا الأقطار بالذين يجمعون الأخبار عن تصرّفات الحسين عليه السلام وتحرّكاته وأعماله ، وماذا حصل له من النتائج ، فرجع هؤلاء إلى يزيد يحملون له الأخبار عن مكّة والمدينة وعن البصرة والكوفة ، واهتمّ يزيد بتلك الأخبار ، وانتشروا في البلاد الواسعة ليدوّنوا أخبار الحسين عليه السلام ويسجّلوا كلمات الحسين عليه السلام .

ورجعوا ليزوّدوا يزيد بأخبار الأُمّة وموقفها من تحرّكات الحسين عليه السلام ؛ ليعلم يزيد بما يدور بين النّاس ، العامّة والخاصّة ، وما يدور حول الحسين عليه السلام ، وما هي ردود الفعل ؟

ومَن هو الذي يردّد كلمة الحسين عليه السلام ويستجيب له عاطفياً ؟ ومَن هو الذي تظاهر له بالولاء ؟ وما وصل إليه الحسين عليه السلام من إجراءات وتصرّفات ؟ وما هو أثر خطبه التي خطبها في مكّة ؟ وما هو أثر رسائله في الكوفة والبصرة ؟

ورجع رسول يزيد من المدينة ومن مكّة ومن الكوفة والبصرة وهم يحملون أشكالاً وصوراً وأنباءً ، وسجّلوا ليزيد مذكّرات مختلفة ، وكثر السؤال في تلك

السجلات أسماء مخالفيه ، أفكار الحسين عليه السلام ، أعداء الحسين عليه السلام ، ومَن في قلبه ولاء ليزيد ، وعداء ليزيد ، ومن تلك المذكّرات انطلق يزيد وتصرّف يزيد تصرّفات حادّة وسريعة ، وبعث رسائله إلى الكوفة والمدينة ، وفي تلك الرسائل خطط انتقاميّة ، يريد من ولاته أن يحيطوا بالحسين عليه السلام من كلّ حدب وصوب .

وطلب من أعدائه أن يكونوا كتلة واحدة ، ويأخذوا بالحذر واليقظة والوعي ، فإنّ الحسين عليه السلام أقبل عليهم .

بداية الانطلاقة الثوريّة

وكان الحسين عليه‌السلام على علم بما يريده يزيد منه ، أتدري ما يريده يزيد من الحسين عليه‌السلام ؟ !

يريد من الحسين أن يقف موقف المطيع المعترف ويبايع له جهراً ، ويعلم النّاس باعتراف الحسين عليه‌السلام بيزيد .

وفعلاً صرّح الحسين عليه‌السلام بذلك؛ لمّا دعاه الوليد للبيعة ، قال عليه‌السلام : « إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً ، حتّى أُبايعه جهراً ، فيعرف ذلك النّاس » .

فقال له الوليد : أجل .

فقال الحسين عليه‌السلام : « فتصبح ونرى رأينا في ذلك » .

فقال له الوليد : انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة النّاس .

فقال له مروان : والله ، لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتل بينكم وبينه ، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع ، أو تضرب عنقه .

فوثب عند ذلك الحسين عليه‌السلام وقال : « أنت يابن الزرقاء تقتلني ؟ كذبت وأثمت » ، وخرج [1] .

---

(١) روضة الواعظين ـ النيسابوري : ١٧١ ، ط : النجف الأشرف .

وهذه الحكاية هي البداية وهي تمثّل الخطوة الأُولى من الانطلاقة الثوريّة التي بدأ بها الحسين عليه السلام ثورته، ولو بايع الحسين عليه السلام يزيد سرّاً ـ على الفرض[١] ـ أو خوفاً، أو تقيّةً[٢]، فإنّ يزيد لا يحقّق غرضاً لنفسه، ولا يحقّق القرار والاستقرار السياسي للعرش الأُموي المتأرجح المضطرب المتحرّك، الذي لم يأخذ المكان الثابت بعد.

ولو بايع الحسين عليه السلام سرّاً ليزيد وجاء يزيد وادّعى للنّاس ـ فرضاً ـ أو أشاع ذلك بوسائل الإعلام بيعته له، واعترافه به خليفة، وأعلن الولاء للعرش الأُموي، ومثل هذه الدعوى من يزيد قد لا يصدّق بها الآخرون.

وحتّى لو أقدم الحسين عليه السلام وفَعل فإنّ مثل هذه البيعة لا يستفيد منها العرش الأُموي أي فائدة.

ويزيد يروم ويسعى لاستخلاص البيعة علناً وجهراً، وبعدها يُعلم بها الآخرين هنا وهناك، ووراء بيعة الحسين عليه السلام علناً مآرب شتّى ومكاسب ليزيد، وعقد عليها الآمال.

وبيعة الحسين عليه السلام بالخفاء ليس فيها أي مكسب ليزيد، وهو لا يحقّق له أي هدف غير حاصل قطعاً، وهو يحاول إخضاع الحسين عليه السلام إلى البيعة علناً، وهو يعلم أنّ أتباع الحسين عليه السلام لا يؤمنون به خليفةً شرعيّاً، وهو يطمع أن الأُمّة تصفق على يده معترفة له بالبيعة والخلافة الشرعيّة.

وكلّ ذلك ليحقّق إذا بايع الحسين عليه السلام ويزيد يعلم بالحسين عليه السلام بأنّه لا يبايع له سرّاً ولا علناً.

---

(١) وهي الفرضيّة الأُولى.

(٢) وإذا صحّ أنّ الإمام عليّاً عليه السلام سار مع القوم وعاملهم بالتقيّة وصلّى خلفهم، أو بايعهم تقيّة ثمّ يأتي الحسين عليه السلام بعد ليسير على نهج أبيه.

فأبى الحسين عليه‌السلام في أوّل لحظة ، وأوّل يوم ، وأعلن امتناعه ورفضه ومعارضته ، ووقف موقفاً حاسماً ونهائيّاً .

وكان الرجل الصريح ، فأدخل الرعب في قلب يزيد ، وهزّ العرش ، وخشي يزيد تفاقم الأمر عليه ، وخاف من الحسين عليه‌السلام وهو في قصره ، رغم المسافات البعيدة بينه وبين الحسين عليه‌السلام ، فاضطرب يزيد خيفةً من الحسين عليه‌السلام وهو على عرشه ، وكأنّ الحسين عليه‌السلام اقترب منه يهدّده بالسقوط .

الحسين عليه السلام مدرسة فكريّة

ورد على لسان أكثر من واحد من شعراء الرثاء، فهذا الشاعر العلوي السيّد حيدر الحلّي:

فاملأي العين يا أُميّة نوماً ... فحسين على الصعيد صريع

وقال الشاعر ابن نما الحلّي:

يا أُمَّةً نَقَضَتْ عُهُودَ نَبِيّها ... وَغَدَتْ مُقَهْقَرَةً عَلى الأَعْقابِ

كُنْتُمْ صِحاباً للرَّسُولِ وَإِنّما ... بِفِعالِكُمْ بِنْتُمْ عَنِ الأَصْحابِ

وَنَبَذْتُمْ حُكْمَ الْكِتابِ جَهالَةً ... وَدَخَلْتُمْ في جُمْلَةِ الأَحْزابِ

بُؤْتُمْ بِقَتْلِ السِّبْطِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ ... دَمَهُ بِكُلِّ مُنافِقٍ كَذّابِ

فَكَما تدِينُوا قَدْ تُدانُوا مِثْلَهُ ... في يَوْمِ مَجْمَعِ مَحْشَرٍ وَحِسابِ[1]

وقال ابن أبي الحديد مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

فليت تراباً حال دونك لم يُحلْ ... وساتر وجه منك ليس بساترِ

لتنظر ما لاقى الحسين وما جنت ... عليه العدى من مفظعات الجرائرِ

مِن ابن زيادٍ وابن هندٍ ونغل سعد ... وأبناء الإماء العواهرِ

---

(١) مثير الأحزان: ١٢.

رمـــوه بـــيحمومٍ أديـم غـطامطٍ — تـعيد الحـصى رفـغاً بوقع الحـوافـر
لُـــهام فـلا قـرعُ النـجوم بـمسبل — عـــليه ولا وجـه الصـباح بسـافرِ
فـــيالك مـــقتولاً تـهدّمت العـلى — وثـــلّت بـــه أركـــان عـرش المـفاخرِ
ويـا حسـرتا إذ لم أكـن فـي أوائـل — من النّاس يُتلى فضلهم فـي الأواخـرِ
فـأنصرُ قـوماً إن يكـن فـات نـصرهم — لدى الروع خطّاري فما فات خاطري
عـجبت لأطـواد الأخـاشب لم تـمِد — ولا أصبحت غـوراً مـياه الكـوافـر[(١)]

لم ينفرد به هذا الشاعر وحده. إنّه معنى رفيع حقّاً، فإنّ الحسين عليه السلام قضّ مضاجع خصومه، وحرم يزيد وأتباعه في دمشق من لذّة الكرى.

فإنّ الحسين عليه السلام ومنذ بدأ بالتحرّك لإعلان ثورته الفكريّة وحتّى مسيرته ونزوله كربلاء لم ينم يزيد ويغمض له جفن، أو يضع رأسه على وسادة، كان مضطرباً خائفاً وجلاً، لا يعلم ماذا سيلحقه من الحسين عليه السلام، وبدأ يزيد يطيل التفكير ويكثر من المشورة، ويعقد الاجتماعات، وكلّ من حاشيته يبدي له برأي، وكان على رأس تلك الحاشية مشاوره الخاصّ سرجون.

ولا يعلم يزيد بماذا سيواجه الحسين عليه السلام؟ وماذا سيثني الحسين عليه السلام ليتراجع وليسكن الحسين عليه السلام ويسكت، ولا يتعرّض للعرش الأُموي المضطرب، الذي وضع فوق أمواج ثائرة في النفوس المؤمنة التي يحسّ بكرامتها وعزّتها التي وهبها الإسلام وغرسها في نفوسها بالإيمان، والحسين واحد من عشرات المؤمنين الثائرين في البلاد الإسلاميّة، ورجل واحد من رجال الإسلام، ورجال المسلمين.

وبقي يزيد يعيش آلامه من الحسين عليه السلام، فالحسين عليه السلام هو بطل الموقف ولا يعلم يزيد ماذا سيفعله الحسين عليه السلام إذا هو قارب الكوفة، وفي الكوفة شيعة للحسين عليه السلام، وإذا هو استوطن الكوفة، هل سوف يشنّها حرباً طويلة المدى مع يزيد؟!

---

(١) العلويات السبع: ١٢٠.

والحسين عليه السلام ابن أبيه، وكان في طليعة رجال الفكر الثائرين، حرباً على العرش الأُموي.

ولكنّ الحسين عليه السلام أشدّهم وأكثرهم شهرة وحماساً، لا لأنّه الحسين عليه السلام، بل لأنّه أكثر مضيّاً وشدّة وعنفاً وصراحة وأفكاراً، وأفكار الحسين عليه السلام الثورية تتلخّص بما يلي:

لأنّه ينطلق من زاوية القرآن، وهي مشروعيّة الغضب والحرب على كلّ منكر وباطل، وكلّ فساد يحاول هدم القيم الأخلاقيّة في الأمّة، وعبارة ﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1] لام الأمر تدلّ على جعل صيغة الفعل المضارع المجزوم، يدلّ على الأمر، والأمر يدلّ على الوجوب، فكان الحسين عليه السلام في طليعة الأُمّة الثائرة التي كانت دائماً تتصدّى لكلّ من يريد لها الهوان ويريد لها الذلّة، وحاربت كلّ ظالم وكلّ فاسد من قبل الحسين عليه السلام.

وجاء الحسين خلاصة الأُمّة المؤمنة الثائرة من قبل ولسانها الثائر الذي لم تلو عزمه كلّ العقبات والأشواك.

فكان الحسين عليه السلام ولا يزال مدرسة فكريّة، ومنهلاً للثائرين، وهو مدرسة سياسيّة مستقلّة، وتلك المدرسة لها جذورها الأصيلة، ولها طابعها الخاصّ، مدرسة الحسين عليه السلام، فقد كرّس الإمام الحسين عليه السلام مبادئه وواقعه وحياته من أجل الحقّ، يهتف ويناضل ويدعو للحقّ، وهو يحمل الحق في فكره؛ لأنّه اطّلع على الحقّ وعرف أنّه الحقيقة، كما رأى النور وميّز بين النور والظلام.

وهذا ما يذهب إليه الحسين عليه السلام في دعوته أنّ الإنسان الذي يدعو للحقيقة ولو كان قليل الأنصار، ولو كان قليل العُدّة والعدد عليه أن يجهر بحربه ويحارب القوّة

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

الباطلة، ولو كان الباطل كثير العدد والعدّة؛ فإنّ السكوت خلاف الإيمان.

هذا هو رأي الحسين عليه السلام الثوري، فهو الذي قابل الكثرة بالقلّة، واستجاب له القليلون، وحاربه الكثيرون، ولم يتراجع.

ماذا نقول في رجل حارب دولة بآله الفتيان الصغار، حارب دولة قويّة بسبعين رجلاً؟ وهذا ما فخر به أحد شعراء العلويّين(١):

جاؤا بسبعين جيشاً سل بقيّتهم — هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا؟

هل كان غير الحسين عليه السلام يقدم على ذلك؟ وهذه فلسفة حسينيّة ينفرد بها عن غيره، وليس أحد عرفته الميادين غير الحسين عليه السلام وليس أحد قبله وليس بعده، وإن دلّ ذلك فإنّه يدلّ على نفسه الكبيرة وهمّته العالية، وهذا يدلّ ويكشف عن سموّه وعلوّ شأنه، وأنّه رجل تضحية وفداء صادق في سبيل الحقّ.

ويدلّ على أنّه رجل تعصّب للحقّ، ويدلّ على تصلّبه وثباته في سبيل الحقّ؛ لأنّه مع الحقّ، وهو كذلك..

ومن هنا تكمن عظمة الحسين عليه السلام، ومن هنا يكبر الحسين عليه السلام في نفوس المؤمنين الثائرين، ولو سكت الحسين عليه السلام لكان ليس بإمام، ولا يصلح للإمامة، ولو سكت محمّد صلى الله عليه وآله وتراجع لكان ليس بنبيّ ولا يصلح للنبوّة(٢).

ولكنّ الحسين عليه السلام أخذ نهج جدّه، فراح يسلك طريق التبليغ.

وهنا تتجلّى عظمة الحسين عليه السلام في نفوس الأحرار، ومَن كان على حقّ، ويدعو للحقّ..

---

(١) السيّد رضا الهندي.

(٢) وهنا يصرّح القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧، وهو الرسول الذي بُعث مبلّغاً للأمّة ومرشداً لها.

وهنا برز أنصار الحسين عليه السلام وأتباعه والسالكون طريق الحسين عليه السلام ـ وطريق الحسين عليه السلام هو الطريق الشائك المخيف ـ ونهجوا نهجه ، فأكبروه وعرفوه واعتبروه رجلاً دعا للحقّ وبذل في سبيل الحقّ كلّ غالٍ ورخيص ، حتّى الطفل الرضيع العطشان ولم يتراجع ، ما أعظم الحسين عليه السلام رجل الثبات !

ونعود ونقول : الحسين عليه السلام بخطواته الثوريّة لم يأتِ بشيء جديد في الميدان السياسي ؛ لكي ينفرد به الحسين عليه السلام ، فالقرآن هو الذي غرس هذا التفكير الثوري ، وهو الذي ربّى الإنسان المسلم على الثوريّة في سبيل الحقّ . وأن يكون شديداً في موضع الشدّة وفي مقام الشدّة ، لا يتوانى ، ولا يتراجع ، ولا يذلّ ولا يستكين ولا يذوب ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

بهذه الروح نهض الحسين عليه السلام ، ونهض أبوه عليه السلام وجدّه صلى الله عليه وآله ثائرين .

هذه هي الثورة التي فجّرها الحسين عليه السلام .

وهذا هو جدّه صلى الله عليه وآله وأبوه عليه السلام من قبل ، فقد قيل عن عليّ عليه السلام : إنّه الرجل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

قيل : هذه الآية نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين وهم أصحاب الجمل ، والقاسطين وهم أصحاب معاوية ، والمارقين وهم الخوارج ، روى ذلك عمّار وحذيفة وابن عباس ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام(٢) .

---

(١) المائدة : ٥٤.

(٢) الدرّ المنثور ٢ : ٢٧٩ .

وذكر السيّد الطباطبائي في الميزان مؤيّدات لهذا القول .

ولا تؤثّر فيه كلمات الآخرين ما دام يطلب رضى الله عزّ وجلّ ، وقد تحقّق ذلك لهم عليهم السلام .

ومن أجل ذلك عمل آل محمّد وكسبوا رضى الله عزّ وجلّ ، وقد تحقّق لهم ذلك ، وحقّاً تحقّق لهم واكتشفوا رضى الله ، وهذه درجة عليا لا يصل إليها إلّا من كان في درجة المعرفة ، والحسين عليه السلام رجل الحقّ ، والذي قُتل في سبيل الحقّ ، وعلّم الآخرين أن يسلكوا طريق الحقّ .

ولكنّ الحسين عليه السلام رجل الحقّ ، ويزيد رجل باطل ، أصحيح كان الحسين عليه السلام على حقّ وكان يزيد على الباطل ؟ هذه سيرة الرجلين ، وهذه صفحات التاريخ ، وهذا هو الحسين عليه السلام ، وهذا هو يزيد . ولكنّ المهم والذي نستغرب منه ويتعجّب منه الآخرون ، كيف التحق بالحسين عليه السلام القليل وذهب الكثيرون مع يزيد ، هذا هو شأن الأكثريّة والقلّة في كلّ عصر .

وهنا يظهر دور الحسين عليه السلام في الميدان السياسي ، ويضرب مثلاً للمناضلين ، إنّه يبرز رغم قلّة جنده فلم يهن ولا يتراجع ، ولم يخضع . ومن هنا يفترق الحسين عليه السلام عن غيره ، إنّه معه جند قليل ، وأعداؤه كثيرون وكثيرون ، ولكنّ المحور للحركة هو الحسين عليه السلام ، وهو الفاصل والفيصل ، وهو الحسين عليه السلام وهو اختبر النفوس بالمختبر الخاصّ ، والذي حلّل النفوس ونظر إليها بمنظار الدين ، وعرف من يحمل الدين في نفسه ، ومَن هو الملتزم به ، والذي يملك روحاً صادقة في مدعاه .

« أمّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَصْلَحَ مِنكُمْ ، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَفْضَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي ، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَمِيعاً خَيْراً ، ... ».

والقياس عند الحسين عليه السلام هو الالتزام بصدق وثبات ، لا كلّ مَن ادّعى الحبّ والولاء والتشيّع والإيمان به ، وإنّما المقياس هو أن يفرّق بين الحقّ والباطل .

وهنا برز الحسين عليه السلام ، إنّه رجل حلّل الأمّة وانتقى منها الخلاصة الصادقة ، وهم حملة المبادئ وأصحاب الثبات رجال القتال ، وفرّق بينهم وبين الآخرين ـ الكثرة ـ وهم أصحاب الدنيا ، والذين يلهثون من أجل حطام الدنيا ، الحطام الزائل ، ومن أجل عقيدة حقّة ، فالحسين عليه السلام وقف بين القلّة والكثرة ، وأنصار الحقّ هم القلّة .

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١) .

ولكنّ طريق الحقّ لا وحشة فيه ولا غربة ، فلا تستوحش طريق الحقّ وإن قلّ أهله ، وضعف أنصاره .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ ؛ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً** »(٢) .

فالحقّ هو الحقّ ، والحقيقة هي الحقيقة ، والنور لا يطفئه الظلام مهما استفحل وتراكم ، ولا يزال الحسين عليه السلام نور الطريق .

ونرجع للأُمّة التي برز فيها الحسين ثائراً ، وبرز فيها يزيد حرباً للحسين عليه السلام ، هل كانت تميّز بين الحسين عليه السلام ويزيد ؟ هل أدركت الحسين عليه السلام إمام حقّ ، وإليه يدعو ؟

يزيد خليفة باطل وبالخلافة يدّعي(٣) ، ولكنّ الأُمّة التي رضيت بيزيد خليفة ، وجنّدت نفسها في سبيله ، أُمّة لم تفرّق بين الحسين عليه السلام وهو الحقّ ، وبين يزيد

---

(١) البقرة : ٢٤٩ .

(٢) نهج البلاغة : من جواب له عليه السلام على كتاب أخيه عقيل في جيش أنفذه إلى بعض أعدائه .

(٣) الأُمّة تمرّ بمراحل ثلاث : مرحلة الإدراك وبعدها مرحلة التمييز ، وبعدها مرحلة المعرفة ، وبعدها مرحلة الأخذ والالتزام إذا هي عرفت وفرّقت بين هذا وذاك ، ولكنّها لم تصل إلى هذه المرحلة .

وهو الباطل.

وهي التي ردّدت كلمة خاطئة: «ما لنا والدخول بين السلاطين».

وإنّ الأُمّة التي ثار الحسين عليه السلام فيها ودعاها، وخذلت حسيناً، وتكاثرت وانهالت وانثالت حول يزيد، أُمّة ليست بذات ثمن فكري. أُمّة لم تصل إلى مرحلة الإدراك والتمييز، ولو ميّزت لكانت مع الحسين عليه السلام، وهذا شأن الأُمّة الجامدة[١]، وتركت حسيناً مشتبكاً للسهام، وهدفاً للرماح.

أنا أقول: إنّ الحسين عليه السلام لم يقتله يزيد فحسب، وإنّما قتله مَن خذله، وعاون يزيد، وأعان يزيد وساعده، فاستحقّق اللعن الدائم، إنّها سمعت فرضيت به، وسكتت فشاركت فاستعان بها يزيد.

أنا أقول: إنّ الحسين قُتل، ومسألة قتل الحسين عليه السلام مسألة مفروغ منها، لكنّ السؤال: مَن هو قاتل الحسين عليه السلام؟

ومسألة أنّ الحسين عليه السلام خرج مظلوماً مسألة مفروغ منها، لكنّ السؤال: مَن هو الظالم؟

هو يزيد ومَن شاركه في ظلمه.

ومسألة أنّ الحسين عليه السلام خرج وهو عطشان مفروغ منها، ولكنّ السؤال: مَن حال بينه وبين ماء الفرات[٢]؟ مَن هو؟ هل هو يزيد أو أعوان يزيد؟

---

(١) أمّا اليوم فهي لم تستطع التمييز بين عدوّها وصديقها، ولم تفهم واقعها، وأنّها أُمّة وتأخذ بطريق دعاتها وقادتها.

(٢) لقد جاء في زيارة العبّاس بن عليّ عليهما السلام عن الشيخ جعفر بن قولويه القمّي بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الْفُراتِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَأَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ...**» ـ مفاتيح الجنان.

الإيمان بالقضيّة واستجابة الطبقة الواعية من الأُمّة

وقبل الخوض في هذا الموضوع نذكر مقالة شقيقة الحسين عليه السلام زينب عليها السلام الطاهرة، شقيقة الإمام الثائر، وشريكة الحسين عليه السلام المجاهدة، قرأت هذه المقالة وهذا الاستفسار والحوار الذي جرى بين الحسين وأُخته عليهما السلام.

وإن شئت فاستمع: «أخي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ إنّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة وعند اصطكاك الأسنّة؟».

هذا ما جرى؟

ولكن أنا أُحاول طرح السؤال بصياغة جديدة، وأُوجّه السؤال للإمام الحسين عليه السلام وأقول:

سيّدي يا أبا عبدالله، هل استعلمت من هذه الأُمّة واقعها، وصدق أقوالها معك؟ وهل أدركت وجدانها وانكشف لك واقع هذه الأُمّة وأنّها تحمل تفكيرك وتعيش أفكارك وتحمل أهدافك التي تجاهد من أجلها؟

فما هو جواب الحسين عليه السلام؟ هل هو الوثوق أو عدم ذلك؟ ورغم ذلك هو قادم، ولو بقي وحده في الساحة، وهذا ما يقف عنده الفكر المفتوح الواعي أمام الحسين عليه السلام هل أدرك هذا الإمام وهجس وعلم بأنّ الأُمّة سوف تلبّي صوته إن هو استجاب لها، إن هو دعاها، إن هو صوّت وهتف بها؟

ونعود للأُمّة ونقف عندها: كيف استجابت ليزيد ؟ وهنا تنفتح نافذة واسعة لندخل إلى الساحة الجديدة لنرى موقف الأُمّة بجانب يزيد أكثر من استجابتها لصوت إمام الحقّ ، فهل كان يزيد أكثر رصيداً في قلوب الأُمّة ، ويملك مركزاً اجتماعيّاً أو كان يزيد أقرب للأُمّة ، أو هو أرجح كفّةً من الحسين عليه‌السلام في حسن سمعته وصدق هدفه ، وأنّ الأُمّة عرفت الحسين عليه‌السلام وعرفت يزيد وأدركت القوّة والضعف ، فكان واقعيّاً في تصرّفاته ، وحقيقيّاً في مذاهبه السياسيّة ؟ وهل كان ذلك نجاحاً ليزيد ، أو كان ذلك إغراءً ، وكان الحسين هو رجل الحقيقة أو الواقع .

أو يقال : إنّ يزيد عرف الباب فدخل فيه ، وعرف كيف يدعو الأُمّة ، وعرف واقعها فناداها بلغة فاستجابت له ، وإنّه كان على علم ومعرفة بالأُمّة ومتطلّباتها الآنيّة ، فانهالت إليه وهي تلبّي صوته ودعوته ، وخرجت الجمع تحمل السيوف والرماح ، مشاة وفرسان ، يحملون السلاح خفافاً وزحفوا لحرب الحسين عليه‌السلام ؟ !

وهنا يقف الحسين عليه‌السلام فريداً ويستشعر الوحدة والغربة أمام الجموع ، ويهتف بهم ، فكان القوم لا يسمعون ولا يبصرون .

أَتَــرْجُو أُمَّــةٌ قَــتَلَتْ حُسَــيْناً شَــفاعَةَ جَـدِّهِ يَوْمَ الْحِسابِ

قتل الحسين عليه السلام وسبي النساء

لقد خطبت زينب عليها السلام في مجلس يزيد فقالت:

« أَظَنَنْتَ يا يَزِيدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطَارَ الأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ فَأَصْبَحْنا نُساقُ كَما تُساقُ الأُسارى أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً ؟! وَأَنَّ ذلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ!! فَشَمِخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ في عَطْفِكَ، جَذْلانَ مَسْرُوراً، حِيثُ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْثِقَةً، وَالأُمُورَ مُتَّسِقَةً، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلاً، أَنَسِيتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ﴾[1] ...».

ما هو موقف العراقيّين من ذلك ؟ وكيف تمكّن يزيد أن يقدم على ذلك ؟ ألم يخش أن ينكر عليه فعله هذا ؟! وكيف تمكّن يزيد من سبي النساء والعراقيّون يوالون عليّاً والحسين عليهما السلام، أما كان يخشى أحداً منهم ؟! وهنا حديث..

مراحل وخطوات فعليّة جرت بعدها بشّر ابن زياد بقتل الحسين عليه السلام، حيث بعث ابن زياد بالبشارة السارّة للشام ليزيد، ولمّا وصل المبشّر للشام وأخبر يزيد بذلك

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

غرق يزيد في أفكاره، وأكثر التأمّل، وسئل عن ذلك فلم يملك جواباً، وبقي يزيد قلقاً ينتظر!

إنّ شيئاً آخر سوف يحدث ينفجر ويُطيح بالعرش الأُموي، حيث إنّ الكوفة مجمع لشيعة عليّ عليه السلام لم يهدأ يزيد، وعاش الاضطراب النفسي والفكري!

وكان يحتمل، بل كان يقطع أنّ القبائل العراقيّة، بل جميع القبائل، أنّها تحمل الولاء لعليّ والحسين عليهما السلام، وأنّها سوف تزحف عليه وتهبّ عليه ثائرة تطلب بثأر الحسين عليه السلام ومَن قُتل معه؛ لأنّ العراقيّين هم الذين راسلوا الحسين عليه السلام وكاتبوه، وكان يأملون قدومه إليهم.

وبقي ينتظر، ولا يدري ماذا يصنع، وكاد يقطع بأنّ ابن زياد سوف لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فبعث يزيد عيوناً يستقصون أخبار المجتمع العراقي، ماذا يحملون من أفكار عن يزيد، فجاء المبعوثون، ووصلوا للعراق وما رأوا شيئاً، إلّا أنّهم رأوا النّاس تأسف وتبكي وتنوح وقد نصبت المآتم على الحسين عليه السلام، ولبسوا السواد، فرجعوا للشام يحملون هذه الأخبار بعد الاستطلاع، فسألهم يزيد قائلاً: كيف وجدتم النّاس؟ ماذا يقولون فينا؟ فقالوا: ما رأينا إلّا بكاءً ودموعاً وحسرات.

فقال يزيد: لا شيء نخاف منه، لو كان لبان!

انتهى كلّ شيء.

فعندها بعث لابن زياد أن ابعث النساء سبايا، جهراً وعلناً، فعندها ساق النساء بشكل يشبه سوق الدواب، تشبه صورة سوق السبايا من الروم والديلم!!

عند ذلك اطمأن يزيد وهدأت نفسه، عرف النّاس تحوّلوا إلى موتى، وحديثهم يجبّن بعضهم بعضاً، يزهّد هذا ذاك، ويأمن الاعتزال وعدم الدخول بالحوادث.

وقد تمثّل يزيد بأبيات ابن الزِّبَعرىٰ:

لَـيْتَ أَشْـياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ

فَـأَهَلُّوا وَاسْـتَهَلُّوا فَـرَحاً ... ثُـمَّ قـالُوا: يا يَـزِيدُ لَا تُشَلْ

قَدْ قَتَلْنَا الْـقَرْمَ مِـنْ ساداتِـهِمْ ... وَعَـدَلْناهُ بِـبَدْرٍ فَـاعْتَدَلْ

لَـعِبَتْ هـاشِمُ بِـالْمُلْكِ فَـلَا ... خَـبَرٌ جـاءَ وَلَا وَحْـيٌ نَـزَلْ

لَسْتُ مِنْ خِـنْدِفَ إِنْ لَـمْ أَنْـتَقِمْ ... مِـنْ بَـنِي أَحْـمَدَ ما كـانَ فَـعَلْ

أما ترى أنّ يزيد قتل الحسين عليه السلام وسبى النساء، ولا شيء أعظم من ذلك. والذي يحزّ في القلوب أنّ قسماً من أهل العراق ـ ومن أهل الكوفة ـ شدّوا الرحال، جاءوا يعلنون الولاء ليزيد، ويثبّتون حكمه، وينكر البعض منهم أنّه راسل الحسين عليه السلام وطلب منه القدوم!! بل يهنّئون يزيد بالنصر، وأنّه قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام وأنّ الله نصره!

ورجعوا للكوفة ولم يحصلوا على شيء من حطام الدنيا، سوى آمال ومواعيد! رجعوا للكوفة وهي بلد التشيّع، وكما يقول التاريخ، وكلّهم سكت ولا يتكلّم ويعلمون أنّ شمراً هو قاتل الحسين عليه السلام وأنّ حرملة هو المشارك، وأنّ ابن سنان وابن سعد وغيرهم يسرحون ويمرحون، يأكلون ويشربون، ويتجوّلون في أسواق الكوفة صباحاً ومساءً، وكأنّ كلّ شيء لم يقع ولم يصدر عنهم.

هؤلاء رجعوا للكوفة يتبجّحون بالقتل، وهم يسمعون ويرونهم يفخرون أنّهم مشاركون في قتال كربلاء! أوَتدري كان الرجل منهم يرفع رأسه، ويحرك جميع عضلاته ويقول: أنا قتلت السيّد الطُّهر حسيناً، والآخر يقول: أنا فعلت كذا، وهذا يقول: أنا قاتل حبيب بن مظاهر. يفخر أنّه قتل زعيم بني أسد، وفي الكوفة بنو أسد، وهذا يقول: أنا قاتل العبّاس، يفخر في مجالس الكوفة، أنّه قتل أو ضرب أو صوّب بطلاً عظيماً كانت تهابه الأبطال.

حتّى حرمله النذل كان يفخر أنّه قتل طفلاً على صدر أبيه ، وكان عطشاناً ، وأبوه جاء يكشف حاله يطلب منهم سقايته ! هذه هي الكوفة .

تسمع فخر الأنذال بالجريمة ، وليس فيهم أحد يعود عليهم بسيفه أو بسكين ليبقر بطنه ، فإذا كان هذا الشعب فكيف لا يقدم يزيد على قتل الحسين عليه السلام ويسوق النساء سبايا ؟!

الإسلام بين الحسين عليه‌السلام ويزيد

وهبّ الحسين داعياً محامياً ومجاهداً عن الإسلام ، ووقف يزيد يحمل نفس الشعار ويردّد نفس اللغة ، وظلّ ملتزماً بالسلطة والمنصب على أنّه ولي الأمر الشرعي الذي يُطاع ، وهو يحمل الإسلام ، وأبوه وآله هم حملة الإسلام . إذن الإسلام أصبح بين الحسين عليه‌السلام ويزيد ، والتأريخ يعيد نفسه فبالأمس كان الإسلام بين عليّ عليه‌السلام ومعاوية . .

والإسلام الذي يراه يزيد ويحمله ويدّعي به ويدعو له يختلف كثيراً في جوهره وشكله ومفاهيمه عن الإسلام الذي يدعو ويناضل ويجاهد من أجله الحسين عليه‌السلام . صحيح أنّ يزيد قد احتفّ حوله الصحابة يستمع منهم ويأخذ بهم ، وصحيح أنّ يزيد يأمر المؤذّن ليقطع خطبة السجّاد بحجّة أنّ الصلاة أهمّ وأداء الصلاة في أوّل وقتها له فضيلة ، صحيح كان يزيد يحفظ ويستشهد بالقرآن ، صحيح أنّ يزيد كان يدعو لوحدة الصفّ ويريد وحدة المسلمين ، وأنّه إمام وخليفة من بعد أبيه ، وصحيح أنّ يزيد قرّب رجال الدين واحترمهم في الكوفة والشام ، وأخذ برأيهم ، حتّى أمر ولاته بذلك .

ابن زياد بعث على شريح وأجلسه جنبه ، الإسلام عند يزيد ، والإسلام عند معاوية ، وعند بني اُميّة كافّة .

الإسلام عند يزيد ومعاوية معناه السلطة، ومعناه البذخ والشرف وجمع الأموال، ومعناه مدح الغني والأغنياء، ونفس هذه الفكرة نجدها عند أعداء الإسلام، يريدون إغراء الشعوب الإسلاميّة المتخلّفة في السياسة، وفي فهم الدين على واقعه.

أتدري أنّ بعض الحكّام وبعض المبشّرين يتحدّثون عن الإسلام، ويمدحون الإسلام وهم أعداء الإسلام، ويمصّون دماء الشعوب الضعيفة، هؤلاء الحكّام يردّدون بعض الآيات القرآنية أمام الجمهور، دائماً ما يردّدون هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[(١)] نطيعكم إذا كنتم منّا، نطيعهم إذا كانوا منّا، إذا كانوا من المسلمين، إذا كانوا يسيرون مع الخطّ الإسلامي الواقعي، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[(٢)].

هؤلاء نطيعهم إذا كانوا في قلوب الأمّة، والأعجب من ذلك أنّ دويلة الكيان الصهيوني (إسرائيل) طبعت القرآن ووزّعته، وبعض الإذاعات تفتتح برامجها بالقرآن، وبعض الساسة يتحدّثون عن التسامح في الإسلام، ونسمع أنّ بعض الإذاعات المعادية للإسلام والمسلمين تمدح الإسلام وأنّه دين التسامح والرحمة والعطف.

بعض الحكّام السفّاكين للدماء يستشهد بالقرآن. هؤلاء يأخذون بعض الآيات المبتورة بحذف منها جانب، صدرها أو عجزها، ويقطع الآية ويردّدها، ويحاول أن يفسّر الآيات المقطوعة لدعم سلوكه.

بعض الحكّام في بعض الدول الكبرى الرأسماليّة يمدح القرآن، يأخذ منه الآيات

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

التي لها مغزى ومقصد، يأخذ آيات تمدح الغنى والثروة وجمع المال،كقوله تعالى: **﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾**(١)، وقوله عزّ وجلّ: **﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾**(٢)، هذا له شغل بذلك. هذه اللغة عاد حكّام اليوم يردّدونها ويرفعون الشعارات الإسلاميّة.

ورأينا كثيراً من جبابرة الأرض اليوم يسلكون نفس المسلك الذي سلكه بنو اُميّة من قبل والعبّاسيّون بعدهم.. بنو العبّاس يدّعون القربى للرسول صلى الله عليه وآله وهم يقتلون أقرب النّاس إليه، بعض الحكّام في البلاد الإسلاميّة نسمع أنّهم يبنون المساجد الضخمة والقباب والمآذن ويطبعون المصاحف الجميلة ويقرّبون شيوخ الدين ذوي الصور الجميلة، أو الزيّ البرّاق والعمائم الكبيرة.

هؤلاء في كلّ زمان موجودون، ومع كلّ حاكم نجد هذه النماذج، ولهم تصريحات، ولهم مواقف ولهم فتاوى.

أتذكّر في الستّينيات في العراق كان يظهر على شاشة التلفزيون العراقي كلّ يوم من أيّام شهر رمضان رجل معمّم مصري، استوردته الحكومة العراقيّة ليحدّث الجمهور؛ لأنّ في العراق لا يتمّ العثور فيه على رجل دين واحد، فلا بدّ من استيراده من جمهورية مصر لكي يتحدّث للجمهور العراقي ويستقبل أسئلتهم، هذا الرجل يجوّز البقاء على الجنابة حتّى الصباح في شهر رمضان!! لست أدري من أين أخذ هذه الفتوى؟ هل لها سند روائي؟ إنّ هذه ليست من الإسلام ولا يقول بها أحد من المذاهب الإسلاميّة، وهذه الفتوى لها منبع تاريخي ولها جذور، إنّ قسماً من رجال الدين الذين يصفّقون للحكّام، هذا الحاكم يريد أن يسهر ويسكر ولا يريد أن

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) الأعراف: ٣٢.

يغتسل ، ويريد أن يتظاهر أمام النّاس أنّه صائم ، وهذا رجل الدين يفتي له بجواز البقاء على الجنابة ، هل هذا من الدين ؟ ! هذا ليس هو الدين ، هذا هدم لأُصول الدين !

هذا الأمر ليس بالجديد ، بل هو قديم ، هذا ما سار عليه بنو أُميّة ، يدّعون الدين وهم هدّامون للإسلام . مَن يُقدم على قتل الحسين عليه السلام والحسين هو الإسلام ، قتلوا الحسين عليه السلام وتركوه على رمضاء كربلاء ويصلّون على جدّه المبعوث ويكبّرون .

تركوه على الرمضاء وصلّوا على قتلاهم على أنّهم شهداء ! أين هؤلاء من الإسلام ، بنو أُميّة يرون الإسلام السيطرة وسفك الدماء وفتح باب السجون ، كلّ هذا وهو يعلن الإسلام هذا قتل للإيمان .

الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة يتحدّث عن ظلم بني أُميّة وما تعانيه الأُمّة من ظلمهم :

« وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ ، وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ »(١) .

---

(١) نهج البلاغة ١ : ١٩٠ .

ما هو الدين؟ وما هو موقف المسلم؟

فلسفة الدين في ثورة الحسين عليه السلام :

ما هو الدين عند الحسين عليه السلام هل هو الدعاء والتسبيح والضعف والخنوع والركود ؟ وهل الدين الجلوس والقعود عن الجهاد ، والطلب من الله إمداد غيبي يحمي ويدافع عن الإسلام ؟ ! وهل الدين دموع وانطواء واعتزال في الزوايا المظلمة وفرار وانهزام ؟ !

ولكنّ الدين عند الحسين عليه السلام ما هو إلّا عزم وحزم وهمّة ، وحذر ويقظة ، ما هو إلّا حرب ودفاع ، ما هو إلّا أن نقف أمام التيّارالعارم الجارف ، وإنّ الدين عند الحسين عليه السلام هو صرخة وصدق وشدّة في وجه الباطل ، وفعلاً قال الحسين عليه السلام ذلك وقام وطبّق .

فلسفة الدين عند الحسين عليه السلام أن تسقى الأرض بدماء الشهادة ، وأنّ الدين أوّلاً ، ثمّ الدفاع عنه بكلّ غالٍ وثمين .

وهنا ننطلق هل اختلفت رؤية الإمام الحسين عليه السلام عن رؤية أخيه الإمام الحسن عليه السلام وغيره من الأئمّة عليهم السلام .

المسؤوليّة العامّة

وجسّد الحسين عليه السلام نفسه مسؤولاً عن هذه الأُمّة ، وهو دون غيره ، كمسؤوليّة أبيه وجدّه صلوات الله عليهما من قبل ، فقد مضى زمن أبيه وجدّه وأخيه ، وجاء زمان وأصبح الحسين عليه السلام هو المسؤول ، فعندها شمّر عن ساعديه وانبرى للقيام بأداء هذه المسؤوليّة الكبرى؛ انطلاقاً من حديث جدّه صلى الله عليه وآله : «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته» ، وأدرك الحسين أنّه المسؤول وعليه مسؤوليّة كبرى يجب القيام بها مهما كلّف الأمر.

وعرفت الأُمّة حسيناً ، هو الراعي ، وهو القائد ، وهو الذي يقودها إن هي استجابت له !

وكانت الأُمّة بحاجة لثورة الحسين عليه السلام ونهضته الجبّارة ، وبحاجه لإمام ثائر يثور ليستعيد مجدها الإسلامي المهدّد ، وعزّتها الإسلاميّة المسلوبة ، وكانت بحاجة لهزّة اجتماعيّة تبعثها للوجود من جديد ، وكان الحسين عليه السلام هو محور تلك الحركة ، وهو فاعل تلك الهزّة النفسيّة ، فكانت ثورته الخالدة ، وكانت مسيرته ، وكانت صيحاته ، ومن ثَمّ كان استشهاده عليه السلام .

أدلّة ودلائل على صدق ادّعائه ،و شواهد على قيامه بمسؤوليّته الكبرى ، وكان مقتل الحسين عليه السلام هزّة وانفتاحاً لضمير الأُمّة الساكن الراكد ، وعندها أحسّت الأُمّة ،

وتفتّحت أمام تلك الأُمّة نوافذ جديدة نحو تجديد الانطلاق والنهوض.

أمّا النّاس بعد مقتل الحسين عليه السلام فغير النّاس في حياته عليه السلام، فكانوا الباكين والنادمين والمتحسّسين والثائرين، وعندها شعرت الأُمّة أنّها في خطر، وأنّها قصّرت مع الحسين عليه السلام، ولو أنّها استجابت له لكانت أُمّة تعيش السعادة، فقد قصّرت مع الحسين عليه السلام كما فعلت مع أخيه وأبيه عليهما السلام، ووقعت الهوّة، وسقطت واستفحل الباطل، وفقدت حتّى الكلام، ومات الضمير وأوشكت على السقوط، وهبّ الحسين عليه السلام ملبّياً صوت الأُمّة، وكان قد أعطى هذه الأُمّة عهداً أن يقوم بهذا الأمر بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ جدّدوا عليه الطلب برسائلهم، فأعطاهم عهداً أنّه سيتوجّه إلى الكوفة، وهنا ماذا يصنع الحسين عليه السلام؟ هل يرفض أو يتراجع أو يسكت، وعندها استجاب للأُمّة، وكان الأنسب بهم أن يفوا بعهودهم مع الحسين عليه السلام.

واستجاب الحسين عليه السلام وبعث رسوله مسلم بن عقيل رضي الله عنه، وبعث رسائله، وتحرّك الحسين عليه السلام، وبدأ مسيرته شرقاً وغرباً، وقطع المسافات، وهذا يمثّل علاقة الإمام بالأُمّة، وعلاقة الراعي برعيّته، وعلاقة الأعلى بالأدنى، وبحكم مركز الحسين عليه السلام الديني، وصلته وقرباه بالنبوّة، وموضعه من الإمامة، وأنّه خليفة أبيه وأخيه عليهما السلام، واستمرار لحياة جدّه صلى الله عليه وآله السياسيّة. وكلّ خطوات الحسين عليه السلام ما هي إلّا محاولة، تتبعها محاولة أُخرى لتغيير الواقع، وتغيير البنية الاجتماعيّة التي تعيشها الأُمّة بعد فَقْد أبيه وجدّه صلوات الله عليهما.

وهي عملية في منتهى الصعوبة، وبدأ الحسين عليه السلام خطواته السريعة، وبدأ الحسين عليه السلام ثورته الهادئة، وكلّ ثورة تمرّ بمراحل وخطوات، وهكذا قطع الحسين عليه السلام هذه الخطوات وكانت الخطوة العليا هي معانقة السيوف والشهادة، ورحلة إلى العالم الأمثل، وكان الإصلاح هو الهدف الأوّل للحسين عليه السلام، وهذا ما كان

يدعو إليه الحسين عليه السلام.

وبدأ الحسين يدعو ويشرح ويترجم، والأمّة تسمع ما يهتف به الحسين عليه السلام، وعاشت الأمّة سنوات عجاف بعد فَقْد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقام الحسين عليه السلام ثائراً من أجلها لا من أجل نفسه، وماذا سُلب من الحسين عليه السلام؟! ما أعظم هذا الثائر، وما أعظم هذا البيت الذي ينسب إليه هذا الثائر[1] وهو يحمل الإسلام الثائر، وما أعظم هذا البيت الذي أنجب هذا الثائر. إنّه بيت عليّ عليه السلام وبيت محمّد صلى الله عليه وآله، فقد ذهب أبوه شهيداً وجاء الحسين عليه السلام يسلك طريق أبيه عليه السلام، ليحقّق هدف أبيه وجدّه عليهما أفضل الصلوات والتحيّات، وذهب شهيداً وله الفخر بذلك، فكان الأُسوة من قبل ومن بعد، وللقاتل العار والخزي.

عن سماعة بن مهران، قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: «إنّ الذي قال الله في كتابه ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً** ﴾[2] سلّط الله عليه قومه، فكشطوا وجهه وفروة رأسه، فبعث الله إليه ملكاً فقال له: ما شئت. فقال: يا ربّ العالمين، لي بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أسوة»، قال أبو عبدالله عليه السلام: «وليس هو إسماعيل بن إبراهيم على نبيّنا وعليهما السلام»[3].

وهنا يفتخر القاتل المجرم أنّه قتل إمام الهدى، وزعمت بنو أُميّة أنّها قتلت

---

(١) يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في بداية خطبته في الشام: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أُعْطِينا سِتّاً وَفُضِّلْنا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالسَّماحَةَ وَالْفَصاحَةَ وَالشَّجاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنا بِأَنَّ مِنَّا النَّبِيَّ الْمُخْتارَ مُحَمَّداً وَمِنَّا الصِّدِّيقُ وَمِنَّا الطَّيَّارُ وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَمِنّا سِبطا هٰذِهِ الْأُمَّةِ**».

(٢) مريم: ٥٤.

(٣) كتاب الأمالي / الشيخ المفيد: ٣٩ ـ ٤٠، المجلس الخامس، الحديث ٧.

حسيناً ،كما قتلت أباه وأخاه عليهما السلام من قبل ! واستقام لها الملك ، وخضعت لها الأُمّة ، وطأطأت الرؤوس طاعة وعبوديّة ، وزعمت أُميّة أنّها قتلت الإمامة ، وقضت على النبوّة ، وزعموا أنّهم قتلوا الحسين عليه السلام ، ولكن قتلوا أنفسهم ، والحسين عليه السلام كما كان ولا يزال.

دماء ودموع:

وتحوّلت كربلاء الأرض الجافّة ، الصحراء الملتهبة بحرارة الشمس وسموم الصحراء ، تحوّلت إلى أرض حمراء؛ لأنّ الدماء الطاهرة جرت عليها ، دم الحسين عليه السلام وأهل بيته ، ومزج الدم والدمع ، لن تذهب هذه الدماء في صفحات التاريخ سطوراً ، وتحوّلت هذه القطرات إلى صيحات ثائرة ، وكان شعارها الحسين عليه السلام يقتل.. الحسين المظلوم ، سمعها أُناس كثيرون من بعد ومن قبل ، وتحوّلت هذه الدماء إلى شحنات ملتهبة ملأت قلوب الكثير من المظلومين المضطهدين.

قراءة فكريّة في مقتل الحسين عليه السلام

قرأ المفكّرون مسيرة الحسين عليه السلام ، وقصّته السياسيّة ، ومعركته المدوّنة في الكتب القديمة والكتب الحديثة ، وتأمّل هؤلاء وفكّر الحسين عليه السلام تفكيره ، وقالوا وما أكثر أقوالهم ، قالوا في الحسين عليه السلام وهم بين الخطأ والصواب ، والفهم وعدم الفهم ، وتوقّفوا عند سطر واحد وجملة واحدة ، لم يفهموا إعرابها ، ولم يحلّلوا معناها : الحسين عليه السلام إمام ، وكلّ إمام يعلم ، وكلّ إمام يرى ما لا يراه النّاس ، ويعلم ما لا يعلمه النّاس ، ويسمع ما لا يسمعه النّاس ، فكان الحسين عليه السلام عالماً بقتله؛ لأنّ الدولة لا تتورّع ولا تتراجع عن قتله مهما كانت وبلغت منزلة الرجل منهم ، فقد قتلوا الصحابي والتابعي والعابد ، وحتّى لو كان ابن الأنبياء ، فلماذا غامر الحسين عليه السلام ، وكانت نهايته القتل ، فكان يعلم وإن لم يكن يعلم فقد أعلمه غيره ، وأشار عليه الكثيرون ، ووضع الحقيقة بين يديه ، وقالوا له : إنّك تُقتل ، أمّا الفكر الحديث فقد قال : لماذا أقدم على ذلك ؟

يقول الفكر المعاصر اليوم .. قد ثبت من قراءة الروايات الصادقة بأنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بأنّه يُقتل ، وإنّ يزيد هو القاتل ، وإنّ مكان القتل هو شاطئ الفرات ، كما هو مقطوع به ومتأكّد منه ، فإنّه عليه السلام منذ طفولته كان قد سمع كلمات من جدّه وأبيه عليهما السلام : قتل .. عطش .. غربة .. مظلوم .. وغيرها ، فقد كانت هذه ترنّ في أُذنه منذ صباه ،

وقد كان الصحابة ومن له صلة بالحسين عليه السلام قد أخبروه بذلك بأنّه سيواجه سيفاً وأسلحة ودولة وسلطة حاكمة.

في رواية جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: «إنّ ابنيَّ هذين ربّيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً؛ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهّرين زكيّين، فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذرّيّتهما وشيعتهما النّار، فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأُمّة على محبّتهما فقال: يا محمّد، إنّي قضيت قضاءً، وقدّرت قدراً، وإنّ طائفة من أُمّتك ستفي لك بذمّتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمّتك في ولدك، وإنّي أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألّا أُحلّه محلّ كرامتي، ولا أُسكنه جنّتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي [إلى] يوم القيامة»[1].

فإذا كان الحسين عليه السلام قادماً إلى قتل، وإنّ مَن يُقدم على جبهة وهو يعلم بأنّه يُقتل فهل يستطيع أن يغيّر واقعاً أو يهدم أو يحطّم وجوداً يراه منحرفاً؟ فهل يغيّر شيئاً من ذلك الواقع القائم أو يبدّل أو يحقّق له هدفاً قد قام من أجله كما يقال عنه؟!

فقد قام ثائراً كما يقول الدارسون والمحلّلون لسيرته، فالذي يثور ويندفع ثائراً نحو هدف معناه عنده أمل بالبقاء ليغيّر من الحكم والحاكم والسلطان، أمّا الحسين عليه السلام، فقد كان عكس ذلك عنده، قطع بالقتل وعدم العودة والبقاء، فهو يعلم بأنّ يزيد قاتله وأنّه مقتول، وإنّ يزيد يبقى على قيد الحياة، إذن ما الفائدة من ذلك كلّه، وهو الفائدة من تلك الثورة أن يقول للسلطان ثمّ يسفك دمه علناً وجهراً، وقد ظلّ يزيد على قيد الحياة، بقي يعربد ويصول بقوّة وشدّة ودام له الحكم

(١) كتاب الأمالي / الشيخ المفيد: ٧٨، المجلس التاسع، الحديث ٣.

والملك ، ودان له الحجاز والشام والعراق ، فماذا تحقّق إذن ؟

ويقول الفكر المعاصر : الحسين عليه السلام يعلم بالسلطة الحاكمة وقوّتها ومدّتها وعدائها ، ولو صار بقبضتها لا ترحمه ، وقد طلبوا منه البيعة فرفض ، فهو مهدّد أينما كان ، ولا يفلت من قبضتها وطلبها ، وقد أشار عليه أحباؤه بالتوجه إلى اليمن ، ولعلّها كانت لوحدها لم تخضع لسلطان بني اُميّة ، فلو سافر إليها الحسين عليه السلام لتخلّص من سلطة يزيد ودافع عنه أهل اليمن وكان في حمايتهم ، ولكنّه رفض الرواح والتوجه إلى اليمن ؟

قَالَ لَهُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ : فَإِنْ خِفْتَ ذلِكَ فَصِرْ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ بَعْضِ نَواحِي الْبَرِّ ، فَإِنَّكَ أَمْنَعُ النّاسِ بِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَحَدٌ .

قَالَ : « أَنْظُرُ فِيما قُلْتَ »[1] .

(١) مقتل الحسين عليه السلام .

مرحلة ما قبل المواجهة

الحسين عليه السلام ومرحلة إعداد الأُمّة

الإمام الحسين عليه السلام واكب وراقب وتابع تصرّفات الحكم الأُموي منذ أيّامه الأُولى.. ومنذ البداية، وسجّل كلّ أعمالهم، وكلّها مخالفات، وكلّها بدع، وكلّها بعيدة عن الشريعة وبعيدة عن مسيرة المسلمين، وكلّ ما شرّعوه ودعوا إليه من أحكام وأنظمة بعيدة عن السنّة وعن سيرة الخلفاء الذين حكموا وساروا بسيرة مقبولة نسبيّاً، ثمّ جاءت بنو اُميّة وشرّعت:

١ ـ سجن المرأة وضربها وعقابها بذنب زوجها، وسبي النساء.

٢ ـ قطع الرؤوس على الظنّة والتهمة، ورفع الرؤوس على الرماح، وقد تسألني عن عدد الرؤوس التي اُهديت واُرسلت إلى الشام، وهل اُرجعت أم بقيت ؟

٣ ـ نصب الرؤوس في الميادين العامّة للتفرّج عليها، والطواف بها في الأزقّة والطرقات.

٤ ـ إدخال النساء إلى المجالس العامّة والخاصّة، كما فعل يزيد ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مسألة ثابتة.

وإذا أردنا دراسة العصر الأُموي منذ البداية نرى فيه من البدع والمخالفات

الكثيرة ، فهم الذين بذّروا وأسرفوا بأموال الأمّة وبيت مال المسلمين ، ووزّعوها بحسب الرغبات والقضايا الخاصّة ، وقتلوا على الظنّة والتهمة ، ولا داعي لإقامة البيّنة ، فسفكوا الدماء البريئة ، والدماء صارت رخيصة أيّام حكم بني أُميّة ، والذين قُتلوا أيّام معاوية لا يمكن إحصاؤهم ، وفي طليعتهم الإمام الحسن عليه السلام ، وأصحاب الإمام عليّ عليه السلام في طليعتهم عمر بن الحمق الخزاعي ومحمّد بن أبي بكر ، وحجر بن عدي الكندي ، ومالك الأشتر ، وميثم التمّار... ، والبعض دُفن حيّاً بلا ذنب إلّا ولائهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

شرّعوا الغارات على القرى والقصبات ، وقتلوا الأبرياء ، وفاجأوهم وهم نيام ، فبعث معاوية بسر بن أرطأة ، وبعث يزيد مسلم بن عقبة .

دور الحسين عليه السلام السياسي في نشر الوعي واليقظة

وكان للحسين عليه السلام الأثر والتأثير والفاعليّة في بعث الأُمّة وإحيائها ، ولمّ الشمل ووحدة الصفّ ، ومواجهة أعدائها ومَن أراد الشرّ لها ، وكأنّها كانت نائمة ، ولكنّ الحسين عليه السلام في صوته ودعوته أيقظها ودفعها ، وكأنّها كانت في غفلة عمّا يراد بها أو يُحاك ضدّها في الزوايا والحجرات ، وكأنّها كانت تهاب أو تحذر أشباحاً مخيفة ، ولكنّ الحسين عليه السلام حفيد النبوّة بعزم جديد حوّلها إلى أوهام وأحلام زائلة أو فقاعات مليئة بالهواء ، ولكنّه ذوّبها وفتّتها وسلّط عليها ريحاً قويّة ، بإرادة وشجاعة ، وكلّ ذلك في رسالته قائلاً : « **وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ في أُمَّةِ جَدِّي** ».

وكانت الأُمّة قبله قد شرّقت وغرّبت ولعبت بها الأهواء والرغبات الأُمويّة وذابت ، وفقدت وجودها ووعيها وقوّتها ، وسلبت كرامتها ، وصار النّاس مماليك وهم لا يشعرون ، وهو القائل : « **النّاس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم** ».

وكان للحسين أثره النفسي والسياسي والبطولي الجديد في خلق الشعور الجديد والجرأة في كلّ فرد من أفراد هذه الأُمّة في الكوفة وفي المدينة وفي البصرة[1] :

---

(١) وأثر الإمام الحسين عليه السلام واضح معلوم في تطوير الحركة الفكريّة السياسيّة ، ولولا ذلك لما رفع أهل الكوفة ـ وحتّى البصرة ـ رؤوسهم وأصواتهم وبعثوا رسائلهم ورسلهم ، وتجمّعوا علناً ودعوا الحسين عليه السلام إلى الكوفة .

١ ـ بعد ما عرفوه إماماً قائماً داعياً للحقّ ، وهادياً إلى الصواب ، وإلى الله ، ويريد تحريرهم من عبودية بني أُميّة .

٢ ـ وبعدما رأوا منه الإخلاص في جهاده من أجل الله ومن أجل بناء هذه الأُمّة والتضحية الصادقة والإقدام على كلّ ما يلاقيه .

٣ ـ وبعد ما رأوا من الحسين عليه السلام الإعلان في قضيّة وأنّه ضحّى بإخوته وأبنائه وأصحابه الأعزاء الأوفياء ، وهو يجاهد .

٣ ـ وبعدما رأوه جاهد وناضل وواصل المسيرة بصبر وعزم : « **وَجاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** » بصبر لم يماثله صبر في الأوّلين والآخرين « **وَصَبَرْتَ عَلَى الْأَذى فِي جَنْبِهِ مُحْتَسِباً حَتّى أَتاكَ الْيَقِينُ** » ، ولم يتراجع رغم الوعود والعروض والإغراءات ، وهو لم يتردّد أو يهن أو يختلف في عزمه وقصده ، هو هو ، عرفته الأُمّة فأخذت منه هذه الأُمّة الشعور والوعي الجديد والجرأة والقوّة والمضيّ في الدفاع من أجل بقائها في الحياة كريمة عزيزة ، وافتتح الحسين عليه السلام الباب أمامها ، وعبّد الطريق لها ، لتسير فيه ولذلك كثرت الثورات على بني أُميّة ، وبدأت اللغة تتغيّر والشعور يتغيّر ، وظهر على الساحة من يقول ويدافع وتغيّرت الحياة السياسيّة وتبدّلت أوضاع الأُمّة أيّام الحسين عليه السلام ، لأنّ الحسين عليه السلام دعاها إلى الهدى وكانت لغتها من قبل إنّما هي لغة الخضوع والرجل الذليل الذي يطيع السلطان ، وكانت لغة النفاق هي المتبادلة بين الطبقات ، وكان الإنسان المهزوم المخذول هو الإنسان الذي يتردّد في كلّ مكان ، وحتّى في أماكن العبادة ، وكان الشاعر والخطيب هو الذي يدور في فلك النفاق والطاعة للسلطان ، وكانت الأُمّة بكلّ طبقاتها وفصائلها هي الأُمّة الخائفة من السلطة ومن السطوة والعنف الأُموي ، ورقابتها وعيونها وأتباعها ، إلّا الحسين عليه السلام وهو القائل : « **لا واللهِ ، لا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعْطاءَ الذَّلِيلِ ، وَلا أُقِرُّ إقْرارَ الْعَبِيدِ** » .

ما أعظمك يا حسين ! أمّا الآخرون الذين طأطأوا وخافوا بني أُميّة وملاحقتهم

وتهديداتهم، وعاشوا بحذر وخشية، وسايروا بني أُميّة، وهكذا الرجال النابغون الذين يملكون سمعةً ورصيداً في هذه البلاد الإسلاميّة الواسعة كانوا يخشون ملاحقتهم وتهديداتهم، وكانت الطبقة الوسطى والدنيا والعوام من الأُمّة في حذر من ملاحقة بني أُميّة ومتابعة حركاتهم وتنقّلاتهم واجتماعاتهم واتّصالاتهم؛ لأنّ السياسة الأُمويّة كانت في حالة من الحذر، ولا همّة لهم إلّا ملاحقة النابغين هنا وهناك، الأعلام في المدينة ومكّة ـ بل الحرمين ـ وكانوا يبذلون لهؤلاء الأموال لشراء ضمائرهم وطاعتهم، وكذلك الذين يملكون رصيداً في الأُمّة في البصرة والكوفة والشام ومصر، وأصبحت البلاد كلّها تسبّح بحمد آل أبي سفيان.

وفي هذا الظرف برز الحسين عليه السلام على الساحة ليؤدّي ما عليه من واجب ومسؤوليّة، وكان له دوره، ودور الحسين عليه السلام بدأ بتوجيه الأُمّة إلى الصواب والتحذير والقيام بالواجب الشرعي.

وكان الحسين عليه السلام يستهدف من ذلك أُموراً كثيرة في حركاته وأفعاله وأقواله وتصريحاته، وخطواته تستهدف تعبئة الطاقات الحيويّة الكامنة في رجالات الأُمّة هنا وهناك.. والتي أُصيبت بالخمول والتكاسل والتواكل بالأمراض الوهميّة وتركت الواجب وهو تحذير السلطان الجائر الحاكم بالقوّة ولم تصدر كلمة واحدة، هكذا كانت الأُمّة، وهي فيها الفاضل، وفيها ابن الخليفة، وفيها ابن المهاجر، وفيها ابن المجاهد، فلماذا هذا السكوت والخشية ؟!

وكانت الأُمّة تملك القوّة ولكنّها أُمّة خاملة راكدة. أُمّة أوشكت أن تموت قبل الاحتضار. وهنا سؤال يثار في تلك الفترة المظلمة: هل كان فيها رجالات لهم وزن وشعور وإحساس بالخطر المحدق الذي يهدّدها ويمسخ هويّتها ويعيدها إلى الجاهليّة وإلى العصبيّة الأُولى، وأوشكت الأُمّة أن لا تدرك عدوّها وصديقها، وبيعت واشتريت ولا تعرف البائع والمشتري، ولا تعلم بمستقبلها وحاضرها،

أخيراً أيريد بها خيراً أم شرّاً ، وحاكمها يزيد وأعوانه أقاربه وأبناء عمومته ، الأقربون المقرّبون .

وعاشت هذه الأُمّة ومنذ خلافة معاوية ، ومن كان قبله ومن جاء بعده ، حياة البؤس والبؤساء ، حياة الشقاء والضيعة والرهبة ، هكذا كانت الأُمّة أيّام يزيد ، فإذا بصوت الحسين عليه السلام ينطلق من المدينة يرنُّ في آذانها : اتّبعوني . . إنّ السنّة قد ماتت ! وأنّ ديناً شاده جدّي ، ودافع عنه أبي مهدّد بالأخطار . تعالوا اتّبعوني أهدكم سبيل الرشاد .

وبدأ الحسين عليه السلام ثورته داعياً ودعا الأُمّة بجرأة وأي جرأة ، وبقوّة وتحدٍّ . إنّه الحسين عليه السلام وأبوه عليّ عليه السلام ، وعليّ لا تأخذه في الله لومة لائم ، وخلت الساحة من غيره وهو الذي يتجوّل فيها علناً وجهراً ، لا يهاب ولا يحذر ، بشجاعة وعزم ، وكان للحسين عليه السلام في أقواله وتحرّكاته دوره الفكري وغلغلة الفكر الثوري في نفوس الأُمّة ، وظهر تحسّس واندفاع وتجمّعات وتكتّلات في البصرة والكوفة ، وبدأت الرسائل تدعوه للقدوم علناً ، وبدأت حركة الرُّسل تجوب البلاد .

١ ـ وما كان قبل ذلك كلام ولا شعور ، الأُمّة مخدّرة بمخدّر قوي ، ومثل الحسين عليه السلام مثل الهزّة لإنسان نائم نومة طويلة عميقة ، وجاء من أيقظه ودعاه للقيام وحمل السلاح ، والدفاع عن نفسه وعن كرامته ، وكان مثله مثل الشريان في جسم الأُمّة يغذّيها ، ويمدّها بالحياة ، وكان مثله مثل النور في الأُمّة التي تعيش التخلّف والخوف والظلم والظلام والظلمات . .

وكان الدليل الهادي في طريق ثورة الأُمّة ، الحسين عليه السلام صوت جديد في هذه الأُمّة ، الحسين عليه السلام لغة جديدة حارّة ساخنة لم تسمعها آذان النّاس من قبل . . الحسين عليه السلام بصولته وتحدّيه أرهب البلاط الأُموي ، ومَن له صلة به ، بما قام به وصدر عنه قولاً وفعلاً ، وخلّف الحسين عليه السلام إحساساً جديداً وحركة جديدة قويّة ،

وكتلة جديدة ومجموعة المعارضة وهو سيّدها ، وخلق الحسين عليه السلام عقليّة سياسيّة جديدة مليئة بالمفاهيم السياسيّة تختلف كثيراً عن تلك التي كانت تهاب السلطان وتحذّر أعوانه وتختلق الأعذار والمبرّرات للسكوت والتواكل وتلتمس الأعذار الشرعيّة من قبل ، وهي الكثرة من النّاس ، الانهزاميّون الخائفون الذين سكنوا البيوت وغلّقوا الأبواب ، أو فرّوا هنا وهناك ، ولم تصدر منهم كلمة واحدة ، وهم يرون ويسمعون ويشاهدون ماذا يفعلون وماذا يقولون .. ولكنّ الحسين عليه السلام هو الحسين ، ما عُرف بالضعف أو الوهن أو السكوت ، خلق في الأُمّة وعياً سياسيّاً جديداً ، وهذا ليس سهلاً أو بسيطاً ، وإنّما هي عمليّة صعبة تتوقّف على مقدّمات ومحاولات وخطط وعمليات وإجراءات .. وكلّها قام بها الحسين عليه السلام وصدرت عنه قولاً وفعلاً ..

وهي شاقّة وفي الطريق أشواك ، ومتاعب ، ومخاوف ، ولكنّ أبا الشهداء تحدّاها واجتازها مهما كلّف الأمر ، ولو كان الثمن غالياً ، وثار الحسين عليه السلام وخطب الحسين عليه السلام ، وخلق مفاهيم سياسيّة جديدة ومنطقاً سياسيّاً قويّاً كلّه عزم وإرادة ، وكلّه صراحة ، وكلّه بطولة ، وخلق الإنسان السياسي الجريء الذي يقول الحقّ والذي يطالب ويقول للسلطان ويأمر بالحقّ ولا يرضى بالباطل ولا يسكت على ضيم ، ويتحرّك من أجل الدين ومن أجل الآخرين ، وهذه سيرة الأنبياء عليهم السلام ، وهذه مسيرة المجاهدين الذين كتبوا حياتهم ، وقرأناهم فى القرآن في سور مختلفة ، وفي فصول كثيرة ، وذهبوا ضحية من أجل كلمة التوحيد .

وكان الحسين عليه السلام هو الهادي المهدي ، وهو الدليل إلى مرضاة الله ، وهو الذي أنار الطريق للأُمّة إن أرادت العزّة ، وكان الحسين عليه السلام هو بطلها وهو داعيها وهو صوتها ، وهو الذي يريد إعادة مجدها ووجودها الذي حاولت بني أُميّة هدمه ، هذا هو الحسين عليه السلام ، والأُمّة التي أنجبت حسيناً ، وهو الذي بذل ما يملك من أجلها وغذّاها بالحركة والثورة ، إنّ أُمّة فيها عليّ والحسين عليهما السلام لن تموت ، وستبقى تذكر الحسين عليه السلام الشهيد وتلبّي صوته في ميادين الجهاد ، وستبقى هذه الأُمّة تطوف بقبره

وتسجد على ثراه؛ لأنه تراب ضمّ جسده الشريف، وتشمّ من ترابه رائحة العزّة والكرامة.. وتقبّل ثراه وتذكّره عهداً منها للحسين عليه السلام بالوفاء والسير على خطاه.. وستبقى الأُمّة تذكره مدى السنين والأعوام والدهور، وهي مدينة له ولموقفه الخالد وتضحيته وجهاده..

ونقرأ عند قبره فصول الدعاء وآيات الزيارة: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ**» ولذلك كان مقتله خسارة كبرى، ونردّد:

«**فَلَقَدْ عَظُمَتْ بِكَ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَفِي أَهْلِ السَّمواتِ وَأَهْلِ الْأَرَضِينَ أَجْمَعِينَ**»، وخسارة الأُمّة إنّما هي بفقدها لرجالها وأبطالها وعظمائها وعلمائها، والحسين عليه السلام هو ابن بطلها وابن العظيم وابن الكريم، ابن المجاهد المدافع وهو ابن عليّ عليه السلام، ولذلك صوّت الحسين عليه السلام:

أنا ابن علي الطهّر من آل هاشم.

وهو ابن مقدامها، وابن رجلها الذي عرفته سوح الجهاد..

ولقد خسرت هذه الأُمّة بفقدها للحسين عليه السلام رجلاً غيوراً مجاهداً، كما ورد في زيارته، ماذا فقدت هذه الأمّة ؟ لقد فقدت بطلاً مدافعاً داعياً ورجلاً قوياً مقداماً لم يضطرب ولم يخف رغم التهديدات والسيول من الجيوش التي زحفت إلى حربه..

فقدت رجلاً طاهراً في ذاته ونفسيّته، ورجلاً مستقيماً في تصرّفاته، ربّاه جدّه وغذّاه وألهمه وأعدّه للمواجهة والملحمة، فهو من جدّه وجدّه منه، لقد خسرت هذه الأمّة بمقتل الحسين عليه السلام خسارة كبرى، وخسارة الأُمّة بفقد رجالها وأبطالها، وقد تسأل متى تخسر الأُمّة وبماذا ؟ ومتى تندحر، ومتى تتأخّر ؟

الأُمّة تندحر وتتأخّر وتصاب بالركود والاندحار إذا فقدت علماءها، والحسين عليه السلام وأبوه العالمان العلَمان، والأمّة تتأخّر وتصاب بالإفلاس إذا فقدت حضارتها وفلسفتها وأفكارها، وتجرّدت عن الماضي، وتنكّرت لتراثها وماضيها،

وهذه الأُمّة خسرت الكثير وحكم عليها بالركود والتخلّف ، ولذلك طمع بها مَن ليس أهلاً لقيادتها؛ لأنها تباعدت عن القرآن ، ومن الأسباب جمّدت أهل البيت عليهم السلام واتّجهت إلى غيرهم ، وأخذت من غيرهم وهم أحقّ بالقيادة ومن كلمات عليّ عليه السلام ، إلى أين تذهبون ؟ أنّ الأُمّة تركت حسيناً وهو أهلٌ للقيادة والاتّباع ، وهرولت نحو يزيد وقادها يزيد إلى جهة أُخرى .

ثمّ جاء بعده غيره وحكم ، وقادها ، وأصاب الأُمّة ما أصابها ، واتّجهت الأُمّة إلى جهات أُخرى ، وشرّقت وغرّبت وحرّفت وغيّرت وبدّلت واستحدثت الأفكار بحسب الأهواء والرغبات والسياسات ، واستوردت الأفكار من خارج الحدود ، وهي أفكار هزيلة رخيصة لا تساير هذا التطوّر الحضاري وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام : « نحن أبواب الحكمة » ، وورد : « نحن صنائع الله » ، « ونحن خزان العلم » ، ثمّ أصابها الداء الخطير الذي لم تلتفت إليه هذه الأُمّة في هذا العصر ، وهو الغزو الفكري من هنا وهناك ، ثمّ تكالبت قوى الشرّ عليها .

لماذا أيّتها الأُمّة ؟ ومتى تلتفت هذه الأُمّة وتتدارك نفسها لتعود إلى الصواب ؟ أيّتها الأُمّة ، ما يكون الجواب يوم الحشر لو قال لكم الحسين عليه السلام : ما هكذا الظنّ بكم ، وعاتبكم بهذه الكلمة ، أنا ضحّيت من أجلكم ، وقمتُ من أجلكم ، وبذلت من أجلكم ؟ يا أُمّة المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله ، لا تكونوا في عِداد قتلة الحسين عليه السلام ، فإن قتله أهل الكوفة بالسيوف فأنتم قتلتموه بالخذلان والتخاذل والتباعد عن خطه وعن منهاجه .

وإن قتله أهل الكوفة قتلة واحدة فإنّ هذه الأُمّة في هذا الزمان قتلوه عدّة قتلات ، وخذلناه وتباعدنا عنه ، والحسين عليه السلام في هذا الزمان يطلب الناصر والمُعين ، وإذ كان الحسين عليه السلام نادى :

« أما مِنْ مُغِيثٍ يُغِيثُنا لِوَجْهِ اللهِ ، أما مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ اللهِ ». ونادى في موقف آخر :

« هَلْ مِنْ ذابٍّ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ اللهِ ؟ هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخافُ اللهَ فِينا ؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ بِإغاثَتِنا ؟ هَلْ مِنْ مُعِينٍ يَرْجُو ما عِنْدَ اللهِ في إعانَتِنا ؟ » ، فإنّه قصد هذا العصر وهذه الأُمّة ، أين مَن ينصر الحسين عليه السلام في هذا الزمان ؟ وإن كان الحسين عليه السلام خاطب الجيش وهو ينادي :

« وَيْحَكُمْ يا شِيعَةَ آلِ أَبي سُفْيانَ ، إنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لا تَخافُونَ الْمَعادَ فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُمْ هذِهِ وَارْجِعُوا إلى أَحْسابِكُمْ إنْ كُنْتُمْ عُرَباً كَما تَزْعُمُونَ » ، ولعلّها آخر كلمة أطلقها الحسين عليه السلام من فمه الطاهر ، وسمعها مَن سمعها من الجيش ولم يرد عليه ، ونحن قد سمعناها وقرأناها ، ولا تزال ترنّ في آذاننا ، ولا نردُّ عليه ولا نتأثّر ، هذا هو صوت الحسين عليه السلام ، وله حركة نفسيّة ودفع ، وفيه فاعليّة ، ووراءه مقاصد وأهداف ، ولا يزال يحرّك نفوس الأحرار ، نفوس المؤمنين .. فهل حرّك نفوسنا ، وهل سمعته ضمائرنا ، وما هو ردّ الفعل ؟

هل سمعتم صوت إمامكم الذي أطلق بالأمس ، وهو يقول لهم ولنا وللأجيال القادمة : « ... **فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُمْ هذِهِ** ... » ماذا قصد هذا الإمام ؟ أي لا تركعوا للسلطان الجائر ، كونوا أحراراً ، فأنا داعي الكرامة ، أي لا تكونوا أذلّاء عبيداً في حياتكم ، يدعوكم ويأمركم ويتسلّط عليكم ويجرّكم وأنتم تهرعون إليه ، تنفّذون ما أراده منكم ، هل تعلمون مَن أنتم ؟ وهل تعلمون ماذا تفعلون ؟ هل أنتم أحرار أم مماليك ؟ ولا تزال المعركة بين الحسين عليه السلام ويزيد قائمة ومستمرّة ، ولم تنته هذه المعركة ، ولا يزال الحسين عليه السلام هو الحسين ، ولا يزال يزيد هو يزيد وأنصاره وأتباعه في حرب ، وأفكارهم ونشاطهم ودعايتهم وإعلامهم قائمة ..

فإن كان يزيد في زمن الحسين عليه السلام واحداً فإنّ في عصرنا ألف يزيد ، أو يزيدون

من أتباعه معنا ، ونحن نسايرهم ونحترمهم ، وما أحوجنا اليوم إلى حسين جديد . يقوم ويدافع عن الشريعة وعن الأُمّة ، وإن كان حرملة واحداً في عصر الحسين عليه السلام وقتل طفلاً واحداً ، فاليوم عندنا ألف حرملة ، وألف طفل يذبح في كلّ يوم من أطفال هذه الأُمّة ، بلا ذنب ، وما أحوج هذه الأُمّة أن تدرك واقعها ، وتميّز بين عدوّها وصديقها ، وأن تسير على خطى الحسين عليه السلام وتدرك مبادئ الحسين عليه السلام لتعيش كريمة عزيزة قويّة .

ولا يزال الصراع قائماً بين أنصار الحسين عليه السلام وأنصار يزيد ، وأفكار الحسين عليه السلام وأفكار يزيد . سل نفسك : هل أنت من هؤلاء أو من هؤلاء ، وأنت تسير وتتحرّك ؟ وهل أنت في طريق يزيد أو طريق الحسين عليه السلام ، وهذا زمن الصراع بين الحقّ والباطل ، وبين أنصار الحقّ وأنصار الباطل ، وبين أنصار الفضيلة والرذيلة . . . ؟

ولا نعلم ما هي النتائج وأين النهاية ولمن النصر والانتصار . . .

وهل نحن من أنصار يزيد . . نعلم أو لا نعلم ؟ وهل نحن من أنصار الحسين عليه السلام نعلم أو لا نعلم ؟ وهذا العصر عصر الصراع . وعصر الحروب ، الحروب الحضاريّة والعقائد ، وبين سالب وموجب ، وبين أخذ وردّ ، اليوم كما يقولون صراع الحضارات ، والحضارة الإسلاميّة من بين الحضارات في هذا العالم الواسع ، وفي هذه الدنيا ، والحرب قائمة بين قوّة وضعف ، وبين كرّ وفرّ ، وبين ربح وخسارة ، وبين هزيمة وبين انتصار . .

اليوم صراع الحضارات . . اليوم الإسلام في حرب . . في غربة ، وهو يدعو أتباعه وأنصاره إلى نصرته وإلى الدفاع عنه وإلى الوقوف صفّاً واحداً ، وعلى المسلمين أن يجرّدوا ما يملكون من أسلحة ليدافعوا عن هذا الدين ، فإنّ النصرانيّة واليهوديّة جرّدت سيوفها وحشّدت قواها لحرب الإسلام وتشويه معالمه المشرقة ، ووجهه الصبوح ، ويمسخوا منه الجمال الذاتي .

ولكن الإسلام قوي ، وهو الذي أثبت وجوده وقوّته أمام هذه التيّارات والرياح والفلسفات ، والأفكار والدعايات ، وأمام هذا الإعلام المضاد المعادي . هذا هو الإسلام ، دين السلام ، ودين الخير ، وهو الذي أحكمته السماء ، ونشره خير الأنبياء صلى الله عليه وآله ، ولا ولن تستطع المسيحيّة أن تؤثّر عليه مهما امتلكت من إمكانيّات ، أو تؤثّر عليه مهما امتلكت من قوّة وأنصار ، والإسلام يساير هذا التطوّر الحضاري والفكري أمام النصرانيّة واليهوديّة ، وأمام الفلسفات والتيّارات الوافدة ، والمبادئ الجديدة رغم قوّتها وأنصارها وإمكانيّاتها وإعلامها ونشاطها ، فالإسلام هو الإسلام ، والقرآن هو القرآن ، والحسين عليه السلام هو الحسين .

كيف أقدمَ الحسين عليه السلام على هذه المواجهة؟

هذه مسألة صعبة أتعبت المحلّلين ، فقد أقدم الحسين عليه السلام على أمر صعب ، وقضيّة صعبة وشاقّة ، ولو كان غيره وكان أقوى منه وأكثر أنصاراً لما أقدم على ذلك أو تحرّك أو تكلّم بكلمة واحدة ، كما فعل أبناء الخلفاء وأولاد المهاجرين ، وبقيّة الصحابة وأهل الحرمين !

لأنّ الحكم الأُموي عنده سلطة وسطوة وقوّة ضاربة ، وعيون وأتباع لا تعرف التسامح والعفو والرحمة ، هكذا كان الحكم الأُموي ، فلا يستطيع أحد أن يتكلّم ضدّه كلمة واحدة ، ومَن قال كلمة حقّ أو اعترض أحد ولاتها قطع رأسه وهدمت داره..

أوَليسوا هم الذين قتلوا حجراً ، وعمرو بن الحمق وميثماً؛ لأنّهم قالوا كلمة واحدة ؟ ترى ماذا قال حجر ؟ وماذا صدر عنه ؟ قال : لا يجوز حمل الزكاة من الكوفة إلى الشام مع وجود المستحقّ في الكوفة ، وجمع النّاس واعترضوا قافلة متوجّهة من الكوفة إلى الشام تحمل الزكاة ، هذا ذنب حجر بن عدي ، فكيف بمن يشهر السلاح ويقف في حالة حرب ومواجهة مع السلطة ؟

والتساؤل السياسي : هل كان الحسين عليه السلام على دراية بالواقع الأُموي ؟ وهل كان يعلم ولو إجمالاً أنّهم لا يتورّعون عن قتله ويكفّون عنه ، ويحترمونه كرامة لجدّه صلى الله عليه وآله ولشرفه **قالَ** : « **أُنْشِدُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدّي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ؟** » .

هل كان يعلم أو يظنّ أو يحتمل أو يتصوّر ذلك أو يعلم إجمالاً ؟ وهنا مسألة سياسيّة وأُخرى عقائديّة ، والموقف بينهما من المواقف الصعبة ، ولا يطرقها إلّا جريء ، إلّا مَن كان مسلّحاً بأُسلوب وعلم وقوى فكريّة : إنّ الحسين عليه السلام أمّا أن نقول إنّه إمام ذو إحاطة أو هو عالم بما حواليه ، وما يدور في الساحة ، وما يحدث وما يُحاك له وما ينسج في الزوايا ووراء الأبواب ، فهو يعلم بذلك ولو إجمالاً ، أو نقول كما يقول أهل العقيدة : إنّه إمام عالم ، أو يقول السياسيّون : إنّه ابن المحيط وابن الأُمّة ، وكان يعلم تفصيلاً ، وأكثر من ذلك ، يعلم وأقدم على ذلك ، فهل هو مغامر ، أو هو مكلّف بذلك ، وأداء التكليف عند المكلّف سهل مهما كان ، ولو كان صعباً ؟ ونحن ننظر للحسين عليه السلام من منظور خاصّ يختلف عن منظور الحسين عليه السلام ، وإدراكه وتصوّره وتفكيره وإحساسه .

ونتساءل هنا : ماذا يريده بنو أُميّة من الحسين عليه السلام ؟ أوَتدري ماذا يريدون منه ؟ بنو أُميّة يريدون كلمة واحدة يقولها الحسين عليه السلام وطبّقها هو ، ويلتزم بها ، ويسير عليها ، ويأخذ بها هو وأتباعه في الحياة ، الكلمة الواحدة أنا عبد لكم ، أنا المطيع ، أنا المعترف بشرعيّة خلافة يزيد ، لا أعترض ولا أتكلّم بكلمة واحدة وأُغلق علَيَّ بابي ، وأصمّ أُذني ، وأنتم تتصرّفون بشؤون الأُمّة وتفعلون بها ما تشاءون ، ولكم ولاية الأمر وتتصرّفون بما لديها وما عندها كما يتصرّف المالك بما يملك ، وإنّ النّاس عبيد لكم .

يا بني أُميّة ، وأنّ الله هو الذي سلّطكم على هذه الأُمّة ، وأنّ الأُمّة ليس لها حقّ الكلام أبداً ! وهل يصدر مثل هذا من الحسين عليه السلام ، حاشاه ؟ وهو الحسين عليه السلام وهو ابن عليّ عليه السلام ، وابن الرسالة ، وهو يحمل روح أبيه عليه السلام ، وهو الإمام الشرعي ، وهو خلَف عن أبيه ، وامتداد لجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله .

معالم ثورة الحسين عليه السلام

وتختلف ثورة الحسين عليه السلام عن غيرها من الثورات الكثيرة ، قديماً وحديثاً :

١ ـ ثورة الحسين عليه السلام تمتاز بالجرأة والشجاعة؛ لأنّه شجاع ، ولا ريب في شجاعة الحسين عليه السلام .

٢ ـ وفيها الصراحة والوضوح؛ لأنّه إمام ، والإمام لا يغشّ ولا يخدع ، يقول قولاً صريحاً .

٣ ـ وفيها الإخلاص لله وللأُمّة ، لا يرجو فيها أمراً من الأُمور الدنيا .

٤ ـ وفيها معالم كثيرة لم نجدها في غيرها من الثورات التي قرأناها ، وفيها تصميم على تحقيق الأهداف المقصودة المرسومة ، والوصول للغرض مهما كان الطريق شاقّاً بعيداً .

٥ ـ وهي ثورة سريعة ليس فيها تأجيل أو توانٍ أو تباطؤ أو انتظار .

٦ ـ وفيها حرارة وانفعال ، وفيها غضب لله .

٧ ـ وفيها معانٍ إنسانيّة مقبولة عند الإنسانيّة في عصورها المختلفة ، وفيها المعاني الوجدانيّة الجميلة .

٨ ـ وفيها أبعاد لا تقف عند جماعة ، أو في عصر دون عصر ، أو زمن معيّن ،

وأبعادها اللّامحدودة في زمن الحسين عليه السلام وما بعده.

٩ ـ المجاهرة والعلن وترك التكتّم والخفاء والإخفاء والسرّيّة في القول والفعل.

هذ هو الحسين عليه السلام، وثورته لم تنطفئ، ولم تخمد، مستمرّة لهذا العصر وللعصور القادمة، وهي من أجل الإنسان الذي ينشد الكرامة، وهي من أجله، هي للإنسان الذي عاش زمان الحسين عليه السلام وبعد الحسين عليه السلام، هي هي... وحتّى اليوم ما دام في الدنيا من يسلك مسلك يزيد ويسير على خطاه، وهو استمرار ليزيد في هذه الأُمّة، فإنّ الحسين عليه السلام من أجل الحقّ، وهو صوت الحقّ وصوت من أجل الإنسان المعذّب المحروم.. والحسين عليه السلام هو الحسين..

المثلث السياسي الحسيني

هكذا يقول السياسيّون في العصر الحديث ، وهل وجدنا في خطى الحسين عليه السلام هذا المثلث ، وهل اتّخذه الحسين عليه السلام في مساره ومسيرته ، وعلينا أن نقرأ السياسة الحسينيّة وندرسها من جديد ، ثمّ نقول في السياسة وفي الحسين عليه السلام : بدأت السياسة الحسينيّة في المدينة في إعلان المعارضة علناً ، وامتنع عن البيعة ببطولة رغم قوّة الدولة الأُمويّة ، وانتقلت السياسة الحسينيّة إلى مكّة ، وهي سياسة التعبئة والتصويت في الأُمّة ، وأكثر الحسين عليه السلام من الرسائل والرُّسل ، واللقاءات والخطب ، وازداد تصلّباً في إرادته وعزمه ، واتّسعت حركته وعلا صوته ، وشاع ذكره ، وتحدّث المسلمون بعد عودتهم من مكّة لأداء فريضة الحجّ ، فأهل الشام قد علموا ، وأهل اليمن قد سمعوا .

وفجّرت ثورة الحسين عليه السلام في كربلاء في موقفه ومواجهته لتلك الحشود السوداء من أهل السواد بوجوه سود[1] ، ووقف نور الله حفيد جدّه الهادي داعياً لها ، فلم تسمع منه كلمة واحدة ، ولم تدرك قولاً من أقواله ، ولا وعت منه موعظة من مواعظه ، وهو الحسين عليه السلام !

---

(١) سوّدت وجوههم بالضلال الأُموي ، وسوّدوا التاريخ الكوفي الناصع المشرق الصبوح ، واسودّت وجوههم يوم الحشر بما فعلوه ولم يكسبوا ولم يكتسبوا شيئاً .

هذا هو المثلث الحسيني ، وهذه هي النقلات الثلاث التي خطاها الحسين عليه السلام ، بدأ بالمدينة ، وانتقل إلى مكّة ، وأكمل مسيرته في كربلاء الحمراء ، وهو هو ، عزم وهو يردّد لا ، لن ، لا والله ، أنا الحسين ، أنا ابن عليّ ، أنا ابن محمّد ، أنا .. أنا ..

لماذا الحرب؟ ولماذا السيف؟ ولماذا الدم؟

وهل هناك مسلك آخر يسلكه الحسين عليه السلام غير المواجهة ؟ وهل هي مسألة تخصُّ الحسين عليه السلام دون غيره من أبناء هذ الأُمّة ؟ أو هي قضيّة الأُمّة بالذات ، أو هي قضية دين وجهاد ولا بدّ من العدّة والقوّة والقدرة والأنصار والتخطيط والهندسة للمواجهة ، ومعرفة الربح والخسارة ، قبل الإقدام ، وقبل يوم العاشر من المحرّم .

وليس الدين دماً وسيفاً ، أو تسلّطاً وعنفاً ، وقبل ذلك ألف مسلك ، ولماذا العنف ؟ ولماذا هذا الاحتدام ؟ ولماذا هذا اللقاء والشدّة والطريق صعب شائك ، والثمن غالٍ ؟ ومع كلّ ذلك أقدم الحسين عليه السلام على هذه المواجهة الصعبة التي لا يقدم أحد غيره عليها ، ولكن وجدها سهلةً .

ونقول لهؤلاء وكأنّكم لم تعلموا ماذا فعله الحسين عليه السلام قبل ذلك . وتدرج الحسين عليه السلام وحاول الحسين عليه السلام ، وراسل الحسين عليه السلام ، وخطب الحسين عليه السلام وبعث رسوله ، وثقته ، وابن عمّه داعياً للإصلاح ، وبعث رسوله للبصرة يدعوها ، والخطر الأُموي اشتدّ وتبرعم وقوي واستفحل وطغى ، أَويسكت الحسين ؟ وهل يعذر الحسين عليه السلام لو سكت وانطوى ، ومَن هو الذي يعذر الحسين عليه السلام ؟ ومن هو الذي يبرّر هذا السكوت والأُمويّون تحرّكوا وهم يريدون أن يحوّلوا الدنيا إلى مملكة واسعة أُمويّة وسلطانها أُموي وشعاراتها أُموية ودعاتها منهم وإليهم ؟

قام من أجل رسالة كبرى ، وهو حامل رسالة مقدّسة مطبوعة في فكره ، وفي أعماق نفسه ، قام من أجل أنّه كان يخشى عليها الضياع والانحدار ، ويخشى عليها أن تذوب في بحر جاهلي عميق ، إنّها أُمّة تقتل رجالاتها ، أهل الكلمة الخيّرة ، وكانت مقيّدة بقيود مخيفة ، وأُحيط بها من كلّ الجهات الستّ ، لقد أحاط بها سور مخيف ، ظاهره الخوف وباطنه النفاق والرياء ، وبابه الحبس والعنف ، أحاط بها سور اسمه السياسة الأُمويّة وجدار أسود بناه مَن تقدّم على يزيد ، فكيف بهذا الجدار ؟ ومَن يتسلّق هذا الجدار ؟ والله إنّه الحسين بن عليّ عليهما السلام وهو ابن مَن دحا باب خيبر ، إنّه ابن عليّ عليه السلام .

كلّ هذا والحسين عليه السلام لم يرد الحرب ، ولم يبدأ بالحرب ، ولم يجرّد السيف ، وكلّ ما فعله الحسين عليه السلام إنّما هو إعلان ودعوة وبيانات متتالية في أُذن الأُمّة المغفّلة ، المصابة بآلاف من الأمراض النفسيّة ، وكلّ ما صدر من الحسين عليه السلام إنّما هي خطوات سياسيّة علنيّة ليست سرّية ولا حزبيّة ولا له بالذات ، وإنّما هي من أجل هذه الأُمّة ، ومن أجل يقظة الأُمّة وتحريك الجسد المخدّر المصاب بالوهن والتعب الهيّاب ، الحذر . . الوجل الذي يحذر من أي صوت ومن أي خيال ، ولو حلماً من الأحلام ، أو صوت الطير ، ويتفأّل بالشر ، ويحذر من المارّ إذا مرّ عليه أو من جاره ، أو من طرق الباب أو من حركة الشجرة ، أو صوت الغراب ، هذا هو الشعور العامّ الذي كانت الأُمّة تعيشه ، يخافون من النقيق أو من الحسين عليه السلام ومن الحجارة إذا وقعت على جدار !

ولكنّ الحسين عليه السلام يعمل بجدّ من أجل أُمّة جدّه ، إنّها الأُمّة الغالية ، إنّها الأمّة العزيزة ، إنّها الرسالة ، إنّها الأمانة في عنق الحسين عليه السلام ، ماذا فعل الحسين عليه السلام ؟ ملأ الدنيا أصواتاً وكلمات وتحذيرات وأرسل الرُّسل والرسائل والخطب والبيانات المدوّية الساخنة ، وبعث رسوله البطل وهو أعظم رسول إلى أعظم قطر ، وهو مسلم بن عقيل ، وهل هدأ الحسين عليه السلام أو اعتزل وقال ما أنا وذلك ، أُوكل الأمر إلى غيري ، حاشا ابن عليّ وفاطمة عليهما السلام أن يقول ذلك ، وهو السبّاق ، وهو ابن مقدام

هذه الأُمّة ، وابن مَن خاض لهوات الحروب ، أوبعد هذا يقولون في الحسين عليه السلام لماذا الحرب ؟ ولماذا المواجهة ؟!

ما ضرّ هؤلاء لو قالوا كلمتهم في الحسين عليه السلام ، الكلمة العادلة ، كلمة الحقّ ، كلمة الحكم بعد أن يدرسوا قضيّة الحسين عليه السلام دراسة فكريّة موضوعيّة ويطّلعون على المقدّمات والأوليّات ليدركوا من هو الحسين عليه السلام ، وأنّ الحسين رجل هذه الأُمّة بعد أبيه وجدّه صلوات الله عليهما ، وهو من رجل رسالة مباركة مقدّسة وصاحب قضية ما فرّط فيها لا بحرف ولا بكلمة ، ومن أصحاب الرسالات ، ومن أحفاد الأنبياء عليهم السلام ، إنّه الحسين عليه السلام .

تعال عزيزي القارئ وادرس حال الأُمّة وتاريخها السياسي أيّام معاوية ، وماذا فعل الولاة ، وماذا فعل قوّاد معاوية في الغارات التي شنّت على البلاد ، وهل تركوا شيئاً ما فعلوه ؟ حتّى الطفل وحتّى المرأة من أهل الذمّة لم يسلموا منهم ، وحتّى الصحابي أهانوه وأذلّوه . ألم يفعلوا بأبي ذرّ ما فعلوا ؟ أوَلم يفعلوا بجابر الأنصاري وهو صحابي وقور ما فعلوا ؟ هذه هي السياسة الأُمويّة ، ما هي إلّا سوط ملتهب جارح على ظهور الأبرياء الضعفاء ، ووزّع الأُمويّون عيونهم وأتباعهم لحرب الأُمّة ، وقمع الأُمّة ، وكبح جماحها ، ومطاردتها ومراقبتها وتسليط بعضهم على بعض ، الجار على جاره ، والأخ على أخيه .

إنّ هذا وغيره يعلم به الحسين عليه السلام ، ويحسُّ به الحسين عليه السلام ، فكيف بشيعة أبيه وهم يعيشون رقابة شديدة ، وأمامها أشباح مخيفة ذات ألوان مختلفة ، وهياكل باعت ما تملك من أجل بني أُميّة ، وتيّار جاهلي ، ونشاطات أُمويّة ينفّذها رجال هنا وهناك ، إنّه تيّار يؤلم ويؤذي ويهدّد ، إنّه خطر لا يطاق ولا وقاية ولا علاج له إلّا الدم ، إلّا التضحية ، إلّا الحرب .

إنّه وجود جديد اسمه الدولة الأُمويّة ، وقوّة اسمها بنو أُميّة ، وحكّام تسلّطوا

على رقاب الأُمّـة ، «**وَقَـامَ مَـعَهُ بَـنُو أَبِـيهِ يَـخْضِمُونَ مَـالَ اللهِ خَـضْمَةَ الْإِبِـل نِـبْتَةَ الرَّبِيعِ**»[١].

إنّ هذا شيء عجاب لا تتحمّله الأُمّة ولا تطيقه الأُذن المسلمة ، إنّـها أصـوات أُمويّة حادّة ، أصوات تنطلق من هنا وهناك .

(١) نهج البلاغة .

أضواء على السياسة الحسينيّة

إذا صدق أنّ الحسين عليه‌السلام رائد ثورة ، وأنّه هو الرجلِ الثائر في الإسلام ، كما قيل عنه إنّه رجل جرّد السيف في وجه أعدائه ولم يهادن أو يتأمّل أو يصالح أو يطلب الانتظار أو اتّخذ مسلكاً غير السيف ، إنّه الحسين عليه‌السلام ، فإذا كان هو مفجّر ثورة ويصدق عليها ثورة ، وفيها مقوّمات وعناصر الثورة وشروط الثورة[1] مجتمعة فهي كما يقول علماء الاجتماع في بحوثهم ، وإذا صحّ ذلك في حقّ الحسين عليه‌السلام وأنّه رجل ثورة ، فهل خطّط لها قبل المبادرة والمواجهة ؟ وهل دوّن الهدف المقصود الذي من أجله ضحّى وأقدم ؟ وكلّ ثورة لا بدّ لها من أدوار :

الدور الأوّل : دور التفكير الثوري أو التخطيط السياسي ، أو وضع الخطوط الأُولى في تفكيره ـ كثائر ـ أو كفرد أو هو من حيث هو قبل أن يلتقي بغيره .

الدور الثاني : دور المبادرة والإعلان والتحدّث بقضايا الأُمّة وما أُخذ منها وما غُصِبَ منها وما وقعت فيه وما أُهمل ، وما فيها من أمراض ومن قضاياها الفكريّة والسياسيّة .

---

(١) راجع علم اجتماع الثورة للأُستاذ الكبير حاتم الكعبي رئيس قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد.

الدور الثالث: دور التنفيذ.

الدور الرابع: التضحية إن كان صادقاً ومخلصاً.

الدور الخامس: الخلود في التاريخ أو الاندثار والموت والفناء، وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً، وكأنّه لم يكن له نصيب في الوجود.

الدور السادس: دور التدوين ودور العبرة والاستفادة من معالمها وأهدافها والرجوع لدراستها وتحويلها لدروس وعبرة.

والسؤال الأوّل: هل اجتمعت هذه العناصر في ثورة الحسين عليه السلام، وقد مضى عليها أكثر من ألف سنة، وهي تردّدها الأجيال وكأنّه قتل اليوم؟ وهذا السرّ لأنّ الحسين عليه السلام ثار من أجل غيره لا من أجل نفسه، من أجل هذه الأُمّة، ومن أجل توعيتها وإرشادها والأخذ بيدها إلى الأفضل، ولذلك طلب منها النصرة في يومه وفي غده، أي تنصره وتنصر قضيّته.

والسؤال الثاني: إنّ الحسين عليه السلام هل ثار وضحّى وبذل وسفك دمه؟ هل هو من أجل نفسه أو من أجل مصلحة أو من أجل أُسرته الأقربين ليحقّق لهم مكسباً أو منصباً، أو تقدّم الحسين من أجل بني هاشم ومن يقول ذلك فهو ساقط في حفيرة الغباء أو تقدّم الحسين عليه السلام من نفع مادي يكسبه لنفع سيكون له أو يحقّق مركزاً له في الأُمّة أو يسترجع حقّاً له من أجل ذاته أو كان مهدّداً في معاشه؟ إنّ كلّ ذلك رخيص ومبتذل ولا ثمن له في ساحة الحسين عليه السلام، وإنّ كلّ ما صدر عنه من أجل الأُمّة، وقاضاياها المهدّدة، ومن أجل الشريعة المهدّدة بالرجوع إلى الجاهلية البائدة والمهدّدة بالخطر الأُموي الزاحف عليها من أفواه أتباع الأُمويّين ودعاتها وأنصارها.

والسؤال الثالث: هل أخذت دار الحسين عليه السلام، أو سلبت منه أرضه، أو استولوا على منطقة زراعيّة للحسين عليه السلام، أو غصبت منه عيون أو آبار أو أموال، أو غيرها؟ صادرها الأُمويّون وتحرّك الحسين بهذه الصولة وبهذا الاندفاع، وهل ورد في التاريخ

أنّ الحسين عليه السلام سلب الأُمويّون شيئاً يعود له وثار عليهم ؟ وإذا قرأنا بعض النصوص التي أطلقها الحسين عليه السلام إنّما هو لاستشارة الأُمّة ، إنّما هو يقصد أُموراً تعود للأُمّة استولى عليها الولاة الأُمويّون ، وأراد عليه السلام أن ينبّه الأُمّة للطلب بحقوقها وما قيمة ما استولى عليه الأُمويّون ، إن صحّ ذلك .. وعاش الأُمويّون في البلاد فساداً ، وفعلوا ما فعلوه وأخذوا وبدّلوا ، وهدّدوا الأبرياء والضعفاء هنا وهناك .

ما هو الحصاد السياسي من ثورة الحسين عليه السلام ؟

أو ما هي النتائج الإيجابيّة كما يقولون ؟ وهذه هي الشبهات المستحدثة في العصر الحديث ، ونحاول تقديم الحلول والإيضاحات وتبيان الخطأ في التصوّر والصواب المنطقي في ساحة الحسين عليه السلام .

وبعبارة أُخرى : هل جلس الحسين عليه السلام قبل المواجهة وقبل التوجّه نحو الساحة ، وفكّر في الربح والخسارة ، ما له وما عليه ؟ وما هو الثمن الذي سيدفعه لبني أُميّة ؟ وماذا يخسر ؟ وماذا يربح ؟ وماذا يحقّق الأُمويّون من ذلك ؟ ليس الإمام الحسين عليه السلام رجلاً عادياً أو مجازفاً أو مغامراً أو يندفع بلا حساب وبلا معرفة لما سيحدث وسوف يحدث ويقع ، وماذا سيواجه ، وماذا يلاقيه الحسين عليه السلام أكبر من ذلك .

إذن ما حقّقه الحسين عليه السلام له أوّلاً وللأُمّة في هذه المواجهة على الساحة الحمراء وعلى تلك الرمال التي تحوّلت إلى أنهار من الدماء بما قدّمه من قرابين على الساحة السياسيّة .

وإنّ إقدام الحسين عليه السلام على هذه المخاطر والعقبات ماذا حقّقه ؟ وهل حقّق للأُمّة منافع ونتائج ومكاسب ؟ وهل غيّر الحسين من واقع الأُمّة ؟ وهل بدّل ذلك الفساد الاجتماعي السائد الذي خيّم عليها ، وفقدت هويّتها الأصيلة ؟

وحاول الحسين عليه السلام التغيير من أجل إصلاحها ، ومن أجل بقائها وقوّتها ، وعملية

التغيير ليست بسيطة وسهلة، وأنّ تغيير النظام الاجتماعي القديم عملية صعبة، النظام الذي بناه الأُمويّون وشادوه وبذلوا من أجله منذ أيّام معاوية ومن أجل ذلك قامت حرب صفّين، وانقسم المجتمع الإسلامي سياسيّاً وفكريّاً وعسكريّاً إلى معسكرين: هذا مع عليّ عليه السلام، وهذا مع معاوية.

وجاء الحسن عليه السلام وحاول الإصلاح، وكفّ الحرب وسكوت الأُمّة وحقن الدماء، هذه الأُمّة الدماء الغالية.. واستفحل الأُمويّون ونشطوا وقويت شوكتهم وسلطانهم، فغيّروا وبدّلوا وشرّعوا وحرّفوا بما رغبوا.

وجاء الحسين عليه السلام وحاول تغيير ذلك الواقع التغيير الاجتماعي من جذوره، ونفسه من أساسه، ويكشفه للأُمّة لعلّها تدرك، لعلّها تستجيب، ولعلّها تلتفّ حول الحسين عليه السلام.

وهل كان في الأُمور رجلٌ أشرف منه وأفضل منه وأطهر منه لتلتفّ حوله الأُمّة؟ وهو الذى دعاها وصوّت وملأ البلاد نداءات، والحسين عليه السلام قد قرّر وعزم أن يقف ولو وحده في الساحة إذا اقتضى الأمر، وفعلاً وقف وحده، وكان لوقفته آثارها الإيجابيّة لمن يملك ذوقاً سياسيّاً أو خبرة في الإصلاح الاجتماعي.

وأنّ تلك الأُمّة بعد قتل الحسين عليه السلام وبعد تضحيته ليست تلك الأُمّة التي كانت قبل عشرين سنة أو خمسين سنة أو حتّى عشر سنوات، كانت الأُمّة مصابة بالسكوت والسكون وعدم الحركة، أو هذا ليس من الشريعة، أو هذا ما أنزل الله به من سلطان، وكانت لا تحرّك شفتيها بكلمة أو نصف كلمة أو بحرف واحد، أمّا اليوم فقد تغيّرت اللغة والأُسلوب وتغيّرت نفسيّة هذه الأُمّة، وصارت تملك ثروة فكريّة جديدة، وأصبحت تقول في بني أُميّة أسوأ القول وأشدّ العبارات، وأصبحت تعقد الاجتماعات وتفوه بالخطب الحماسيّة في مساجدها، وتنعت بني أُميّة بأقبح الأسماء، وكثر النقّاد والمتحمّسون من أجل الأُمّة، أو قبل بداية الثورة والشدّة

والحياة السياسيّة الجديدة.

والحقّ يقال: إنّ الحسين عليه السلام رائد الإصلاح في أُمّة جدّه، وهو كأبيه من قبل..

وكلّهم قاموا بالأمر من أجل الإصلاح، ومن أجل هدم الفساد وتصحيح الأخطاء المختلفة، فقد قام عليّ عليه السلام وقَبِل الخلافة من أجل ذلك «**لَوْلَا حُضُورُ الحَاضِرِ، وَقِيَامُ الحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!**»[(١)].

وقام الحسن عليه السلام وصالح أو عاهد أو صبر على الأذى، وعقد اتّفاقيّة إنّما هي من أجل الإصلاح في هذه الأُمّة المغلوب على أمرها، والتي كثر فيها أصحاب المنافع والمطامع، ثمّ جاء الحسين عليه السلام ووقف الحسين عليه السلام في الساحة وحده، ودوّى صوت الحسين عليه السلام وسمعه القريب والبعيد، والصديق والعدوّ، وعلم بما يريد الحسين عليه السلام، حتّى يزيد عرف ما قصده الحسين عليه السلام وما يريد من خروجه ومسيرته وتصرّفاته وخطاه وخطواته، كلّ ذلك من أجل هذه الأُمّة، من أجل الإصلاح وإرشادها إلى الحقّ.

---

(١) نهج البلاغة.

الحسين عليه السلام إماماً ثائراً بالسيف وبغيره

الحسين عليه السلام يختلف عن غيره، وله مسلك خاصّ في الثورة وبمقدّمات المواجهة. الحسين عليه السلام ثائر بالسيف وباللسان، وبالمواقف وتفعيل هذه المواقف في شحذ الغيارى من أبناء هذه الأُمّة للالتحاق بركبه، الحسين ثائر منذ اللحظة الأُولى بعد وصول نبأ وفاة معاوية وبداية الدعاية ليزيد، الحسين عليه السلام ثائر وُداعٍ للثورة في المدينة. والحسين ثائر وهو في مكّة، وحوّل موسم الحجّ إلى لقاءات سياسيّة جريئة، وأعلن بها وتجاهر ورفع صوته..

والحسين عليه السلام ثائر وهو في الطريق، وهو يسير، وهو يعقد اللقاءات سرّاً وعلناً، مع هذا وهذا، ويدعوه للانضمام إلى ركبه، ويطيل الحديث معه ويشرح له ماذا يقصد، ويتحدّث معه عن أفعال بني أُميّة ونواياهم، تارةً بمجلس كما فعل مع عبيدالله الجعفي، وتارة بخطب وهو غير مكترث بالتهديدات الأُمويّة، كما فعل مع الحرّ الرياحي، وأخبره أنّه يريد المواجهة.

والحسين عليه السلام ثورة في كربلاء منذ نزوله فيها، وهو يكثر من البيانات والتصريحات.

هذا كلّه فعله الحسين عليه السلام قبل يوم العاشر، وحتّى يوم العاشر بدأ الحسين عليه السلام بالتعبئة، والخطب الحماسيّة الحارّة، وهو يدعو ذلك الجيش إلى التراجع،

وهو يدعو إلى الاصغاء إلى نصائحه وإلى كلماته ، والحسين عليه السلام هو ذلك الحسين عليه السلام ، حتّى ساعة شهادته ومصرعه .

وبقي الحسين عليه السلام اسمه وتاريخه ويوم شهادته هو ذلك الحسين ، حسين الجهاد والإخلاص لقضيّته ، ويبقى الحسين عليه السلام حضوراً فكريّاً ثوريّاً ، وخطاه لا يسير عليها إلّا الشرفاء ، إلّا المخلصين من أبناء هذه الأُمّة ، وقد سار الكثير على خطاه ويبقى الحسين عليه السلام له صولة ورهبة وعنوان ، وله منزلته في النفوس الحرّة الأبية ، في النفوس المؤمنة به ، والعارفة له ، والدارسة في مدرسته ، والتي قرأت الحسين عليه السلام القراءة السياسيّة المجرّدة من الرواسب والموروثات ، والمدرسة النظيفة الواقعيّة والصادقة في ولائها .

ويبقى الحسين عليه السلام له منزلته في النفوس ، في نفوس أعدائه وأصدقائه ومن يريد أن يتعرّف عليه ويصل إلى الإجابة ، لماذا ومن أجل ماذا ؟ وماذا حقّقه من نتائج للأمّة في عصره وفي العصور اللّاحقة ، وكيف أقدم هذا الرجل وقال كلمة واحدة ، لا أبايع هذا الرجل الفاسق :

« إنّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ ، بِنا فَتَحَ اللهُ وَبِنا يَخْتِم اللهُ ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ شارِبُ الْخَمْرِ قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ لَيْسَ لَهُ هذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، وَمِثْلي لَا يُبايِعُ مِثْلَه ، وَلكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحُونَ وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرُونَ أَيُّنا أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ وَالْبَيْعَةِ » ، الذي يقال عنه يزيد فاسق بني أُميّة ، لا أُبايع هذا الشاب الأرعن ، وكيف قال تلك الكلمة الجريئة ، الكلمة الحرّة ، الثلّة المؤمنة بالقضيّة ، قضيّة الأُمّة لأنّه الإمام والقائد **« وَمِثْلي لَا يُبايِعُ مِثْلَه »** وأطلق الحسين عليه السلام تلك الكلمة وسمعها العدوّ والصديق ، وقرأها اليوم العدو والصديق ، كلمة واحدة ، لا تلوي ولا تتغيّر ولا تُبلى ولا تموت ، وهي أقوى من الموت ، وأقوى من الزمن .

أمّا الآخرون فقد أرادوا منه كلمة واحدة : النزول على حكم الأمير ،

أمّا الحسين عليه السلام فهو هو. ماذا يحمل الحسين عليه السلام في داخله من قوّة قلب ورحابة صدر وفكر وأبعاد ونظرة للمستقبل القادم ، وكأنّه قرأ المستقبل البعيد والقريب ، ماذا يقول القادمون الذين سيولون ماذا يقولون ؟ خاف واضطرب وتنازل !!

الحسين عليه السلام والدين والأُمّة والقرآن

هل كان لدمه الذي سفك وأُريق على تراب كربلاء أثر في تقويم الدين وإعلاء كلمة الدين ، وغرس القيم الدينيّة في النفوس من جديد ؟

والإجابة عن ذلك تفصيلاً تتوقّف على مقدّمات ودراسة للحياة العامّة في عصر بني أُميّة ، وكيف انحدرت الأُمور وتسافلت الأخلاق ، وكيف أُصيب الدين بالذبول من السياسة الأُمويّة التي هدّدته ، وكان دمه الطاهر شفاءً وعلاجاً[1] ، ودفعاً ويقظة ووعياً ، وخلق شعوراً سياسياً نحو التضحية؛ لأنّ الأُمّة فتحت آذانها وعيونها ، وصوت الناعي يخبرها بقتل الحسين عليه السلام ، وعندها أدركوا أنّ الحسين عليه السلام رجل جهاد وتضحية ، من أراد أن يقتدي به ويسير على خطاه فهذا درب الحسين عليه السلام ، وبموقفه بهذه الصولة والتحدّي كأنّه عليه السلام أخرج قذيفة ملتهبة مليئة بالمتفجّرات ورماها بوجه بني أُميّة والعروش الأُمويّة والبلاط الذي أُسّس على الخداع والضلال ، فرماها الحسين عليه السلام فهزّته هزّاً ، وبذلك استطاع الحسين عليه السلام أن يكتشف خداع بني أُميّة وضعفهم ، وأنّهم يعيشون في أوهام جاهليّة بالية تشبه بيت العنكبوت ﴿ **كَمَثَلِ**

---

(١) يقول أحدهم : « لولاه لما بقي أذان يرفع ، واسم محمّد يُذكر في الأذان » ، وقال آخر : « الدين بقي : بيت يحجّ ، وقرآن يُتلى ، وحسين يُذكر » . وقال آخر : « الدين محمّدي الولادة ، حسيني البقاء » .

الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1]، البيت الذي لا يحمي مَن دخله من حرّ أو برد، وهذا بفضل الحسين عليه السلام، بفضل الحسين الشهيد، الحسين الثائر، حتّى في لغته، هذه كلمات الحسين عليه السلام وهذه خطبه كلّها ثورة، وكلّها صراحة، والحسين عليه السلام في كلّ خطوة من خطواته وفي كلّ تصريح صدر عنه فيه طابع ثوري، واللغة السياسيّة هي الطابع العامّ، وهي دروس للأمّة وللأجيال القادمة أن لا تنام ولا تعيش بذلّ أو تداهن الظالم، وهم يقرأون الثورة الحسينيّة ويسمعون كلام الحسين عليه السلام كلّ يوم، وفي كلّ محفل، إنّه الحسين عليه السلام الذي يمثّل عنفوان الشريعة وعزّتها، وبطولتها وتحدّيها للباطل والظلم، وهو الذي أعدّه جدّه لذلك، وتوسّم فيه أنّه سيقف في وجه الباطل القادم، وأكثر جدّه النظر إلى محياه ووجه وأسارير جبهته وبكى، وقال فيه كثيراً، وإنّه الإمام الذي يقوم بالمسؤوليّة الكبرى من بعده.

وحقّق الحسين عليه السلام حُلمَ جدّه المصطفى، وقام الحسين عليه السلام بالأمر من بعد أبيه وجدّه صلوات الله عليهما، ولم يكن الإمام الذي يقول دون تطبيق أو فعل، هذا هو الحسين عليه السلام.

---

(١) العنكبوت: ٤١.

الحسين عليه السلام والمفكّرون السياسيّون

قال السياسيّون فيه كثيراً ، قديماً وحديثاً ، ولكنّهم لم يعرفوا الحسين عليه السلام على واقعه؛ ولذلك أخطأوا في أفكارهم ، ووقعوا في شبهات حول الحسين عليه السلام ، وعلّلوا وتفلسفوا وحلّلوا ، والكلّ لم يصل إلى باب الواقع ، وكلّها شبهات وقعوا فيها . وعلينا واجب أن نسلّط الأضواء على هذه الأخطاء وهذه الشبهات ، وتطفّلوا في أقوالهم وأفكارهم ، وزعموا وحاكوا نسيجاً فكريّاً ملتوياً لا تُعرف له بداية ناهيك عن النهاية .

فقالوا : الحسين عليه السلام يريد الفتنة ، والحسين عليه السلام يريد الزعامة ، والحسين عليه السلام شقّ عصا المسلمين ، والحسين عليه السلام فرّق الأُمّة ، والحسين عليه السلام أحدث شرخاً في الصفّ ، والحسين عليه السلام جرّد السيف ، ولا داعي للحرب وحتّى المفكّرون في هذا العصر قلّدوا الذين سبقوهم وتقدّموا عليهم .

ونقول لهؤلاء : اعرفوا الحسين عليه السلام مَن هو ، ثمّ امسكوا الأقلام واكتبوا عنه وقولوا الحقيقة .

الحسين عليه السلام إمام مكلّف بفريضة الجهاد ، وجهاده خاصّ به ، وهو الجهاد السياسي .

وقد تسأل : وهل الإمام سياسي ؟

وهل الدين سياسي ؟ وهل في الدين سياسة ؟ وهل الدين من أجل الأفراد

مجمّعين ومترابطين ، أعضاء عاملين لا ينفكّ هذا عن هذا ، وأنّهم جسد واحد ؟ وهل الأنبياء عليهم السلام وحملة الشرائع روّاد السياسة ، أو دعاة سياسة وإصلاح سياسي ، أو جاؤوا يعلّمون العباد الصلاة والدعاء والاعتزال والانطواء ؟ !

الحسين عليه السلام حارب من أجل قضيّة لها ثمنها ، والحرب بين الحسين عليه السلام وبين بني أُميّة لها أبعادها وأهدافها ، ولكن كيف بدأت ، وكيف قامت ، وكيف انتهت ؟ ومَن هو البادئ بالحرب ، والمتجرّئ ؟ ومَن هو الذي هدّد وجرّد السيف عداءً ؟ ومَن هو الغالب ومَن هو المغلوب ؟ ونقصد بالغلبة الدائميّة الباقية(١) المعترف بها عند ذوي البصيرة والوعي السياسي .

وأنّ الحسين عليه السلام هو الذي قتل يزيد وهزّ العرش وخلق الوعي في عاصمته وبين أتباعه ومؤيّديه ، وهذه مسألة لا ينكرها إلّا من أُصيب بالعمى ، وموت الضمير .

فالحسين عليه السلام إمام سياسي ١٠٠٪ ، الحسين عليه السلام سياسي ؛ لأنّه أخذ عن القرآن ، والقرآن كتاب السياسيّين في كلّ عصر وزمان ، والحسين عليه السلام سياسي ؛ لأنّه يريد رفع الأُمّة ومنفعة الأُمّة وإصلاح الأُمّة ووعيها ، وإرشادها ، لتسير إلى مرحلة النجاح والرقيّ .

والحسين عليه السلام سياسي ، وإرساله مسلماً نيابة عنه للعراق ، ورسائله ورسله هي أعمال سياسيّة ، وهذا كلّه عمل سياسي وعملية جريئة وواضحة ، إنّها عملية سياسيّة ساخنة يقوم بها الحسين عليه السلام ، يروم من ذلك تغيير الحياة السياسيّة القاتمة أيّام بني أُميّة ، ويروم لتغيير الكوفة ، وغيرها من البدان ، بالوعي والإرشاد قبل السيف ، ويصحُّ القول وبحقّ : إنّ الحسين عليه السلام قدوة . إنّ الحسين عليه السلام منار وشعلة متأجّجة ، الحسين عليه السلام مدرسة في عصره ومدرسة للأجيال القادمة ، وسوف تدرك

---

(١) الغلبة نوعان : الغلبة الماديّة ، والغلبة الروحيّة ، فمن هو اليوم الغالب؟ أو نقول برأي متطرّف بعيد عن الحقيقة انتهت الحرب وليس فيهما غالب ولا مغلوب .

معاني ومفاهيم سياسيّة في الحسين عليه السلام نحن لم ندركها.

الحسين عليه السلام سياسي مرشد إنساني لمن عَرفه ووعاه وسار على خطاه، الحسين عليه السلام مدرسة وخير مدرسة لمن يريد العزّة وينشد الخلود بشرف وكرامة، وعنده النفس رخيصة من أجل غاية نبيلة رفيعة شريفة.

الحسين عليه السلام علّم الرجال، إن كانوا رجالاً، علّمهم كيف يقابلون ويثبتون أمام الحكّام المستبدّين، وكيف يثبت الرجل على المبدأ الحقّ!

وهو الذي قال كلمته الخالدة، قالها في موقف صعب، وقد عزّ الناصر وخذله الصديق وفرّ عنه مَن يدّعي الرجولة، قال الحسين عليه السلام كلمته ولو مرّ به غيره لما قال ذلك ولاختلّ عنده البيان، قال الحسين عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِي قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ لَنا ذلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ: مِنْ أَنْ تُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الْكِرامِ.

أَلَا وَإِنّي زاحِفٌ بِهذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَخَذْلَةِ النّاصِرِ».

ثُمَّ أَوْصَلَ كَلَامَهُ عليه السلام بِأَبْياتِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الْمُرادي:

فَإِنْ نَهْزِمْ فَهَزّامُونَ قِدْماً ... وَإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينا

وَما إِنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلكِنْ ... مَنايانا وَدَوْلَةُ آخَرِينا

إِذا مَا الْمَوْتُ رَفَّعَ عَنْ أُناسٍ ... كَلاكِلَهُ أَناخَ بِآخَرِينا

فَأَفْنى ذلِكُمْ سَرَواتِ قَوْمي ... كَما أَفْنى الْقُرُونَ الْأَوَّلِينا

فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذاً خَلَدْنا ... وَلَوْ بَقِيَ الْكِرامُ إِذاً بَقِينا

فَقُلْ لِلشّامِتِينَ بِنا: أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشّامِتُونَ كَما لَقِينا

أي جرأة هـذه، وأي بـطولة هـذه، إنّـه لم يـقصد الحـرب والدم، وإنّـما قـصد الإصلاح، إنّها قضيّة هداية هذه الأُمّة التي غرقت فـي أمـواج الفـتن، ولذلك ورد عنه عليه السلام أنّه كان يبكي رقّة لهذه الأمّة التي ساقها أعداؤها إلى الساحة، وهم لم يدركوا لماذا يحاربون هذا الإمام الشريف الطاهر، وقد سألهم عليه السلام :

« فَبِمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمي وَأَبي صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ الذّائِدُ عَنِ الْحَوْضِ، يَذُودُ عَنْهُ رِجالاً كَما يُذادُ الْبَعِيرُ الصّادِرُ عَلَى الْماءِ، وَلِواءُ الْحَمْدِ بِيَدِ أَبي يَوْمَ الْقِيامَةِ ؟ ! » .

قالُوا : قَدْ عَلِمْنا ذلِكَ كُلَّهُ وَنَحْنُ غَيْرُ تارِكِيكَ حَتّى تَذُوقَ الْمَوْتَ عَطْشاناً !

وقد تسألني عن أقوال هؤلاء المفكّرين في هذا الإمام الشهيد وماذا قالوه ؟

يقولون : لو قام الحسين عليه السلام بسياسة التطبيع مع عدوّه كما يفعل الساسة اليوم، وليتني علمت هذا القائل لأجبته وقلت له : كلا، كلا، لن يفعل الحسين عليه السلام ذلك كما يفعله النّاس مع أعدائهم، وكيف يفعل الحسين عليه السلام ذلك وهو الذي عـرف عـدوّه الأوّل، وعدوّ هذا الدين، وعدوّ هذه الأُمّة، صاحب النوايا التي تهدّدها بالزوال، وهل يقدم الحسين عليه السلام على ذلك، ثمّ يتراجع وينطوي ويـترك هـذا العـدو يـفعل ويحقّق نوايا ويغرس ما يريد غرسه في نفوس هذه الأُمّة، ويطبّع الحسين عليه السلام العلاقة حاشاك سيّدي يا حسين[1].

---

(١) ويقصدون بالتطبيع هدنة بين الجانبين المتخاصمين لفترة، ولو نفاقاً ومداهنة، ولو كذباً ومراوغة وخداعاً، والحسين إمام هدى ولا يفعل ذلك مطلقاً لأنّه إمام.

جولة سياسيّة سريعة في التاريخ السياسي

وقبل الدخول في البحث نقدّم هذه الأسئلة اقرأها لعلّك تستطيع الإجابة عنها ، وإلّا فارجع إلى التاريخ السياسي الإسلامي واقرأ الأحداث والتغيّرات والتقلّبات والتطوّرات التي حدثت في هذا المجتمع الإسلامي الواسع :

لماذا قتل الحسين عليه السلام بهذا الشكل وبهذا العنف والوحشيّة ؟

ومَن هو القاتل للحسين عليه السلام أو فاعل القتل ؟

أو قل الذي قتل الحسين عليه السلام واحد أو هم عصابة ؟ وهل وراءهم غيرهم مكّنهم وساعدهم وأعانهم ؟

وكيف قتل الحسين عليه السلام وهو الحسين ؟! وقُتل بسلاح يحمله مَن يؤمن برسالة جدّه ونبوّته ، ويحمل الودّ والحبّ له ولجدّه ؟ وهل هناك عوامل سياسيّة خلّاقة أوجدت أيدي وقوىً وتكتّلت وفعلت واعتدت وأجرمت وأقدمت على القتل ؟ ومن هو المسؤول بداية قبل التنفيذ ؟ ولا بدّ من دراسة الاضطرابات والتغييرات التي حدثت في الحياة العامّة السياسيّة وغيرها ، ولا بدّ من نافذة جديدة ومسلك متطوّر متحرّر نسلكه لفهم الحياة على واقعها وما فيها من شخوص وما علينا إلّا أن نقرأ التاريخ السياسي من جديد منذ خمسين سنة ، وقبل قتل الحسين عليه السلام ، لنطّلع على التطوّرات والحركات والتيّارات الفكريّة التي حدثت بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله

والتي أطلق عليها القرآن انقلاباً ، ونبدأ ثمّ ننتقل فيها زمنيّاً ومكانيّاً وأثراً وتأثيراً وبشكل فاعل وقويّ.

فكانت حادثة كربلاء أو واقعة الطفّ هي نهاية المرحلة السريعة أو نهاية المطاف ، ونتاجها والمعلول والأثر الفضيع ، وكان قتل الحسين عليه السلام هو مخاض الحركات والاختلافات والتيّارات ، وكان مخاض تلك الأحداث وتلك التطوّرات ظهور زعامات جديدة تطفّلت وتربّعت واستقرّت ، وكان لها دورها ونفوذها وفعلت ما فعلت ، من القتل والأفعال الأُخرى ، وقتل عليّ عليه السلام وبعده الحسن عليه السلام وبعده الحسين عليه السلام ، وغيرهم وغيرهم ، وكان لتلك الزعامات التي سيطرت على الأمّة في شرق الأرض وغربها نفوذ سياسي في البلاد الإسلاميّة الواسعة ، وما لها من تأثير على لغة وقول وفكر وخُلق وحكم .. الأُمّة.

وقد تسأل كيف ظهرت تلك الزعامات في البلاد ، وارتقت وتوصّلت إلى الحكم وأصبح لها نفوذ في المجتمع وبنت لها كيانات ؟ وكيف تربّعت وجلست على منبر الحكم السياسي في الأمّة ، وأصبح لها دور ونفوذ وألقاب ومسمّيات ولها أتباع هنا وهناك ، وصار لها من يطيعها ويثق بها ويأخذ بما تقول ويصدّق بما يصدر عنها وما يروى عنها ؟ إنّ هذا هو العجب العجاب ، وهو الخطر.

وقد تسأل سؤالاً آخر وأوضح من السابق : مَن هو الذي نصّب يزيد أو نصّ عليه أو اختاره ؟ ومن ولّى شمراً على هذا الجيش ومكّنه وأعطاه سيفاً وأرسله إلى كربلاء ؟ وتمكّن من قتل هذا الحفيد الطاهر المطهّر ، وكيف تجرّأ على هذا الفعل ؟! والجواب عن كلّ ذلك لا بدّ من جولة في التاريخ ، وقراءة التاريخ سياسيّاً ، تاريخ خمسين عاماً ، منذ رحيل النبوّة ، وما حدث بعد ذلك ، وكيف تعاقبت الأجيال وظهرت أسماء في المجتمع الإسلامي ، وكانت لا بشيء ، وكانت نكرات وكانت ذليلة ، ثمّ أصبحت من الرجال الحاكمين في الأُمّة ، وهم حصيلة تلك المجاميع الأوائل التي

تجرّأت على ولاية الأُمّة وتطفّلت على المنصب ، وفعلت ما فعلت ، واستفحلت تلك المجاميع ولعبت أدواراً غريبة ، ثمّ تبعها من تبعها ، وغيّرت وبدّلت ، وفرّقت الأُمّة ، وجاء بعدها أتباع ومقلّدون ، وظهرت مستويات ذيليّة مطيعة ، وهرولت نحو الكرسي ، وطبّقت كلّ ما صدر من الذين سبقوهم ، وكلّ ما خلّفه مَن تقدّم عليهم ، وما تركته تلك المجموعات السالفة الحاكمة ، واجتمعت وتلملمت وتحشّدت وجرّدت سيوفها واندفعت وفعلت فعلتها الشنعاء ، وكانت تظنّ الخير عن دفعها نحو الساحة ، ورجعت ولم تنل إلّا الخزي والعار.

ونعود للسؤال : مَن جاء بيزيد إلى الحكم ؟ وكيف صعدعلى منبر النبوّة ، وهو أقصر وهو هو ؟! ومَن أعطى ابن زياد هذه الصلاحيّة ؟ ومَن كلّف شمراً بذبح السبط حسينٍ ؟

إنّ الجواب واضحٌ بسيط ، إذا رجعنا للجذور والبدايات . وصدق الشاعر العربي حين يقول :

واللهُ ما سيفُ شمرٍ نال منكَ ولا ... يدا سنان وإن جلّ الذي ارتكبوا

وذهب الحسين عليه‌السلام ضحية ، قتيلاً ، شهيداً ، ذبيحاً بسيف وصل إلى شمر القائد الذليل الحقير ، وإذا بالرجل الشريف الكريم الأصيل يُقتل بيد رجل منبوذ لا ثمن له ولا هو من الرجال الأشراف ، ولا هو بالأصيل ولا هو بالشجاع ، لعن الله الفاعل السببي والفاعل المباشر ، ويبقى الحسين عليه‌السلام عزيزاً خالداً في الدنيا .

رؤية سياسيّة جديدة في مقتل الحسين عليه السلام وجهاده السياسي

هذه قراءة سياسيّة جديدة في قصّة كربلاء ، وتأمّلات فكريّة في خطوات الحسين عليه السلام ، وهي خالية عن الأحزان والعاطفة والبكاء ، ولا بدّ من قراءة أحداث كربلاء وحوادث الطفّ ، ودراستها سياسيّاً في منطق سياسي حرّ موضوعي حيادي ، دراسة جديدة تختلف عن الدراسات القديمة ، دراسة هذه الحركة الصعبة ولا يقوم أحد أو يقوم عليها أحدٌ غير الحسين عليه السلام أبداً ، وكأنّ الحسين عليه السلام في عصره يعطي من الأنبياء عليهم السلام ، يحمل رسالة سماوية ليبلّغها قومه ، ومهما كان في الطريق من أشواك ، وحقّاً لو ورد أنّ الحسين وارث ، وأنّ الحسين عليه السلام كجدّه في عصره ، وأنّ الحسين عليه السلام وارث الأنبياء عليهم السلام ، وهو يحمل عزم الأنبياء عليهم السلام ، الحسين وارث رسالات الأنبياء وأفكارهم ، ويحمل روح النبوّات ، ورثهم فكريّاً ، ورثهم فلسفيّاً ، ورثهم سياسيّاً ، وورثهم بطولةً .

فقد ورث الحسين عليه السلام تركة ثقيلة صعبة وثقيلة ماديّاً وروحيّاً ، مليئة بالمفارقات والصعوبات ، ولا يُطيق أحد غيره حملها وإبلاغها؛ لأنّه هو الحسين عليه السلام وحملها الحسين عليه السلام وبلّغها بدمه وتضحياته وبطولاته وثورته في وجه الطغيان اللّا معقول واللّاإنساني واللّا مقبول ، إنّه طغيان جديد متسلّط على الأُمّة ، وقاوم الحسين عليه السلام ذلك الطغيان الذي زحف على الأُمّة وراج ، وأوشك أن يؤثّر أثره على أبناء الأُمّة ،

واستجابت له النفوس الضِعاف ، النفوس التي ترغب في هذه الحياة وتفضِّل هذه الحياة وتقدّم هذه الحياة على تلك الحياة ، هكذا كان النّاس في عصر الحسين عليه السلام وأيّامه .

وقام الحسين عليه السلام صارخاً مصلحاً منادياً ، وقام الحسين عليه السلام بحركة إنسانيّة شريفة ، حركة ذات أهداف إنسانيّة إصلاحيّة إرشاديّة توجيهيّة خدمة ورعاية لهذه الأُمّة المغفّلة المغلوب على أمرها ، ولا تملك حولاً ولا قوّة ، ولا رجالاً ولا وعياً سياسيّاً .

الآثار السياسيّة والنفسيّة التي أحدثها الحسين عليه السلام بشهادته

أحدث الحسين عليه السلام ثورة نفسيّة أو أوجد روحاً جديدة في الفرد المسلم بوقفته وتحدّيه وحربه وثورته في البيان والتبيان على بني أُميّة الذين يملكون القـدرات، وخافت منهم جميع الطبقات، فأخضعوا الأُمّة وأرعبوها.

لقد أوجد الحسين عليه السلام حركة في الأُمّة ونشاطاً حرّكهم ضدّ بني أُميّة، حيث لم يكن من قبل في الكوفة وفي البصرة وفي المدينة، وحتّى في الشام، ولذلك نجد آثاراً لتلك الثورة، وهي كثيرة: فقد فتحت الآفاق الفكريّة البعيدة والكثيرة والمتعدّدة، وكلّها مشرقة، وملأت الإنسان المسلم قوّة وروحاً ووعياً وجرأة ليندفع برجولة وقوّة قلب نحو الكرامة، ونحو الثورة، ونحو النقد والحساب للحاكم، ونحو الشهادة، من أجل عقيدته بعد ما كان من قبل رجلاً صابراً يعاني ويكابد ويلاقي الأذى والمطاردة من بني أُميّة، الأذى الصعب الذي لا يُطاق، إنّه العذاب الكيفي، وظهر المتجرّئ عليهم ويقول علناً إنّكم قتلة، إنّكم ظلمة، إنّكم أعداء لهذه الأُمّة، وقرأنا نماذج من الشعر السياسي القديم أُخفي علينا اسم الشاعر لسبب من الأسباب.

وأوّل المتجرّئين عليهم هو ابن عبّاس الذي هبّ صارخاً برسائله التي أنكر بها على يزيد فعلته، وهنا تظهر الحرارة، واللغة الساخنة، وشدّة الجرأة، والأثر النفسي في رسائل ابن عبّاس رضي الله عنه، وهي أشدّ وأقوى روحاً واندفاعاً من محمّد بن الحنفيّة

الذي اعتزل وأكثر من الدموع !

وكيف الاعتذار عن محمّد وهو أقرب للحسين عليه‌السلام ، وهو الذي فجع بالحسين ، وهو الذي مات كمداً وحزناً على الحسين عليه‌السلام ! والحياة السياسية التي عاشها ابن عبّاس عاشها ابن الحنفيّة ، وكلاهما في المدينة ، وعاش الحياة المليئة بالرعب والرقابة والمطاردة .

إذن ما هو التفسير السياسي لهذه القضايا وهذه الأحداث ؟ وهذه الخطوات والآثار التي قرأناها كما هي ، ولا بدّ من إيجاد ورقة سياسيّة ودراستها وتحليلها بعقليّة جريئة .

ونتساءل : هل هناك حذر سياسي عند هذا الرجل دون الآخر ؟

أو هي أزمة سياسيّة شاملة وطغيان أُموي استفحل بلا استثناء بين هذا وهذا ، ولا بدّ من إدراك الأسباب والعوامل والشدّة والقوّة والملاحقات ، قبل الحسين عليه‌السلام وبعده ، وإنّ قضيّة الحسين عليه‌السلام أوجدت مفاهيم جديدة ، ولغة جديدة ، وشخوصاً لها دورها السياسي في المدينة ، ولا فرق بينهما ، فإنّ القانون السياسي المشرّع من البلاط الأُموي يشمل هذا وذاك ، وهذه المدينة وتلك .

مواقف بطوليّة سياسيّة في جهاد الحسين عليه السلام

وكم للحسين عليه السلام من مواقف خالدة تدلّ على إرادته وعزمه.. وتتالت تلك المواقف في ثورة الحسين عليه السلام، مواقف أمام العدو، وفيها تحدٍّ وليس كلّ من تحدّى هو سياسي، وليس كلّ سياسي هو كالحسين عليه السلام، وللحسين موقف بعد موقف واحد أقوى من الآخر.

والحسين عليه السلام قوّة وإباء.. خبّره أعداؤه وظنّوا أنّه سيتنازل لهم، إنّ القوم أغبياء.. إنّ القوم أخطأوا سياسيّاً في إدراكهم لذات الحسين عليه السلام! ولم يعرفوا أبعاداً شخصيّة وأهدافاً ثوريّة، وظنّوا أنّه خائف ومضطرب من خيولهم وزحوفهم، وعرضوا عليه كتاب الأمان، وأرادوا منه الاستسلام لسلطانهم، وأرادوا التنازل والاستجابة للسلطة الأُمويّة وإرادتها وسياستها ورغباتها، والسياسة لها إرادة، وهي من أصعب الأُمور وأشدّها، تحوّل الفرد آلة متحرّكة لها، فكيف بالسياسة الأُمويّة التي تأخذ على الظنّة والتهمة، وتأخذ الصديق بصديقه، والزوجة بزوجها، هكذا ترد في التاريخ السياسي.

والحسين عليه السلام وقف بين أمرين، أحدهما أصعب من الآخر، والحسين عليه السلام أقوى من كلّ المواقف، وكلّها صعبة، وكلّها أزمات:

الموقف الأوّل: إمّا أن يتراجع الحسين عليه السلام من حيث بدأ ويتحرّك وينطلق ويعود

لداره ووطنه ويسكت ويكفّ ويترك الأُمّة وشأنها، ويتحمّل ويعيش ذليلاً بهوان، وسكوته معناه انهزام وفرار، ومعناه اندحار، ومعناه خوف، ومعناه تراجع، وفيها ضياع للأُمّة.

الموقف الثاني: وإمّا أن يواجه الصعب، وأصعب الأمرين، واختار الحسين عليه السلام الموت، واختار التضحية، واختار الوقوف ببطولة. هذا هو الإمام حقّاً، هذا سيّد الأُمّة، وأعلنها الحسين عليه السلام بصوت عالٍ: **«لَا واللهِ، لَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ»**، وهنا بدأ المثّلث السياسي في كربلاء، ورسمه الحسين عليه السلام بحروف حمراء، وهي التحدّي والتضحية والخلود والنصر، وتحقّق ذلك للحسين عليه السلام، الحسين عليه السلام كسب النصر روحيّاً، وللحسين عليه السلام تاريخ مشرق ناطق، وبدأ الدروس الحديثة، وسلّطوا الأضواء على سياسة الحسين عليه السلام مع أعدائه، وأدرك الفكر الحديث بعضاً من آثار واقعة كربلاء، الآثار الماديّة والآثار الروحيّة، وما حقّقه الحسين عليه السلام.

«الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، بارِىءِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، الَّذي بَعُدَ فَارْتَفَعَ فِي السَّمواتِ الْعُلى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى، نَحْمَدُهُ عَلى عَظائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجَائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَواجِعِ، وَمَضاضَةِ اللَّواذِعِ، وَجَلِيلِ الرُّزْءِ، وَعَظِيمِ الْمَصائِبِ الْفاظِعَةِ الْكاظَّةِ الْفادِحَةِ الْجَائِحَةِ.

أَيُّهَا الْقَوْمُ، إِنَّ اللّٰهَ وَلَهُ الْحَمْدُ ابْتَلَانا بِمَصائِبَ جَلِيلَةٍ، وَثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِتْرَتُهُ، وَسُبِيَ نِساؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدانِ مِنْ فَوْقِ عالِي السِّنانِ، وَهذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتي لَا مِثْلُها رَزِيَّةٌ.

أَيُّهَا النّاسُ، فَأَيُّ رِجالَاتٍ مِنكُمْ تُسِرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤادٍ لَا يَحْزَنُ مِنْ أَجْلِهِ؟ أَمْ أَيَّةُ عَيْنٍ مِنكُمْ تَحْبَسُ دَمْعَها وَتَضِنُّ عَنْ انْهِمالِها؟! فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشِّدادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحارُ بِأَمْواجِها، وَالسَّمواتُ بِأَرْكانِها، وَالْأَرْضُ بِأَرْجائِها، وَالْأَشْجارُ بِأَغْصَانِها، وَالْحِيتانُ في لُجَجِ الْبِحارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَأَهْلُ السَّمواتِ أَجْمَعُونَ. يا أَيُّهَا النّاسُ، أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤادٍ لَا يَحِنُّ إِلَيْهِ؟! أَمْ أَيُّ سَمْعٍ يَسْمَعُ هذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتي ثُلِمَتْ فِي الْإِسْلامِ وَلَا يُصَمُّ؟! أَيُّهَا النّاسُ، أَصْبَحْنا مَطْرُودِينَ مُشَرَّدِينَ مَذُودِينَ وَشاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصارِ، كَأَنّا أَوْلَادُ تُرْكٍ أَوْ كابُلَ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ

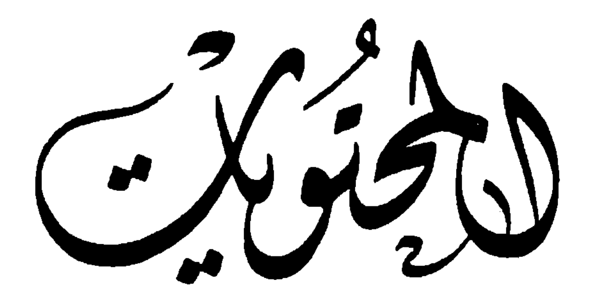
اجْتَرَمْناهُ، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْناهُ، وَلَا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْناها، ما سَمِعْنا بِهذا في آبائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾[1].

وَاللهِ، لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ في قِتالِنا كَما تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوِصايَةِ بِنا لَمَا زادُوا عَلى ما فَعَلُوا بِنا، فَإِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ ما أَعْظَمَها وَأَوْجَعَها وَأَفْجَعَها وَأَكَظَّها وَأَفْظَعَها وَأَمَرَّها وَأَفْدَحَها، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ فِيما أَصابَنا وَما بَلَغَ بِنا، فَإِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ.

يا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقامَ لَكُمْ بِها　　　قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَأَدْمُعِي مِدْرارُ

---

(١) ص: ٧.



المحتويات